

التفلسف

مفهومه - بواعثه - خصائصه

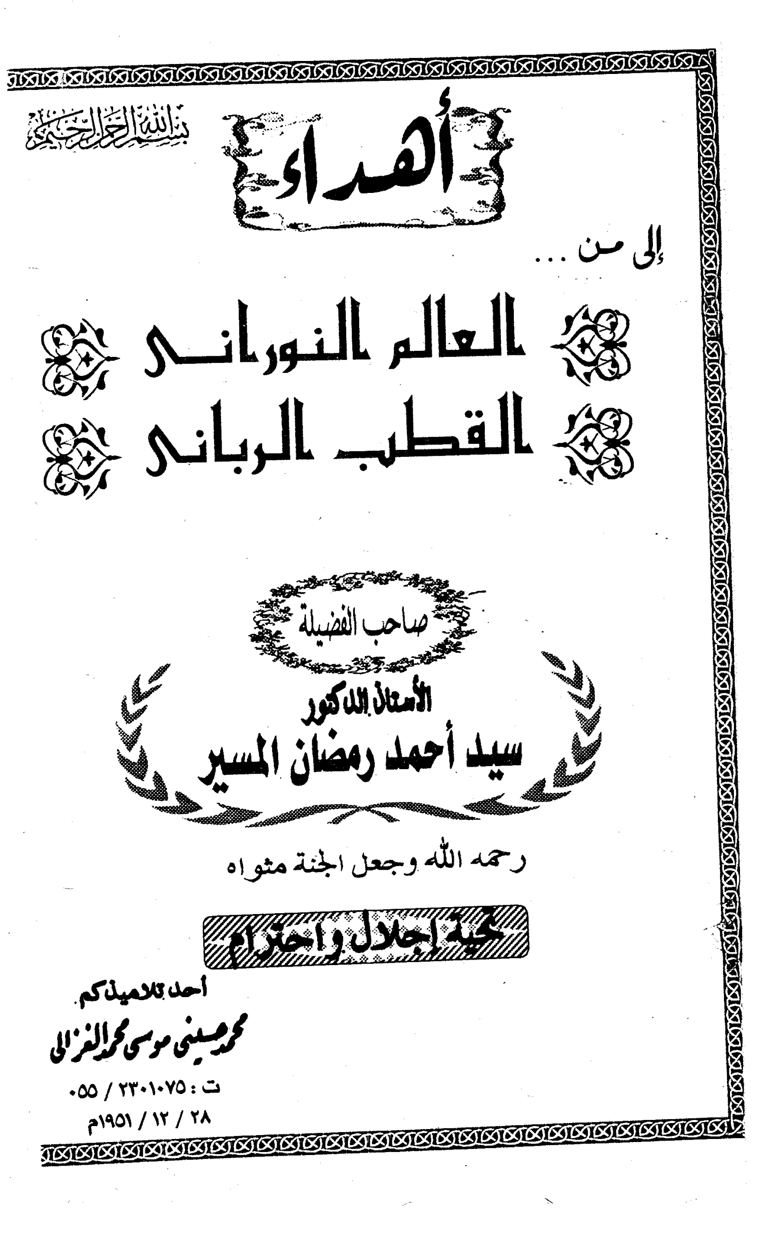
تأليف

الأستاذ الدكتور: محمد حسيني موسى محمد الغزالي
رئيس قسم العقيدة والفلسفة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

آل بسيوني للكمبيوتر بغزاله



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من ...

العالم النوراني
القطب الرباني



صاحب الفضيلة

الأستاذ الدكتور

سيد أحمد رمضان المسير

رحمه الله وجعل الجنة مثواه



تحية إجلال واحترام

أحد تلاميذكم

محمد حسيني موسى محمد الغزالي

ت : ٢٣٠١٠٧٥ / ٠٥٥

٢٨ / ١٢ / ١٩٥١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ميز الإنسان على غيره من المخلوقات، ومنحه ملكة التفكير، يتأمل بها ملكوت الأرض والسماوات، ورفع قدره إن هو استقام مع الآيات البينات، وبين أن هامه تكون يوم القيامة أعلى الهامات. قال تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)،« حيث يرفع المؤمن على من ليس بمؤمن. والعالم على من ليس بعالم »(٢).

« وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر الأرض والسماوات، رفيع الدرجات، وحده خالق المبدعات، يعلم ما كان، وما يكون، وما هو آت ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

وأشهد أن سيدنا محمدا بن عبدالله، ختم الله به النبوات(٤)، وبين أن رسالته

---

(١) سورة المجادلة – الآية ١١ . يقول الإمام الفخر الرازى – رحمه الله – : « لا شبهة أن العالم يقتضى لطاعته. من المنزلة مالا يحصل للمؤمن. ولذلك؛ فإنه يقتدى بالعالم فى كل أفعاله. ولا يقتدى بغير العالم؛ لأنه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات. ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير. ويعلم من كيفية الخشوع والتذلل فى العبادة. ما لا يعرفه غيره. ويعرف من كيفية التوبة وأوقاتها وصفاتها ما لا يعرفه غيره. ويتحفظ فيما يلزمه من الحقوق. ما لا يتحفظ منه غيره. وفى الوجوه كثره. لكنه كما تعظم منزلة أفعاله من الطاعات فى درجة الثواب. فكذلك يعظم عقابه فيما يأتيه من الذنوب. لمكان علمه. حتى لا يمتنع فى كثير من صغائر غيره. أن يكون كبيرا منه ». [الإمام الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – الرازى – جـ١٥ ص٤٥٢]

(٢) العلامة الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن– جـ٩ ص٦٤٦٩.

(٣) سورة يونس – من الآية ٦١.

(٤) حيث قال تعالى: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ [سورة الأحزاب – الآية ٤٠].

خاتمة الرسالات(١)، وأجرى الله على يديه خوارق العادات، فكان منها إنطـــاق الله الجمادات(٢)، وتحريك الظواهر القائمة فى الكونيات(٣)، تجرى كأنها ذات ارادات.

---

(١) فعن أبي هريرة ﷺ قال: قـال رسـول الله ﷺ :« فُضِّلتُ علـى الأنبيـاءِ بسـتٍّ: أعطيـتُ جوامعَ الكلمِ، ونصرتُ بالرُّعبِ وأحلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعلتْ ليَ الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأرسلتُ إلى الخلـق كافَّـةً، وخُتـم بي النَّبيُّونَ »[الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيرى النيسابورى (٢٠٦-٢٦١هـ) – كتاب المساجد ومواضع الصلاة صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧١ – الحديث رقم:٥٢٣ (طبعة دار إحيـاء الـتراث العربـى – بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى- بدون) . وأخرجه الإمام العلامة المحدث محمـد بـن عيسـى بـن سورة الترمذي ("٢٠٩- ٢٧٩هـ") – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ١٢٣ – كتاب السير باب ما جاء في الغنيمة - الحديث رقم: ١٥٥٣] وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قـال: الرؤيـا الصالحـة»[الإمـام البخـارى صحيح البخـاري – بـاب: المبشرات – الحديث رقم: ٦٥٨٩] ، وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ : « أيـها النـاس إنـه لـم يبـق مـن مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له. ثم قال: ألا إني نهيت أن أقرأ راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء قمن أن يستجاب لكم »[الإمام السندى – حاشية السندي على النسائي – باب تعظيم الرب في الركوع – الحديث رقم: ١٠٣٩]، وعن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي. كمثل رجل بنـى بيتـا، فأحسـنه وأجملـه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هـلا وضعـت هـذه اللبنـة؟ قـال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[صحيـح البخـارى – الإمـام أبـو عبد الله محمـد بـن إسمـاعيل البخـاري الجعفي – باب: خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. – الحديث رقم: ٣٣٤٢].

(٢) يقول العلامة القرطبى : « أما النبى الخاتم محمد ﷺ ، فكانت معجزاتـه الحسـية قبـل النبـوة وبعدها كثيرة : كإظلال الغمام ، وانشقاق القمر ، وتكثـير الطعـام ، وتسـبيح الحصـى ، وإحيـاء الموتى ، وتكليم الحيوانـات كـالضب وغـيره » [راجـع فـى ذلـك الشـأن : الاعـلام بمـا فـى ديـن النصارى من الفساد والأوهام للعلامة القرطبى ، ففيه حديث طويل عن تلك المعجـزات] ومـا روى عن على كرم الله وجهه قال كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعـض نواحيـها ، فمـا اسـتقبله شجرة ، ولا جبل الا قال : السلام عليك يا رسول الله [الأمام القرطبـى الاعـلام جـ٣ ص٣٥٨]. وعن أنس ﷺ عنـه قـال أخـذ رسـول الله ﷺ كفـا مـن حصـى فسـبحن بـين يديـه ، حتـى سمعنـا تسبيحها، ثم صبهن رسول الله ﷺ فى يد أبى بكر فسبحت كذلك ، ثم صبها فى أيدينا فلم تسبح.

(٣) كإظلال الغمام وتأخير غروب الشمش وانشقاق القمر . ففي الحديـث الشـريف : عـن عبـد الله بـن مسعود رضي الله عنه قال: « انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شـقتين فقـال النـبي صلـى الله عليـه وسـلم اشـهدوا » [الإمـام البخـارى – صحيـح البخـاري ج٣ ص١٣٣٠ – ٢٤ بـاب سـؤال المشـركين أن يريـهم النـبي صلـى الله عليـه وسـلم آيـة فـأراهم انشـقاق القمـر – رقم: ٣٤٣٧]

اللهم صلى وسلم وبارك على من أشاد بذكره الجماد والنبات[١]، وشهد برسالته كل الكائنات، ونطق بحبه وأمن به أهل الصفاء من الثقلين والعجماوات[٢]. وبارك الله على أل بيته الذين هم لأهل الإيمان أمهات[٣].

---

(١) روى انه طافت برسول الله ﷺ شجرة ثم رجعت إلى منبتها ، فقال رسول الله انها استأذنت ان تسلم(راجع الشفا والأعلام [جـ٣ ص٣٥٧]

(٢) ففى الحديث الشريف عن عمر بن الخطاب : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء رجل أعرابي من بني سليم قد صاد ضبا وجعله في كمه فذهب به إلى رحله فرأى جماعة فقال على من هذه الجماعة فقالوا على هذا الذي يزعم أنه نبي فشق الناس ثم أقبل على رسول الله صلى اله عليه وسلم فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك ولا أبغض ولولا أن يسميني قومي عجولا لعجلت عليك فقتلتك فسررت بقتلك الناس جميعا فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الحليم ٢ ٢٦٨ ب كاد أن يكون نبيا. ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لا آمنت بك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أعرابي ما حملك على أن قلت ما قلت وقلت غير الحق ولم تكرم مجلسي فقال وتكلمني أيضا استخفافا برسول الله صلى الله عليه وسلم واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب فأخرج ضبا من كمه وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن آمن بك هذا الضب آمنت بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضب فتكلم الضب بكلام عربي مبين يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك. فقال الأعرابي أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلي منك والله لأنت الساعة أحب إلي من نفسي » [راجع للإمام الطبرانى – المعجم الأوسط ج٦ ص١٢٧ رقم: ٥٩٩٦ ، والمعجم الصغير ج٢ ص١٥٣ رقم:٩٤٨]

(٣) أمهات المؤمنين هن زوجات سيدنا محمد ﷺ اللاتى تزوجهن الحبيب المصطفى ﷺ سواء اللاتى ماتت قبل انتقاله، واللاتى فارقت الحياة بعد ذلك الانتقال. [راجع للعلامة الشيخ أحمد الدينورى – أمهات المؤمنين ص١٧]

وارض اللهم عن أصحابه النجوم الباهرات[١]، وأتباعه الذين كانوا أقمارا تضيء الحالكات[٢]، والقائمين على شرعه الراجين أنعمه الزاكيات وشفاعة المصطفى يوم الزحام والحشر، يوم البعث والنشر وتقاطر العرق على الجبهات[٣].

وارض اللهم بفضل أهل العلم والعرفان والأعمال الصالحات، ووالدينا والأهل والذرارى، وأكرمهم فى الحياة وبعد الممات، واحشرنا وإياهم على أعتاب شفاعة الحبيب المصطفى، وأكرم نزلنا برحمتك ولطفك وإحسانك فى الجنات، إنك يا رحمن مجيب صالح الدعوات.

أما بعد...

---

(١) ففى الحديث الشريف قال ﷺ : « أصحابي كالنجوم فبأيهم إقتديتم إهتديتم »[العلامة: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت:١١٦٢هـ) – كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – كشف الخفاء ج: ١ ص: ١٤٧ – رقم: ٣٨١ – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥هـ – الطبعة الرابعة – تحقيق: أحمد القلاش. وقال العجلوني: رواه البيهقي وأسنده الديلمي وعن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم إقتديتم إهتديتم]. وقوله ﷺ : «الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي. فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه »(العلامة الإمام: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٢٠٩هـ/٢٧٩هـ) – الجامع الصحيح سنن الترمذي – ج: ٥ ص: ٦٩٦ الحديث رقم: ٣٨٦٢ (راويه عبدالله بن مغفل)– طبعة دار إحياء التراث العربي– بيروت – تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون]

(٢) ففى الحديث الشريف : عن عمر بن الخطاب قال. « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون القرن الذي أنا فيهم ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع لا يعبأ الله بهم شيئا » [أبو نعيم الأصبهانى – حلية الأولياء ج٤ ص١٧٢].

(٣) إذ فى يوم الحشر تختلف حالات الناس فى العرق. فمنهم من يبلغ العرق قدميه. ومنهم من يصل فخذيه. ومنهم من يلجمه العرق إلجاما. نسأل الله السلامة وحسن العاقبة إنه نعم المولى ونعم النصير.

فإن دراسة العلوم العقلية ما تزال بحاجة إلى المزيد، باعتبار أن كل دارس يدلي برأيه فى المسائل التى يتعرض لها، وهو فى كل محاولاته يجد ويجتهد، طالبا التوفيق، سائلا الله تعالى السداد فى الرأى، والصواب فى المنهج والغايات[1].

والتفلسف من العمليات العقلية والعلوم التى تحتاج دراسة مستقلة، تناط بها مهام فنية دقيقة؛ لأنه علم يقوم على تفهم حقائق الأشياء، والتعرف عليها بدقة، ثم إيجاد علاقة جامعة بين حقائق الأشياء المشتركة فى الوجود، أو التى انتقلت بقدرة الله من الوجود إلى العدم.

كما أنه يعمل على تفهم العلاقات المستجدة، وتلك التى انتهى دورها، ثم يحاول إعادة النظر فى عوامل ظهور كل منها أو اختفائها، وربط ذلك كله فى سلسلة من الأفكار المتوازنة، التى تحتاج نوعا من الدراسة آنا بعد أخرى وهو ما يعنى ضرورة إعادة النظر من ذلك المفكر فى كل ما سبق له القول به، لا على سبيل الشك فيه، وإنما الغرض استمرار التأكيد على أن ما توصل إليه من نتائج ما زال صحيحا.

وقد خلق الله تعالى الناس جميعا أصحاب قدرات عقلية، فيها التباين الذى يصل حد التمايز فى البعض؛ لأنها من أقسام الله تعالى من باب قوله عز وجل:

" أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون " [2].

---

(١) وذلك شأن المفكر المسلم الذى يخاف الله، ويخشى عقابه، وهو المقصود بالنسبة لنا نحن آهل الإسلام.

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٢ . « وقوله أهم يقسمون رحمة يقول تعالى ذكره أهؤلاء القائلون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد يقسمون رحمة ربك بين خلقه فيجعلون كرامته لمن شاؤوا وفضله لمن أرادوا أم الله الذي يقسم ذلك فيعطه من أحب ويحرمه من شاء. بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا فنجعل من شئنا رسولا ومن أردنا صديقا ونتخذ من أردنا خليلا كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة بل جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا وهذا مملوكا ليتخذ بعضهم بعضا سخريا. ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل يقول جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش في الدنيا. ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدني » [العلامة الطبري – جامع البيان ج٢٥ ص٦٦/٦٧]

فرحمة الله الكبرى هي النبوة والرسالة ، وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة، التي أودت بهم إلى الهلكة ، وأسقطهم أمرهم في الضلال [(١)] .

لكن هذا لا يمنع من التأكيد على أن الناس جميعا قد أعانهم الله على التفكير، ومنحهم الملكة التي تقوم به[(٢)]، وأمرهم أن يبذلوا قصارى الجهد في سبيل ذلك التأمل العقلي، والتعرف على حقائق الأشياء، انتهاء منها إلى معرفة الخالق العظيم جل علاه، وما يجب لهذا الخالق من جلال وكمال وإكرام جل جلاله[(٣)]، ويجعل العبد قريبا من ربه، لقوله تعالى: **قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين** [(٤)].

ولما كان هذا التأمل العقلي يمثل مصطلح التفلسف في أبسط صورة، فإن الناس جميعا يشتركون فيه؛ بحيث يصير ظاهرة لدى جميع الأناسي، وإن اختلفت

---

(١) العلامة الشهرستاني – الملل والنحل جـ٣ ص٩٧ .

(٢) هذا الحكم هو عام في الناس. أما أصحاب الظروف العقلية الخاصة فهم قلة لا حسبان لها في كمية الأعداد العاقلة، والله تعالى قد استثناهم من التكليف. قال ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ. وعن المبتلى حتى يبرأ. وعن الصبي حتى يكبر » الإمام أبو داود – سنن أبي داود – كتاب الحدود – باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا – الحديث رقم:٤٣٩٨- ج٤ص١٣١(تحقيق صدقي محمد جميل – طبعة دار الفكر بيروت ١٩٩٤م) .

(٣) الشيخ محمد أبو العنين زكى – دور العقيدة في بناء الأمة ص٥٣ ط ١/ دار الاستقامة ١٣٢٥هـ.

(٤) سورة إبراهيم –الآية ١٠ . « قالت رسلهم أفي الله شك استفهام إنكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه فاطر خالق السماوات والأرض يدعوكم إلى طاعته ليغفر لكم من ذنوبكم من زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ويؤخركم بلا عذاب إلى أجل مسمى أجل الموت قالوا إن ما أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا من الأصنام فأتونا بسلطان مبين حجة ظاهرة على صدقكم » [تفسير الجلالين ج١ ص٣٣١]

درجاته عند البعض عن البعض الآخر، كالحال مع ساكنى الصحـــــراء وناطحـــات السحاب، وساكن القصور أو ساكن القبور فكل منـــــهم يفكـــر فى الموضوعـــات المطروحة، والمشكلات التى تعترض طريقه فى حياته، أو تمثل له بعـــض الاتجاهـــات الفكرية فى تفهم أمور الدار الآخرة، التى جاء بها النقل المنزل عند المسلم.

لا يقال: إن التفلسف لا يتمكن منه إلا الفلاسفة وحدهم؛ لأن كـــل مـــن يتمكن من التفكير فى هذه المشكلات، ويتعرف حقائقهما، ويمكنـــه الوصـــول إلى دقائقها، ويعمل على ربط بعضها ببعض، من خلال منهج منظم ينتهى به إلى نتـــائج فهو فيلسوف.

لكن هذا التفلسف قد يكون بالنسبة للبعض أمرا يحتاج إلى تفهم على ناحيـة اللغة، أو على ناحية الاصطلاح الفنى، وذلك مما يسترعى الانتباه، ويقود إلى ضـرورة تقديم تعريف فنى للتفلسف على ناحية من النواحى التى يقع الاتفاق عليها بين أهـــل الاختصاص.

فى نفس الوقت فإن الدارس للتفلسف يرى ضرورة تفهم الدواعى التى تدفـع إليه. والبواعث التى تنطلق من داخل المفكر نفسه داعية إليه، وتظل به آخذة بتلابيب عقله، حتى يبذل جهده فى ذلك المجال؛ بغية إيجاد حلول منظمة علمية وعملية، لمـــا يعترضه من مشكلات، أو يجابهه من رغبة فى معرفة حقائق الأشياء، وكذلك الدوافـع التى قد تختلف من فرد إلى أخر، أو من جماعة إلى جماعة أخرى.

بيد أن ذلك وحده لا يكفى فى تقديم فكرة كاملة عن التفلسف، وإنما لابـــد من الحديث عن سمات النظرة الفلسفية أيضا، إذ ليس كل من يتحرك عقله نحو أمـــر ما، يعتبر فيلسوفا، وإنما لابد أن يكون ذلك التحرك مؤديا إلى غاية وهـــــدف، وإلا كان عبثا لا فائدة منه، وهذه الأعباث لا يتوجه العقل المستقيم إليـــها؛ لأن طبيعـــة العقل الصحيح لا يتوجه إلى ما لا فائدة منه أبدا.

ومن ثم فإن هذا الكتاب سيتناول الفصول الآتية :

- **الأول:** التفلسف بين التعريف والظاهرة الإنسانية.
- **الثانى** : بواعث التفلسف ودوافعه.
- **الثالث:** سمات وخصائص النظرة الفلسفية.

وقد حاولت تدعيم كل جزئية أبحثها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، ونتاج العقلية الإسلامية الواعية – حسب توفيق الله – بحيث يجد القارئ فيه أمرا جديدا، سواء فى العرض والتناول أم المعالجة وطريقة الوقوف بالمشكلات عند حد الصواب.

ربما يقال: إن التفكير قاسم مشترك بين كل الكائنات العاقلة، ومنها الملائكة والجن، فلماذا كان التفلسف ظاهرة إنسانية، أو يبحث على انه ظاهرة إنسانية فقط، ولا يتم بحثه على أنه ظاهرة ملائكية أو جنية مثلا.

والجواب: أن ما يتعلق بالملائكة والجن هو من الأمور الغيبية، التى لا يعلمها إلا الله جل علاه[1]، كما أنه سبحانه وتعالى لم يكلفنا بحث هذه الأمور[2]؛ لأن عقولنا

---

(١) قال تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُول فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[سورة الجن – الآيات ٢٨/٢٦]يقول الحافظ ابن كثير : « إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحدا من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول وهذا يعم الرسول الملكي والبشري ثم قال تعالى فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على ما معه من وحي الله وبهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا » [الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٣٤]

(٢) لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة – الآية ٢٨٦]

لا تستوعب ذلك، كما أنها لا تطيقه، وإنما يجب الإيمان بوجود هذه الكائنات المخلوقة الغيبية، على ما أخبرنا به الشرع الشريف، ما كان على وجه الإجمال، فنؤمن به إجمالا، وما كان على وجه التفصيل نصدق به تفصيلا(١)، أما ما وراء ذلك مما سكت عنه الشرع، فهو أمر غيبي لا مجال للعقل فيه، فإن محاولة التصدى له أو بحثه يكون من قبيل الرجم بالغيب(٢).

والله سبحانه وتعالى نهى عن ذلك، ففى الحديث الشريف عن أبي ثعلبة الخشني(٣) أن النبي ﷺ قال: « إن الله حد حدودا فلا تعتدوها ، وفرض لكم

(١) لقوله تعالى : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [سورة البقرة – الآية ٢٧٥]

(٢) راجع فى ذلك الشأن كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص٩١. فقد تعرضت للأمور الغيبية التى يجب الإيمان بها. كما تناولت بالحديث الملائكة والجن. طبقا لظروف ذلك البحث آنئذ.

(٣) أبو ثعلبة الخشني صحابي مشهور معروف بكنيته واختلف في اسمه اختلافا كثيرا .وسكن أبو ثعلبة الشام وقيل حمص. وكان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له بسهمه في خيبر وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه فأسلموا وأخرج بن سعد بسند له إلى محجن بن وهب قال قدم أبو ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى خيبر فأسلم وخرج معه فشهدها ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من قومه فأسلموا ونزلوا عليه قال أبو الحسن بن سميع بلغني أنه كان أقدم إسلاما من أبي هريرة وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقاتل بصفين مع أحد الفريقين ومات في أول خلافة معاوية قال أبو ثعلبة إني لأرجو الله ألا يخنقني كما أراكم تخنقون عند الموت قال فبينما هو يصلي في جوف الليل قبض وهو ساجد فرأت ابنته في النوم أن أباها قد مات فاستيقظت فزعة فنادت أين أبي فقيل لها في مصلاه فنادته فلم يجبها فأتته فوجدته ساجدا فأنبهته فحركته فسقط ميتا قال أبو عبيد وابن سعد وخليفة بن خياط وهارون الحمال وأبو حسان الزيادي مات سنة خمس وسبعين. راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني – القسم الأول [من ذكر له صحبة، وبيان ذلك]. الفصل:٩٦٥٨ ص٥٨/٦٠.

فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء فى غـير نسـيان رحمة لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها»[1].

كما أن التفكير الإنسانى يمكن ضبطه من خلال المفكرين أنفسـهم الذيـن يخبرون عنه، أو من خلال مظاهره التى تبدو فى حلول للمشكلات البادية أمام المفكـر نفسه، أو النتائج التى تعمل على الموازنة بين المشكلات والحلول، أو بين الأسـباب والنتائج.

بيد أن هذا الكتاب الذى أقدم بين يديه لا أزعم أنه قـد اسـتوعب كـل جهات التفلسف ومناهجه، أو بواعثه والدوافع، وخصائص النظرة الفلسـفية، وإلا كان هذا الزعم خاطئا، كل ما أدعيه أنى بذلت فيه الجهد الذى وفقنى الله تعالى إليـه، ولا شك أن غيرى من شيوخى أو اخوانى طلاب العلم قد يكون موفقا إلى أفضل مـا انتهيت إليه، أو يوفقه الله إلى ذلك بأنصر فى المستقبل؛ لأن التوفيق من عنـد الله، والعطاء من فضله، ومنه وكرمه.

(١) العلامة الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص١٢٩ – الحديث رقم: ٧١١٤ . وراجع للامام الشوكانى – فتح القدير ج٢ ص١٢٠ . وروى العلامة المتقى الهندى فى كنز العمال – الباب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنة – الحديث رقم: ٩٨٠ – بلفظ: « إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها » وروى أيضا بنفس الباب فى الحديث رقم: ٩٨١ عن أبى الدرداء عن النبى قال: « – إن الله عز وجل افترض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها رحمة لكم فاقبلوها » وروى أيضا من نفس الباب فى الحديث رقم: ١٦٥٦ – « عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تقربوها (تتعدوها) وحرم محارم فلا تنهكوها. وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها، رحمة من الله فاقبلوها، ألا إن القدر خيره وشره، ضره ونفعه إلى الله. ليس إلى العبد تفويض ولا مشيئة » .

وفى الحديث الشريف ما رواه معاوية بن أبى سفيان ﷺ[١] قال: « قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »[٢].

ومادامت المعارف والعلوم من أقسام الله تعالى، فمن وفق لشيء منها فليحمد الله تعالى، على ما وفقه إليه، ولا ينقصن من قدر أخيه شيئا، وإنما يسأل الله التوفيق والسداد لكل إخوانه من أهل الإسلام، ففى الحديث الشريف: عن أنس بن

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس أبو عبد الرحمن الأموي أسلم يوم الفتح وقيل قبل ذلك روى عن النبي وعن أبي بكر وعمر وأخته أم حبيبة وعنه جرير بن عبد الله البجلي والسائب بن يزيد الكندي وابن عباس ومعاوية بن حديج ويزيد بن جارية وأبو أمامة بن سهل بن حنيف وأبو إدريس الخولاني وسعيد بن المسيب وقيس بن أبي حازم وعيسى بن طلحة أبو مجلز وحميد بن عبد الرحمن بن عوف ومحمد بن جبير بن مطعم وآخرون ولاه عمر بن الخطاب الشام بعد أخيه يزيد فأقره عثمان مدة ولايته ثم ولي الخلافة. قال ابن إسحاق: كان معاوية أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة، وتوفي في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين.
[راجع تهذيب التهذيب ج١٠ ص١٨٧ رقم:٣٨٧، رجال مسلم ج٢ ص٢٢٨ – ذكر من اسمه معاوية - رقم: ١٥٦٠. تقريب التهذيب ج٩ص١٦٩ رقم:٦٧٥٨. والتاريخ الكبير ج٧ ص٣٢٦ رقم:١٤٠٥. الموسوعة العربية الميسرة – م٢ ص١٧١٧]

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص٣٩ – ١٣ باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين- رقم: ٧١، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٢ ص٧١٩ رقم: ١٠٣٧، وأخرج مسلم عن جبر بن عبد الله: « قال ولد لرجل منا غلام فسماه محمدا فقال له قومه لا ندعك تسمي باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بابنه حامله على ظهره فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ولد لي غلام فسميته محمدا فقال لي قومي لا ندعك تمسي باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي فإنما أنا قاسم أقسم بينكم » [صحيح مسلم ج٣ ص ١٦٨٢ –٣٨ كتاب الآداب –١ باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء رقم: ٢١٣٣]

مالك ﷺ(١) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه »(٢).

ومن ثم فإنى لا أزعم بلوغ هذا الكتاب الكمال البشرى، ولا أدعيه، وإنما هو محاولة قمت بها؛ ابتغاء رحمة الله تعالى والفوز برضوانه، سائلا إياه المعونة والتوفيق، وبخاصة أن ظروفى المرضية اشتدت قسوتها عن ذى قبل، حيث ظهرت أعراض اصابتى بجلطات بالمخ – حسب توصيف الطب البشرى – وراحت تؤثر على كثير من قدراتى العقلية، كما تضغط بعنف على بعض حركات أطرافى البدنية، ولكنى أحمد الله، فالصحة ابتلاء من الله يستوجب الشكر، والمرض نعمة منه جل

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المكثرين من الرواية عنه صح عنه أنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين وأن أمه أم سليم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم فقالت له هذا أنس غلام يخدمك فقبله وأن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها ومازحه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا ذا الأذنين. ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان ويجيء منه ريح المسك وكانت إقامته بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة ومات بها قال علي بن المديني كان آخر الصحابة موتا بالبصرة. وعن أنس قال: جاءت بي أم سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام فقالت يا رسول الله أنس أدع الله له فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة قال قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة وقال جعفر أيضا عن ثابت كنت مع أنس فجاء قهرمانه فقال يا أبا حمزة عطشت أرضنا قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية وصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب تلتئم قال ثم مطرت حتى ملأت كل شيء فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال انظر أين بلغت السماء فنظر فلم تعد أرضه الا يسيرا وذلك في الصيف. ومناقب أنس وفضائله كثيرة جدا. [راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني . باب الألف بعدها نون. ٢٧٧ – ص ١٢٨/١٢٧].

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص١٤ – ٦باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه – رقم: ١٣، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج١ ص٦٧– ١٧ باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير – رقم: ٤٥

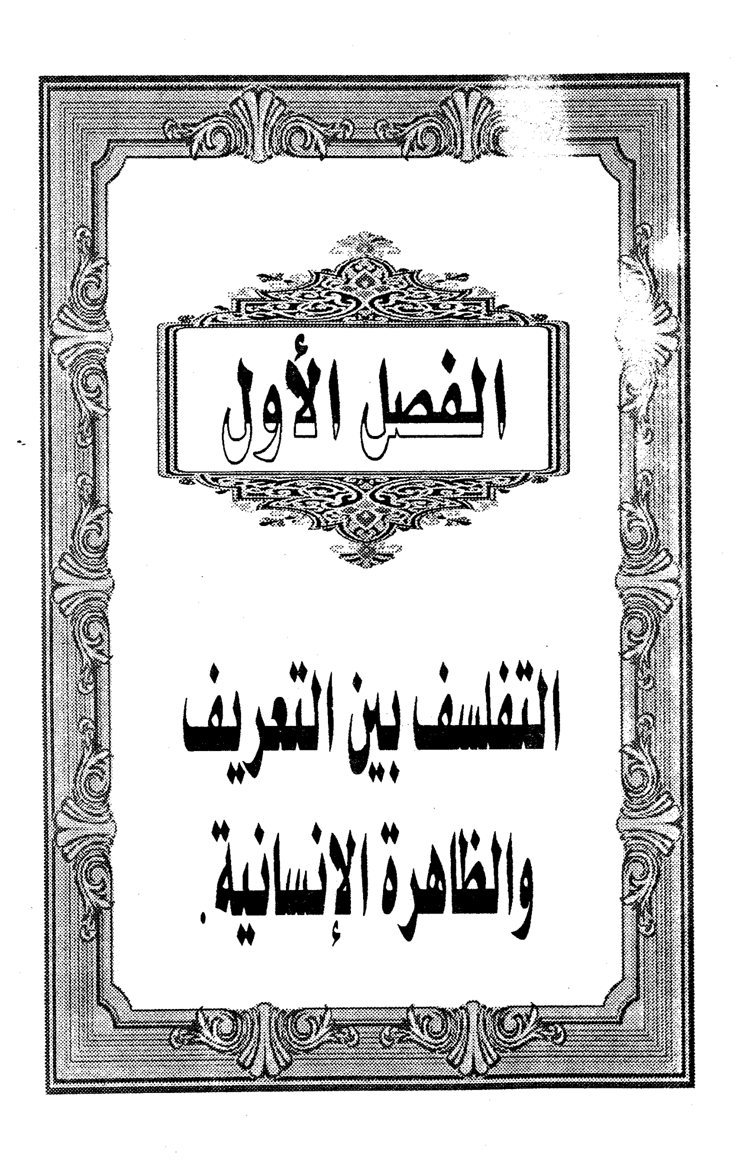
علاه تستحق الصبر، ﴿**ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنـــا مــن أمرنــا رشدا**﴾[1]،وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دكتور
محمد حسيني موسى محمد الغزالي
غزالة الخيس مركز الزقازيق شرقية
فجر ليلة النصف من شهر رمضان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
ت: ٠٥٥/٢٣٠١٠٧٥ الزقازيق
٠٥٥/٢٣٧٤٣٨ غزالة

---

(١) سورة الكهف — من الآية ١٠ .



الفصل الأول
التفلسف بين التعريف
والظاهرة الإنسانية.

تمهيد

كثير من الناس يتفلسفون[١] من حيث يقصدون أو لا يقصدون؛ لأنهم يبذلون جهودهم العقلية فى تأمل الكائنات التى خلقها الله تعالى – إذ لا خالق سواه – وغالبيتهم يأملون أن تكون لجهودهم العقلية هذه نتائج مثمرة على ناحية من النواحى التى بذل الواحد منهم أو المجموعة جهودهم فيها.

بيد أن مظاهر التأمل فى الكائنات قد تختلف من شخص لآخر؛ لاختلاف الوسائل كما تختلف أيضا عند تناول موضوع بعينه، باختلاف الزاوية أو المنهج الذى يتناول هذا الكائن أو ذاك عن طريقه، وقد تتسع الاختلافات حتى تبدوا أمام الناظر إليها على أنها خلافات تكون بسيطة حينا، أو حادة فى بعض الأحيان[٢].

فالباحث فى العالم الطبيعى المشاهد يتناول جزئيات بحثه من خلال منهج يقوم عل كما يصطنع الوسائل التى يراها بالغة به المأمن، ومن ثم يتعدد الباحثون فى العالم الطبيعى بتعدد نظراتهم التى تتبعها نظرياتهم، كما يتعددون فى النتائج التى تمثل رصدة فكرية أو تراكمات علمية بالنسبة لهم[٣].

كما أن الباحث فى الفلك يهتم بموضوع بحثه، والوسائل التى تعينه على إدراك حقائق الأشياء التى يبحثها، وعلاقة بعضها ببعض، بعيدا عن المؤثرات الهامشية والإضافات الوقتية، والأحكام المسبقة، سواء أكانت من ناحية التسليم بنتائج لم يقع الحكم عليها، والتصديق بها على وجه يقينى، أم التى يأمل الباحث فى أن تكون طوع إرادته وحفيدة تجاربه.

---

(١) فلسف الشيء – فسره تفسيرا فلسفيا: سلك طريق الفلاسفة فى بحوثه وتكلف طريقتهم: والفلسفة دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرا عقليا. وكانت تشمل العلوم جميعا وفى العصر الحديث استقل كثير من العلوم وأصبحت مقصورة على المنطق والأخلاق وعلم الجمال. وما وراء الطبيعة. والفيلسوف بوجه عام الباحث فى فروع الفلسفة، وبوجه خاص من يعنى بالبحث فى علل الأشياء وأسبابها الأولى. [القاموس المحيط – باب الفاء والمعجم الوجيز باب الفاء ص٤٨٠ ط وزارة التربية والتعليم]

(٢) راجع فى هذا الشأن كتابنا رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص١٧ وما بعدها ط١٩٩٨/٤م.

(٣) راجع كتابنا: الحثيث فى المنطق الحديث ص٤٥٠ ط٢٠٠٢/١م.

بدليل أن أصحاب الانتخاب الطبيعي يقولون: « إن أمخاخنا قد بنيت بالانتخاب الطبيعي لتقييم درجة الاحتمال والمخاطرة تماماً، بمثل ما بنيت أعيننا لتقييم طول الموجة الكهرو مغناطيسية، وقد جهزنا لأن نقوم بحسابات عقلية عن المخاطرة والاحتمالات في حدود مدى قلة الاحتمالات الذي يكون ذو فائدة للحياة البشرية »[1].

ومع أنها وجهة نظر لم تسلم لأصحاب الانتخاب الطبيعي، إلا أنها تكشف تمسكهم بها، أما إرضاء لأحكام مسبقة من غير التأكيد على صحتها أو التأكد منها، أو إرضاء لنزعة عنصرية تجرى فيها الشعوبية[2] الجنسية، أو احتماء بما يسمى

---

(١) ريتشارد دوكنز – الجديد في الانتخاب الطبيعي – بيولوجيا ص٢٢٣ – ترجمة د: مصطفى إبراهيم فهمي –الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م.

(٢) وردت مادة الكلمة ش ع ب في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة. وقد تكفل بإحصائها وإثبات مواضعها في السور والآيات المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم [الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – باب الشين ص٣٨٣ – طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥م] وذكرت المصادر العربية لمادة الكلمة معان كثيرة منها :– ه الأول: التفرق والتشتت ومنه قولهم: « شعب الرجل أمره إذا شتته. وتفرق في كل مفترق. بحيث يصعب عليه الوصول به مرة أخرى إلى مصادره الأولى »(العلامة ابن منظور – لسان العرب – ج٤ ص٢٢٦٩ – باب الشين – دار المعارف ١٩٥٥م). الثاني : التباعد بين الشيئين قالت العرب : شعب الرجل شعبا بمعنى بعد ما بين منكبيه. كناية عن تكامل البنية. واشتداد الساعد. ومثله يصعب جمع منكبيه في شيء واحد. كما يدل على كبر جسمه. وتناسق أعضائه. سواء أكان ذلك على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز(مجموعة من علماء اللغة – المعجم الوسيط – ج١ ص٥٠٣ – إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة – طبعة الدار الهندسية بالقاهرة ١٩٨٥م.). الثالث : الشيء المجتمع القابل للافتراق قالت مصادر العربية : « الشعب هو القبيلة العظيمة من البشر »(العلامة الفيروز آبادى – القاموس المحيط – ج١ ص٢٣٢ – باب الباء فصل الشين – دار إحياء التراث – بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م). الرابع: الطريق المرتفع ومنه قولهم : شعب الحق طريقه. وشعب الفرس: هى أقطاره، التى تعلوا هامته كعنقه وما حوله أو فوقه. [راجع العلامة الرازى – مختار الصحاح ص٥٤٢ – ترتيب محمود خاطر – طبعة دار المعارف ١٩٨٣م بمصر] وعرف المعاصرون الشعوبية بعدة تعريفات منها: « إن الشعوبية هم جماعة من المفكرين. والكتاب الذين يمثلون خلاصة جماعة كبيرة يدعون باسم القرآن الكريم والسنة النبوية المساواة بين العرب الخلص وغيرهم من مسلمى الشعوب الأخرى. و هذه الجماعة لم تكن ثورية النزعات. إنما اعتمدت في نشر دعوتها على المناهج الأدبية. [جولد تسيهر – الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى ص٢٢ – ترجمة دكتورة زاهية قدورة – دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٢م] وعرفت بأنها: « نزعة عرقية تتعصب لبيئتها وجنسها. يستوى فى ذلك العرب والعجم. وإن كانت تتجه ضد العرب غالبا »[راجع كتابنا : أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ص٣٦٢ – مطبعة آل بسيونى بغزالة ١٩٩٨م]. كما يرى أحد الباحثين أن الشعوبية « تيار فكرى قوامه نزعة عرقية. مقتضاها تفضيل شعب على أخر فى خاصية معينة. يكون الغرض منها التقليل من شأن الآخرين » [الدكتور طلعت أحمد على محسن – الدعوة الإسلامية فى مواجهة الشعوبية ص٥٠ رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة – مخطوط ١٩٨٠م]

بالأفكار السابقة والتمسك بالموروث(١).

..لك فطن المفكر المسلم إلى عالم المعقولات(٢)، فقرر أن المعقـــولات لا تتجزأ، وهى التى يعرفها العقل معرفة صحيحة، مثل الحدود وهى الأشياء المفـــردة، والصور الهيولانية(٣)، والكم المتصل(٤)، فإنه وإن كان لا يتجزأ فى طبيعته، لكنـــه إذا كان متصلا قيل إنه لا يتجزأ، باعتبار أن أوائل الكمية لا تتجزأ، وهى النقطة والخـط والسطح، فإنها جميعا لا تتجزأ من جهة، أما الشيء الذى لا يتجزأ حقا فهو المعقـول الذى لا هيولى له، فإنه لا يقبل التجزئة إلا بالوهم(٥).

---

(١) والله تعالى نعى على أصحاب العقول التى تتمسك بـالموروث الفاسـد. قـال تعـالى: ﴿وإذا قيـل لـهم اتبعوا ما أنزل الله قـالوا بـل نتبـع مـا ألفينـا عليـه آباءنـا أولـو كـان آبـاؤهم لا يعقلـون شـيئا ولا يهتدون﴾ [سورة البقرة – الآية ١٧٠] يقول الحافظ ابن كثير: « يقول تعـالى وإذا قيـل لهـؤلاء الكفرة من المشركين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجـهل قـالوا في جواب ذلك بل نتبع ما ألفينا أي وجدنا عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام والأنداد قـال الله تعـالى منكرا عليهم أو لو كان آباؤهم أي الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون أي ليس لهم فهم ولا هداية » [تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٠٥]

(٢) المعقولات قسمان : المعقولات الأولى: وهى ما يكون بإزائها موجود في الخارج نحو طبيعة الحيوان والإنسان فإنها يحملان على موجود خارجي كقولنا زيد إنسان وفرس حيوان. والمعقـولات الثانيـة ما لا يكون بإزائها شيء فيه كالنوع والجنس والفصـل فإنـها لا تحمـل علـى شـيء مـن الموجـودات الخارجية. [العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المولود ٩٥٢والمتوفـى ١٠٣١هـ – التوقيـف علـى مـهمات التعـاريف ج١ ص٦٦٦/٦٦٧- دار الفكـر المعـاصر . دار الفكـر – بـيروت . دمشـق – ١٤١٠هـ الطبعة الأولى –تحقيق د. محمد رضوان الداية].

(٣) الهيولى: هى المادة الخام الأصلية التى لم يطرأ عليها شيء من التعديل.

(٤) راجع نظرية الكموم لدى مفكرى المسلمين فى كتبهم الكلاميـة أثنـاء الحديـث عـن الأمـور العامـة لتعرف الجهود التى بذلوها فى هذا الميدان.

(٥) العلامة الوليد بن رشد – تلخيـص كتـاب النفس ص١٦٩ – تحقيـق د: أحمـد فـؤاد الأهوانـي – ط١/١٩٥٠ – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

والدارس لفكر أية جماعة إنسانية، يرى أنصار ذات الجماعة يبذلون جهودهم كلها فى التعرف على ما يجرى فى أعراف الرؤساء، ويتمسك به هؤلاء الأشياع، ولا ينتهى به الأمر إلى القول السلبى فى هؤلاء، أو الطعن على غيرهم، مادامت الموضوعات المتناولة مما يجرى للناس فى حياتهم، وفى حدود منه تشتعل شموع أفكارهم.

بدليل أن المتوحد عند ابن باجة[1] هو الذى يجب عليه أن لا يصحب الجسمانى، ولا يكون من غايته الروحانية المشوبة بجسمية. بل إنما يجب عليه أن يصحب أهل العلوم، ولكن أهل العلوم يقلون فى بعض السير، ويكثرون فى بعض،

---

(١) هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجه ، وابن الصائغ التجيبى الأندلسى السرقسطى. ولد فى نهايات القرن الخامس الهجرى أو أواخر القرن الحادى عشر الميلادى بمدينة سرقسطة. توفى عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م. [راجع الأستاذة / زينب محمد عفيفى شاكر – ابن باجه وآراؤه الفلسفية – رسالة ماجستير – مخطوطة بجامعة عين شمس ١٩٧٦م]. ومن مؤلفاته(١) تدبير المتوحد : الذى يعتبره المؤرخون أهم مؤلفاته الكاملة على الإطلاق. (٢)الغاية الإنسانية : وهو قريب جدا من المؤلفات الفنية فى عالم الأخلاق . مضافا إليه تصورات الرجل حول الغاية من الفعل الإنسانى . والعاية الحقيقية من وجود الإنسان نفسه والغاية من علم الإنسان وإمكانية الاستفادة منه والقرب إلى الله تعالى(الدكتورة / وفاء عبدالمعز الأحمر – موقف ابن باجه الأندلسى من الغاية الإنسانية ص٧٣ ط أولى الدار البيضاء سنة ١٩٧٩م .). (٣) الوقوف على العقل الفعال . وهو كتاب مستقل ترجم إلى اللغة العبرية وغيرها من اللغات اللاتينية . وفيه أحاديث مستفيضة واتجاه فلسفى إسلامى خالص متعلق بمفاهيم تخالف ما كان عليه اليونان كثير المخالفة. (الأستاذ / رؤف عبدالكريم - مؤلفات ابن باجه بين التبعية والاستقلال ص١٢١ .) . (٤) رساله الوداع : (٥) قول يتلو رسالة الوداع ، (٦) اتصال العقل بالإنسان . (٧) رسالة فى النفس . (٨) كلام فى البرهان . (٩) مجموعة فى الفلسفة العقلية والطب أيضا . ومحتواها مما أشار اليه بعض الدارسين من أنها كانت تمثل اتجاهات ابن باجه فى مراحلها العلمية المتقدمة التى كان يحرص عليها ، والأرجح أنها النتائج العقلية والتجريبية التى توصل اليها فى العلوم والمعارف التى تعرض اليها ، ولذا فمن المناسب اعتبارها نتائج له ، فى الميتافيزيقا التأملية والممارسات العملية الطبية(الدكتور الحاج زابير بن السماوى • إبداعيات فلاسفة المغرب الطبية ص١٨٥ – ط الدار البيضاء .) . (١٠) فصول فى السياسة المدنية ، (١١) رسائل فى المنطق ، ويذكر أنها توجد فى مكتبة الأسكوريال مخطوطة ، وأنه كتبها بخط يده ، وانه أتمها يوم ٤ شوال ٥١٢هـ(الدكتور سليمان سليمان خميس – بداية الفلسفة الإسلامية فى المغرب ونهايتها فى المشرق ص٣٤ .)

حتى يبلغ فى بعضها أن يعدموا بحيث لا يوجد واحد منهم، ولذلك يكون واجبا على المتوحد فى بعض السيران يعتزل عن الناس جملة ما أمكنه، فلا يلابسهم إلا فى الأمور الضرورية، أو بقدر الضرورة[١].

فابن باجة ينظر إلى الأمور التى يهتم ببحثها نظرة تختلف عن نظـــرة غـــيره المتناول لها من ناحية أخرى، ثم هو ممسك بوجهة نظره لما استقر عنده، وهو موقـن بأنه بلغ فيه المبلغ الآمن، وتربع على قمة النضج والاكتمال[٢]، فأمســـك بـــه و لم يتراجع عنه.

كما يقرر ابن باجة أن قوة التخيل إنما هى قوة تدرك الأمور الـــتى تقـــدم الإحساس بها، وهى غائبة عنا إما بفسادها، أو بكونها غير معرضة للمدرك، وهـــى ليست للإنسان فقط، بل وفى أكثر الحيوان غير الناطق، وليس للحيوان غير النـــاطق قوة أشرف منها[٣].

فهو قد درس قوى النفس، ثم تأمل كل جزئياتها، حتى إذا انتهى إلى النتـــائج التى أمكنه الوقوف عليها تمسك بها وأكد عليها فى كثير من المؤلفات التى خصها لهذا

---

(١) العلامة أبو بكر محمد بن باجة الأندلسى – رسائل ابن باجة الإلهية ص٩٠ – تحقيق وتقديم دكتور ماجد فخرى – طبعة دار النهار للنشر بيروت ١٩٦٨م.

(٢) امتدح الشيخ أبا بكر محمد بن باجة الأندلسى أحد محبيه ومما قاله فيه:

عـد عـن البحـر وأهوالــه ∴ والـبر ما يحويـه مـن معجـب
إن شئت أن ترقى محـل العلى ∴ فاطلب ولا تضجرن مـن مطلب
هـذا أبـو بكـر لـه حكمـة ∴ بينـها فـى مذهـب مُذْهَـبِ
أظـهر للنـاس بـها آيـة ∴ كأنـها معجـزة مـن نبـى
لم تـر الأعـين مـن قبلـه ∴ شمسا بـدت تطلع من مغـرب

العلامة أبو بكر محمد بن باجة الأندلسى – رسائل ابن باجة الإلهية ص١٧٩ (مصدر سابق) .

(٣) العلامة أبو بكر محمد بن باجة – كتاب النفس ص١٣٥ – تحقيق الدكتور محمد صغير حسن المعصومى – مطبوعات المجمع العلمى العربى بتونس ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

الجانب المعرفى، حيث يقرر أن قوة التخيل يمكنها إدراك الأمر المتخيل بالحال الــذى أدركه عليه الحس، مع أن المدرك ذاته ليست من قبيل المحسوسات.

❁ **حيث يقول**: « وأما الأمور التى توجد عن العقل الفاعل فكلها صادقة بالذات لا بالعرض، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق ، وهذه الصور ليســت صــور الأجسام بعينها، فتكون خاصة، ولا هى أيضا مجردة عـــن الهيــولى، فتكــون معقولات عامة، وليس توجد لها النسبة الخاصة، ولا توجد لها حالات المعقولات التامة، بل توجد بين الصور الخاصة والمعقولات[1].

❁ **والشيخ الرئيس ابن سينا**[2] هو الأخر يسبق ابن باجة إلى القول بأن قوة التخيـــل من قوى النفس، وأن الحيوان والإنسان يشتركان فيها، فيقول: « أفعال النفــس ثلاثة: أفعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذية والتربية والتوليـــد، وأفعـــال تشترك فيها الحيوانات جلها، ولا حظ للنبات فيها مثل الإحســـاس والتخيـــل والحركة الإرادية »[3].

إذن هذا البحث المتواصل والتأمل الجيد لمعرفة حقائق الأشياء معرفة دقيقـــة، سواء فى ذلك المحسوسات والمعقولات، والتعرف على أصولها من وجـــه يقيـــنى، والعلاقات القائمة بين بعضها، هو ما يمكن تسميته تفلسفا علـــى الناحيـــة الفنيـــة

---

(١) العلامة أبو بكر محمد بن باجة – تدبير التوحيد ص٧٢ – تحقيق أسين بلاسيوز .

(٢) هو الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبدالله بن الحسن بن على بن سينا (٣٧٥هـ –٤٢٨هـ) كان أبوه من أهل بلخ. ثم انتقل إلى بخارى. ثم سكن بقرية خرمثين. منحه الله القدرة على اكتساب المعارف والعلوم. بل كان قوى القوى كلها. كما يقول هو عن نفسه. بز أقرانه وتفوق على الأكبر منه. فكانت له تصانيف كثيرة فى سائر الفنون العلمية والأدبية والموسيقية. وكان فقيها متمكنا. كما كان صوفيا راقيا. وطبيبا متميزا. وموسيقيا واعيا. مات بهمذان، ودفن بمسجدها. وقبره تحت السور من جانب القبلة، ويذهب البعض إلى أن رفاته نقل إلى أصفهان. ودفن بها فى موضع على باب كونكنين، والله تعالى أعلى وأعلم. [راجع لابن أبى أصيبعة عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ٢ ص٣٤٢، وكذلك مقدمة الإشارات والتنبيهات – القسم الأول ص٢٥٤- تحقيق المرحوم الدكتور سليمان دينا]

(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا – الشفا ص١٦٠ .

الاصطلاحية، باعتبار أن التفلسف إنما تفسير للظواهر المدروسة على ناحية تدفع الباحث حتى يتعرف على أصولها والخصائص المشتركة بينها، ثم العلاقات المتبادلة فيها الجامعة بين أطرافها .

تعريف التفلسف

◈ **ربما يرد على الخاطر سؤال مؤداه:** ما هو التفلسف من ناحية التعريف به، وكونه ظاهرة عامة يشترك فيها كل الناس، أو بالأحرى كيف يمكن تعريف التفلسف حتى تتم المقارنة بينه وبين الفلسفة من ناحية التعريف، وما هي ملامح كونه ظاهرة إنسانية؟

والجواب: « إن التفلسف عملية عقلية متوازنة، يقوم بها المفكر لمعرفة حقائق الظواهر وأصولها، مع ضرورة فحص العلاقات التي تربط بين أجزائها »[١]، ولا يقوم بهذا النوع من التفكير إلا من سلك طريق التأمل العقلي الحر بخصوص بحثه، وألزم نفسه السير فيه؛ بغية الوصول إلى معارف صحيحة.

❋ **كما يعرف بأنه** « التفسير الفلسفي للظواهر وحقائق الأشياء، في صورة تجعل تلك الموضوعات غاية في الوضوح مع الصدق واليقين »[٢]، بحيث تعتبر تلك العملية العقلية هي المعبر الحقيقي عن القدرات العقلية التي يتمتع بها ذلك المفكر، ويتمايز بها عن غيره.

❋ **كذلك يعرف التفلسف بأنه** « البحث عن حقائق الأشياء وأصولها، وعلاقة بعضها ببعض »[٣]، ومادام التفلسف عملية عقلية خالصة؛ فإن أفراد الجنس البشري جميعا يقومون به، كل حسب قدراته العقلية، وملكاته الفكرية، التي زوده الله تعالى بها، وخلقه متمكنا من استعمالها.

---

(١) الدكتورة هناء محمود اليوسف – الفلسفة العامة ص٢٥ – ط١٩٧١/١م – طبعة دار المعرفة بتونس.

(٢) الشيخ أمين محمد الإنطاكي – نظرات في الفلسفة ص٩ ط١ – دار الأنصار ١٩٣١م.

(٣) الدكتور عوض الله جاد حجازي ، والدكتور محمد السيد نعيم : في تاريخ الفلسفة اليونانية ص٦ ط٢

وربما يقال: ما معنى كون التفلسف ظاهرة إنسانية؟

والجواب: أن الظاهرة هي الشيء الذى كان مختفيا، لا يمكن الوصول إليه أو التعرف عليه، كما لا يمكنه الإبانة عن نفسه، ثم خرج وظهر فأمكن الوصول إليه، والتعرف عليه[١]، والإبانة عنه من النواحي المختلفة.

كما تعرف الظاهرة بأنها « موضوع ذو وجود خارجي حقيقي، بصرف النظر عن صلته بالذهن، ولكل علم ظواهره التي يدور بحثه حولها، ولذلك تسمى كل ظاهرة بموضوعها التي تقع فيه، فيقال: الظاهرة الجوية؛ لأنها متعلقة بآثار الطبيعة، كما يقال: الظاهرة الكونية؛ لأنها متعلقة بالعوالم الكونية »[٢].

غير أنه لما كان الذى يقوم بعملية التفكير العقلي والتأمل الفكرى على نطاق واسع هو الإنسان، فقد صارت هذه الظاهرة توصف بأنها إنسانية، لا لأن موضوعها هو الإنسان، وإنما لأن الذى يقوم بهذا الدور هو ذات الإنسان[٣].

بناء على ما سلف؛ يكون التفلسف قاسما مشتركا بين كافة أجناس البشر، وإن اختلفت درجاته ومستوياته، ولا يتخلف عن القيام بهذا النوع من التفكير إلا من شغلته لذته وشهوته عن البحث والتفكير، أو كان ناقص العقل، بعيدا عن التأمل والنظر[٤].

ونظرا لكون بني البشر يتفاوتون في المدارك والقدرات العقلية والملكات، اختلافهم في الألوان والألسنة؛ فإن عملية التفلسف تكون نسبية من ناحية التعمق والتسطح، كما تكون نسبية من ناحية الإجادة للعملية العقلية من ناحية العمق أو التهميش، ويرجع ذلك لاختلاف بين الإنسان في الملكات والقدرات والإمكانيات.

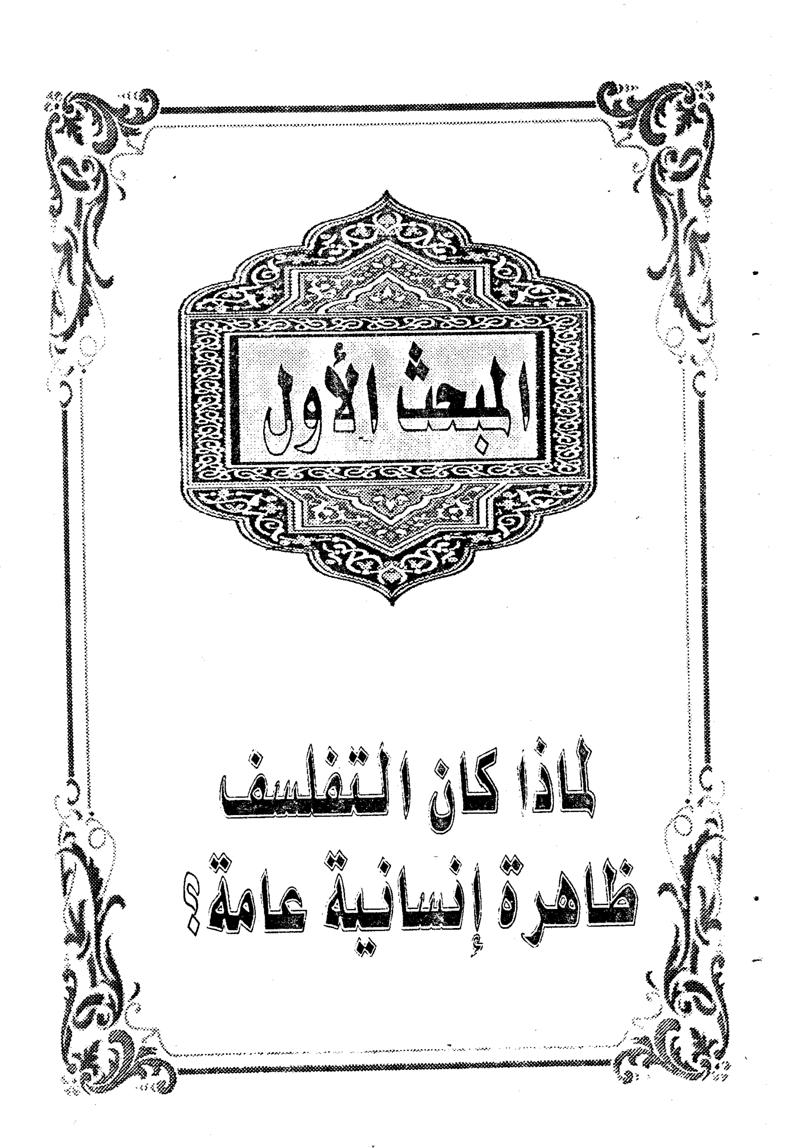
---

(١) الأستاذ صبرى حسن سليم – الظواهر ودلالتها اللغوية ص١٣ .

(٢) الدكتور محمد صالح – الظاهرة تعريفها ودلالاتها ص٣٥ طبعة دار المشرق ١٩٧٧م.

(٣) المعروف عندنا نحن أهل السنة والجماعة أن للجن تفكيرا عقليا خاصا بهم، ولكن لأنهم عالم خفي بالنسبة لنا غيب عنا فإن البحث في معارفهم وكيفية تحصيلها يكون ضربا من البحث في الغيب المنهي عنه شرعا. وإنما يتوقف معرفة ذلك على ما جاء به النقل المنزل وحده. ونحن نقول: أمنا بأن الله تعالى خلق الجان، وجعل لهم حياتهم الخاصة بهم، وأنها ذات نظام لا يعلمه إلا الله ومن اصطفاهم من أنبيائه ورسله وأعلمهم بهذا الأمر.

(٤) دكتور عوض الله جاد حجازى ، ودكتور محمد السيد نعيم : في تاريخ الفلسفة اليونانية ص٦ ط٢



المبحث الأول

لماذا كان التفلسف ظاهرة إنسانية عامة؟

الدارس للفكر الإنسانى والثقافات التى توارثـها الأجيـال علـى أنـها نتـاج ذات الفكـر، يمكنه تقديم إجابة على ذلك التساؤل تقوم فى حدود ما يلى:-

الأول: إنسانية الفكر والتفكير

ذلك لأن الإنسان مخلوق لله جل علاه، وقد زود الله هذا الكائن الإنساني بالعقل، حتى يستوعب ما يلقى إليه من أنوار الوحى الإلهي، ثم يطيل التأمل فى هذه الأنوار، كما يكرر نفس التأمل كلما ألفى من نفسه حاجة لذلك وقدرة على ممارسته.

قال تعالى: ﴿ **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الأيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾(١).

وفى الأثر عن ابن عباس(٢) أنه قال: «أول شيء كتبه الله تعالى في اللوح

---

(١) سورة يونس – الآية ١٠١ . يقول الامام الطبرى : « قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا أيها القوم ماذا في السماوات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها و في الأرض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبرا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات. وقوله ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضي لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدقون به. ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم » [الإمام الطبرى – جامع البيان ج١١ ص١٧٥]

(٢) هو الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو العباس مات النبي صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن عباس قد استوفي ثلاث عشرة سنة ودخل في أربع عشرة وكان يصفر لحيته وكان يكنى أبا العباس، وكان قد قرأ المحكم على عهده صلى الله عليه وسلم دعا له المصطفى صلى الله عليه وسلم بالفقه في دين الله وعلم تأويل كتابه وكان بحرا لا ينزف. مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن معاذ . وعن عمر وميمونة وأم الفضل بنت الحارث وأبي هريرة والصعب بن جثامة وزيد بن أرقم في الحج وأم عبدالله بن الزبير أسماء .... وروى عنه أبو جمرة وأبو زميل وسعيد بن جبير وأبو رجاء وأبو العالية الرياحي رفيع ومجاهد وعطاء بن رباح وأبو عثمان النهدي وأبو المتوكل الناجي وطاوس وسليمان بن يسار وكريب وأبو الشعثاء جابر بن زيد وابنه علي ومحمد بن عمرو بن عطاء... [راجع العلامة أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر المولود ٣٤٧هـ والمتوفى٤٢٨هـ – رجال صحيح مسلم ج١ ص٣٣٩ – رقم: ٧٣١ – دار المعرفة – بيروت]

المحفوظ[١] إني أنا الله لاإله إلا أنا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين »[٢].

۞ **وعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير**[٣] قال: « أول ما كتب بـــالقلم[٤] إني أنـــا التواب أتوب على من تاب »[٥]. وعن ابن عباس قال « إن في صدر اللـــوح

---

(١) قال مجاهد: اللوح المحفوظ عـن يمين العرش وقيل اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخليقة وبيان أمورهم وذكر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم والأقضية النافذة فيهم وما لعواقب أمورهم وهو أم الكتاب. [الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٩٨] وأخرج الطبراني عن ابن عباس أن نبي الله قال إن الله خلق لوحا محفوظا من درة صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلاث مائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء » [المعجم الكبير ج١٢ ص٧٢ رقم: ١٢٥١١].

(٢) الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله المتوفى ٦٧١هـ – الجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٩٨ طبعة دار الشعب – القاهرة ١٣٧٢هـ – الطبعة الثانية – تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

(٣) أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي قيل اسمه هرم وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل عمرو. رأى عليا وروى عن جده وأبي هريرة ومعاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص وثابت بن قيس النخعي وخرشة بن الحر وعبد الله بن يحيى الحضرمي وأرسل عن عمر بن الخطاب وأبي ذر وعنه عمه إبراهيم بن جرير وحفيداه جرير ويحيى ابنا أيوب بن أبي زرعة وابن عمه جرير بن زيد وإبراهيم النخعي والحارث العكلي وطلق بن معاوية وعبد الله بن شبرمة الضبي وعبد الله بن يزيد النخعي وسلم بن عبد الرحمن وأبو حيان التيمي وأبو التياح وأبو فروة الهمداني وعمرو بن سعيد الثقفي وعلي بن مدرك سماه جريرا باسم أبيه وغلب عليه أبو زرعة رأى علياً وكان انقطاعه إلى أبي هريرة وسمع من جده أحاديث وكان من علماء التابعين قال عثمان الدارمي عن بن معين ثقة وقال بن خراش صدوق ثقة وقال جرير عن عمارة بن القعقاع قال لي إبراهيم إذا حدثتني فحدثني عن أبي زرعة فإني سألته عن حديث ما سألته بعد ذلك بسنة أو سنتين فما أخرم منه حرفا وقال البخاري في تاريخه هرم أبو زرعة سمع ثابت بن قيس وعنه الحسن بن عبيد الله وقال في الأوسط قال لي علي بن عبد الله هرم أبو زرعة هذا ليس هو عمرو بن جرير إنما أبو زرعة آخر قال بعضهم إنه غلابي وقال بن عساكر فرق بن المديني وبين أبي زرعة بن عمرو بن جرير وبين هرم أبي زرعة صاحب أبي قيس قلت وذكر بن حبان في الثقات أبا زرعة بن عمرو بن جرير فيمن اسمه هرم ثم قال ويقال اسمه وكنيته. [تهذيب التهذيب ج١٢ ص١٠٩ رقم: ٤٥١]

(٤) القلم جسم نوراني خلقه الله تعالى وأمره بكتابة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ونحن نمسك عن الجزم بتعيين حقيقته وفي بعض الآثار أول شيء خلقه الله القلم وأمره أن يكتب كل شيء وفي بعضها أن الله خلق اليراع وهو القصب ثم خلق منه القلم. [العلامة العجلوني – كشف الخفاء ج١ ص٢٧٦]

(٥) العلامة أبو نعيم الأصبهاني – حلية الأولياء ج٩ ص١٩ .

لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسوله أدخله الجنة »[1].

والعقل قد عرف بأنه غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات[2]، وقال الإمام الفخر[3]: « ليس المراد العلم بكل الضروريات، وإنما ببعضها على و... باعتبار أن الضروريات قد تفقد لفقد شرط التصور كالحس والوجدان، ود... الحال مع الأكمه والفاقد للعين والعنين الفاقدة لذة الجماع، وقد تفقد الضروريات لفقد شرط التصديق كفقد أحدهما، أى الحس والوجدان فى

(١) الحافظ ابن كثير – تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٩٨ ، وراجع الشيخ مصطفى بن أحمد العقباوى – حاشية العقباوى على شرحه لعقيدة الدرديرى ص٧ – المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦هـ. وتم طبعها على نفقة الشيح محمد على المليجى الكتبى.

(٢) عرفه الشيخ أبو إسحاق: بأنه صفة يميز بها الإنسان بين القبيح والحسن وعرفه الفيروز أبادى بأنه نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية، وعرفه بعض الأحناف بأنه نور يشرق للنفس من طريق الحواس الباطنة بما يرتسم فيها من طريق الحواس الظاهرة. [الشيخ محمود برهان الدين – الحركة العقلية الإسلامية ص١٥٧]

(٣) الفخر الرازى هو صاحب التفسير والتصانيف ويعرف بابن خطيب الري واسمه محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف منها التفسير الحافل والمطالب العالية والمباحث الشرقية والأربعين وله أصول الفقه والمحصول وغيره وصنف ترجمه الشافعي في مجلد مفيد. ولد رحمه الله في رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. وقد كان معظما عند ملوك خوارزم وغيرهم وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى . وقد وقع بينه وبين الكرامية في أوقات وكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغون في الحط عليه ويبالغ هو أيضا في ذمهم، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاه سما فمات ففرحوا بموته . وكانت وفاته بمدينة هراة يوم عيد الأضحى المبارك في ذي الحجة سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، ولا كلام في فضله ولا فيما كان يتعاطاه . [راجع البداية والنهاية لابن كثير – ترجمة الفخر الرازى – ٣٧٧/١٠. وراجع الإمام فخر الدين الرازى – حياته وآثاره – للدكتور على محمد حسن العماوى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٥٠٦ سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م – مؤسسة دار التحرير للنشر والطبع، وراجع طبقات الشافعية للعلامة السبكى – ج٥ ص٤٠]

القضايا الحسية، فإن فاقد حس من الحواس فـــاقد للقضايـــا المســـتندة إلى ذلـــك الحس »[١]،

مما سبق؛ اتضح أن الفكر عملية عقلية ذاتية، وحركة داخل النفس الإنسانية، تسعى لهضم ما تأتى به الحواس من إدراكات، ثم تمارس الغريزة العقلية مهامـــها فى دوران تلك الإدراكات، بحيث يمكن التعامل معها على ناحية مقروءة أو مسموعة أو مكتوبة أو مرئية أو أية صورة يقع بها التعبير، أو تظل تلك الإدراكات قائمة فى عقل صاحبها، لا تخرج منه ولا تبتعد عنه.

ومن البدهى القول بأن عملية التفكير ترجمة للفكر نفسه، وهى التى تـــبرزه من المعقول الكامن إلى المفهوم الواضح، وهو اللغة السارية فى كل نوع من أنـــواع الكائنات الحية التى ميزها الله تعالى عن غيرها بالتفكير.

وآية ذلك أن بنى الإنسان يفكرون بالطرائق التى تلائمهم، ويمكـــن ضبـــط ملامح ذات التفكير فيما يصدر عنهم كمظهر من المظاهر التى هيأ الله لهم أســـبابها، ودلهم على طرائقها، وبث فى الكائنات ما يدفعهم إلى مواصلة التأمل واســـتحداث طرائق أخرى فيها[٢].

كما أن جماعة الجن هم الآخرون يفكرون فى طرائقهم الحياتية، بما يتناســـب مع طبيعتهم التى خلقهم الله تعالى عليها، وتسرى فى أغلب أفراد الجن على النحـــو الذى ألمح إليه الذكر الحكيم[٣]، من ذلك قوله تعالى : ﴿**وإذ صرفنا إليك نفرا مـــن الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومـــهم منذرين**﴾[٤].

---

(١) الإمام الشيخ عبدالهادى نجا الإبيارى – كتاب باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح الخوخة السابعة ص١٠٧ – ط١ المطبعة الخيرة حوشى عطى بجمالية مصر على ذمة صاحب المطبعة الشيخ محمد عبدالواحد الطوبى والسيد عمر حسين الخشاب ١٣٠٤هـ.

(٢) الدكتور على محمد رضوان – طرائق المعرفة ص١٣٧ ط١ دار التوحيد ١٩٥٧م.

(٣) ما أذكره هنا من آيات القرآن الكريم إنما هو على سبيل الاستشهاد بـه لا على سبيل الاستئناس والفرق بينهما كبير .

(٤) سورة الأحقاف – الآية ٢٩ . يقول العلامة أبو حيان : « هذه الآية توبيخ لقريش وكفار العرب، حيث أنزل عليهم هذا الكتاب المعجز فكفروا به، وهم من أهل اللسان، الذى أنزل بـه القرآن الكريم، ومن جنس الرسول الذى أرسل إليهم، وهؤلاء جن فليسوا من جنسه، وقد أثر فيهم سماع القرآن الكريم، وأمنوا به وبمن أنزل عليه وعلموا أنه من عند الله بخلاف قريش وأمثالهم فهم مصرون على الكفر به » [أبو حيان – البحر المحيط – ج٨ص٦٧ – دار إحياء التراث العربى – بيروت ط١٩٩٠/٢م].

وذكر العلامة العقباوى أن رسول الله ﷺ كان يعوذ أهل بيته من أعين الجن فيمسح بيده اليمنى على الوجه[١]، ويقول اللهم رب الناس، اذهب البأس، واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك، ففى الحديث الشريف عن عائشة[٢] رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحد مسحه بيمينه ثم قال اذهب البأس رب الناس واشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما »[٣].

---

(١) العلامة العقباوى — حاشية العقباوى على شرح عقيدة الدردير ص٤١.

(٢) السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها . أم المؤمنين (زوج رسول الله ﷺ) . « أبوها : عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التميمي (أبو بكر الصديق بن أبي قحافة) ﷺ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية . ولدت : بعد المبعث بأربع سنين أو خمس ففى الصحيح عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين وبني بي وأنا بنت تسع وقبض وأنا بنت ثمان عشرة سنة، وكانت تكنى أم عبدالله. حيث كناها بابن أختها عبدالله بن الزبير. وكانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة. ففي الصحيح عن أبي موسى الأشعري مرفوعا فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وقال الزهري لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل . وهى من زوجاته ﷺ فى الجنة لما ورد بالسنة النبوية. فعن مرسل مسلم البطين قال : قال : رسول الله ﷺ عائشة زوجتي في الجنة، وعن أبي محمد مولى الغفاريين أن عائشة قالت يا رسول الله من أزواجك في الجنة قال أنت منهن . وروت عائشة - رضى الله عنها- عن النبي ﷺ الكثير الطيب وروت أيضا عن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص وأسيد بن حضير وجذامة بنت وهب وحمزة بنت عمرو وروى عنها من الصحابة عمر وابنه عبدالله وأبو هريرة وأبو موسى، وآخرون كثيرون . وماتت - رحمها الله - سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر. وقيل سنة سبع ذكره علي بن المديني عن بن عيينة عن هشام بن عروة ودفنت بالبقيع » راجع الإصابة فى تمييز الصحابة - (العلامة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ) - الجزء الثامن- كتاب النساء - العين المهملة. القسم الأول [من ذكر لها صحبة، وبيان ذلك]. رقم ١١٤٥٧ ص ١٩/١٧ .

(٣) الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج٦ ص١٢٧ الحديث:٢٥٠٠٣ ، وأخرج البيهقى عن عائشة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عاد مريضا مسح وجهه وصدره أو قال مسح على صدره وقال اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما قالت فلما كان مرضه الذي مات فيه جعلت آخذ يده لأجعلها على صدره وأقول هذه المقالة فانتزع يده مني وقال اللهم أدخلني الرفيق الأعلى » [سنن البيهقي الكبرى ج٣ ص٣٨١ - ١٤ باب وضع اليد على المريض والدعاء له بالشفاء ومداواته بالصدقة رقم:٦٣٨٢]

وعن أبي ذر[(١)] ﷺ عن النبي قال: « من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثاني رجله قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له بكل واحدة منهن عشر حسنات ومحي عنه بها عشر سيئات ورفع له بها عشر درجات، وكان له بكل واحدة

---

(١) أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن وقيل بن عبدالله وقيل اسمه بربر وقيل بالتصغير والاختلاف في أبيه كذلك إلا في السكن قيل يزيد وعرفة وقيل اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس بن بن عمرو بن مليل بلامين مصغرا بن صعير بمهملتين مصغرا بن حرام بمهملتين بن غفار وقيل اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار واسم أمه رملة بنت الوقيعة غفارية أيضا ويقال إنه أخو عمرو بن عبسة لأمه وقع في رواية لابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر يا جنيدب بالتصغير وهذا الاختلاف في اسمه واسم أبيه أسنده كله بن عساكر إلى قائليه وقال هو إن بريرا تصحيف بريق وكذا زيد ويزيد وعرفة وكان من السابقين إلى الإسلام . وقصة إسلامه في الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف ظاهر فعند البخاري من طريق أبي حمزة عن بن عباس قال لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الأخ حتى قدم وسمع من قوله ثم رجع إلى أبا ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاما ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه علي فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يرى النبي صلى الله عليه وسلم حتي أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء حتى كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه فقال ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال إن أعطيتني عهدا وميثاقا أن ترشدني فعلت ففعل فأخبره فقال إنه حق وإنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئا أخافه عليك قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه وسمع من قوله فأسلم مكانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري فقال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه . وأخرج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال :« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتدئ أبا ذر إذا حضر ويتفقده إذا غاب » . وأخرج أبو داود وأحمد « عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر ». وروى أبو ذر عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، وروى عنه أنس وابن عباس وأبو إدريس الخولاني وزيد بن وهب الجهني والأحنف بن قيس وجبير بن نفير وعبدالرحمن بن تميم وسعيد بن المسيب وخالد بن وهبان بن خالة أبي ذر وآخرون . وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلى عليه عبدالله بن مسعود في قصة رويت بسند لا بأس به وقال المدائني إنه صلى عليه بن مسعود بالربذة ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل. راجع الإصابة في تعريف الصحابة لابن حجر العسقلاني – وجدت في: القسم الأول [من ذكر له صحبة، وبيان ذلك].. ٩٨٦٨ – ص١٢٦/١٢٩ .

منهن عدل رقبة، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه من الشيطان و لم يتبع بذنب يدركه إلا الشرك »[1].

فى نفس الوقت فإن البحث فى تفكير الجن أو الملائكة أو غيرهما مما هو داخل فى نطاق الغيبيات، لا يكون مقبولا باعتبار أن العالم الغيبى له أسراره، وما لم يخبرنا الله به فيجب على المسلم التوقف عنده، وعدم الخوض فيه فذلك أسلم من ناحية الاعتقاد، وأحكم من ناحية العقل.

وفى تقديرى: أن التماس التفلسف فى العالم المشاهد من خلال التفكير الإنسانى يعتبر أقرب الطرق لبلوغ نوع من أنواع المعرفة[2]، ألا وهو المعرفة العقلية على أساس أن البحث العلمى يكون موطنه العقل، ولما هو معروف من أن المعارف تكون فى العقل، أما الإيمان فإن محله القلب.

الثانى : تعدد الظواهر وثباتها[3]

شاع بين الدارسين أن الظاهرة هى الشيء الذى لم يكن له وجود ظاهر فى شكل فردى أو جماعى، ثم برز ذلك الشكل أو انجلت تلك الصورة، وتحولت من

(١) العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المولود ٢١٥هـ المتوفى ٢٩٢هـ - البحر الزخار (مسند البزار) ج٩ ص٤٣٨ رقم: ٤٠٥٠ - مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة ١٤٠٩هـ - الطبعة الأولى - تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله.

(٢) المعارف متعددة بتعدد المصادر، كما هى متعددة باعتبار الوسائل والنتائج . فمنها المعرفة الحسية، ومنها المعرفة العقلية، ومنها المعرفة الإلهامية. ومنها المعرفة اللدنية. ومنها المعرفة النقلية. [راجع للدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفى فى الإسلام ص٧٧]

(٣) وردت مادة الكلمة (ظ هـ ر) فى القرآن الكريم أربعين وخمس مرات تقريبا، وقد تكفل ببيان مواطنها فى السور والآيات القرآنية المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.[الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف المفسر باب الظاء مادة ظ هـ ر - ص٥٤٠/٥٤١ (طبعة دار الحديث بالقاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)]

الخفاء إلى الظهور، أو من الاستتار إلى الوضوح والبيان، مستخدمة شكلا جديـــدا يوحى بأنها صارت واضحة ليس من اليسير إغفالها أو نسيان ملامحها(١).

ثم إن الظاهرة لا تعتبر ظاهرة إلا إذا انفلت أمر تفردهــا، وتفـرق حبـل ترابطها؛ لأنها فى بدايتها غالبا ما تكون صورة من شيء ما تفرقت أجـــزاؤه بـين كثيرين، أو تشعبت محاوره بين أفرد معينين، حتى إذا حدث لهؤلاء الأفراد المتفرقـين نوع من التلاقى، وأمكن تجميع ما بداخل كل هذه الأفراد؛ ظهر الأمـر الـذى فى أعماقهم فى صورة جماعية تعرف باسم الظاهرة(٢).

بيد أن الظاهرة مشترك لفظى يطلق على كثيرين من حيث الاسـم، حـتى يصير كالجنس، لكن كل نوع منها يتميز عن باقى مشاركاته بالوصف والإضافـة، من حيث الشدة أو الضعف، العموم أو الخصوص، أو يتمايز عن غيره بأكثر مـن وصف وإضافة(٣)، من أمثال ذلك:

الظاهرة الأدبية : وهى التى تكون متى شاعت صناعة الأدب أو دراسته بـين أفراد قوم برع بعضهم فيه شعر أو نثرا، وبرع بعض أخر فيه قصصا ومسرحا، وبرع بعض أخير فى ذلك اقتباسا أو ارتجالا.

---

(١) الدكتور عبدالجواد أبو طايل – الظواهر الاجتماعية فى منظور علمى تحليلى ص٤٣ ط دار المختار ١٩٦٧م.

(٢) الدكتورة وفاء حسن عبدالعظيم – علم الظواهر ص١٢٩ ط١٩٩٧/١م.

(٣) ولذلك وردت الكلمة فى اللغة على المعانى الآتية. ١- الوضوح والبيان [القاموس المحيط ج٢ ص٨٢ باب الراء فصل الظاء (المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ)] ٢- ما يعقب أصله. [تاج العروس للزبيدى – باب الراء فصل الظاء ج٣ ص٣٧١ (المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ)] ٣- ما يحمل عليه غيره. [قطر المحيط – المعلم بطرس البستانى ج٢ ص١٢٨٢ (مكتبة لبنان – بيروت) منقولة عن ط١٨٦٩]٤- القوة والضعف. [أساس البلاغة للزمخشرى ج٢ ص٦٠٨ باب الظاء (طبعة دار الشعب ١٩٦١م)] ٥- المعاونة والمؤازرة. [المنجد فى اللغة – لويس معلوف – مادة ظهر ص٢٥٧ – تحقيق د: أحمد مختار (ط٢ عالم الكتب ١٩٨٨م)] ٦- العلو والارتفاع. [لسان العرب لابن منظور ج٤ ص٢٧٦٩] ٧- التثبت من الشيء. [مختار القاموس – الطاهر أحمد الزاوى ج١ ص٣٣٩ (طبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٦٤م)].

ومن ثم يقال على هؤلاء: إنه قد شاعت فيهم الظاهرة الأدبية، كالحال مع العرب الجاهليين[١].

الظاهرة اللغوية نحوا[٢] وصرفا[٣]: وهى التى تقوم على دراسة المفردات اللغوية، من حيث بنية الكلمة بحثا فيها وتعريفا بها، ومدى سلامة أو إعلال حروفها، أو بعضها إعلالا مقبولا أو شذوذا، بجانب وجود أو خلوها مما يشين، وكذلك ضبط أواخر حروفها وما يتعلق بهذا الجانب من ناحية الإعراب والبناء، كالحال مع قبائل العرب في الجاهلية، ومدارس الكوفة والبصرة فى ظل الإسلام[٤].

---

(١) الأستاذ نور الدين السيد – دراسات فى الأدب العربى ص١٧ ط دار مراد ١٩٤٧م.

(٢) النحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما وقيل النحو علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده. [راجع التعريفات للجرجانى ج١ ص٣٠٨ باب النون – رقم: ١٥٤١ – تحقيق إبراهيم الإبيارى، وراجع للأستاذ مصطفى غلاينى – جامع الدروس العربية ص٩ – مراجعة الدكتور عبدالمنعم خفاجه]

(٣) الصرف علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال. وفي اللغة الدفع والرد وفي الشريعة بيع الأثمان بعضها ببعض. [التعريفات للجرجانى ج١ ص١٧٤ – باب الصاد – رقم: ٨٦٤] وقال صاحب التعاريف: الصرف بالفتح رد الشيء من حالة إلى أخرى أو إبداله بغيره وتصريف الرياح صرفها من حال إلى حال ومنه تصريف الكلام والدراهم والصريف اللبن إذا سكنت رغوته كأنه صرفت الرغوة عنه والصرف شرعا بيع الأثمان بعضها ببعض والصرف بالكسر صبغ أحمر خالص ثم قيل لكل خالص من غيره صرف كأنه صرف عنه ما يشوبه وفي المصباح الصرف الذائب الذي لم يمزج ويقال لكل خالص من شوائب الكدر صرف لأنه صرف عن الخلط. [العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المولد ٩٥٢هـ والمتوفى ١٠٣١هـ – التوقيف على مهمات التعاريف ج١ ص٤٥٤ باب الصاد فصل الراء– دار الفكر المعاصر . دار الفكر – بيروت، دمشق ١٤١٠هـ – الطبعة الأولى – تحقيق: د. محمد رضوان الداية].

(٤) الدكتور مصطفى حسن الطويل – النحو العربى ومدارسه قديما وحديثا ص٤٣ وما بعدها.

❊ **كما تعرف الظاهرة الفيزيانية** « بأنها حركة معقولة فى الفضاء تصـــل متلقيـــها، كلما كان قريبا منها، بدرجة اكبر مما لو كان بعيدا عنها »[١].

والظواهر من هذه الناحية تتعدد وصفا أو إضافة إلى غير ذلك من الوجـــوه، فيقال الظاهرة الفكرية والظاهرة الفنية، والظاهرة النحوية، والظاهرة البلاغية، كمـــا يقال: الظاهرة القانونية، والإعلامية، والخطابية، والرياضيـــــة، وظـــاهرة الحـــذف والإضافة، إلى غير ذلك من الظواهر التى عنيت بإبرازها المصادر العلمية، ولها وجود على ناحية تفصيلية فى المطولات، وظاهرة التفلسف من هذه الظواهر المتعـــــددة لا محالة.

فمثلا ظاهرة تكون السحب التى تظهر فى قطر من الأقطار، أو بلـــد مـــن البلدان، ثم تظهر فى بلد أو قطر أخر، وثالث ورابع، فإن هذه الظاهرة التى تفرقـــت أجزاؤها فى أكثر من بلد هى نفسها ما يمكن تسميته بظاهرة السحب[٢]، أو تلبـــد الغيوم.

كذلك ارتفاع درجة حرارة الجو فى وقت من الأوقات ببلد من البلـــدان، ثم ظهر ارتفاعها فى بلد أخر، وثالث ورابع، وهكذا فإن هذه الحرارة المرتفعة فى البلدان المختلفة تسمى الظاهرة الحرارية، وكذلك انخفاض درجات الحرارة فى بلدان مختلفة، أو ظهور كميات من البخار فى بلد ما أو منطقة ما، ثم ظهورها مرة أخرى فى مكان أخر، فإن هذه كلها تسمى ظواهر طبيعية[٣]، ويدخل فى نطاقها كل ما كان قائمـــا على ذات القبيل وبأمثالها تتشابه الأشياء.

---

(١) لوسن دياب وآخرون –الموسوعة العلمية الميسرة ص١٥٠/١٥١ (مكتبة اليونـان ١٩٨٥م) . وراجع أساسيات الفيزياء للدكتور سعيد الجزيرى ص٤١٧ باب الراء فصل الطاء.

(٢) تتعدد ظاهرة السحب فى أنواعها، فمنها السحب الركامية، وذيل الحصان. والسحب الرعدية. والسحب المبرقة. [لمزيد من التفاصيل راجع للدكتور محسن محمد صالح – الظواهر الجوية ص١٣٧ وما بعدها]

(٣) الدكتور عبدالمحسن السيد شعلان – الظواهر بين اللغة والمفاهيم ص٧٧ ط١/١٩٥٥م.

أما إذا انتقلنا من المحسوسات إلى عالم المعقولات، وأردنا الحديث عن الظاهرة، وتقديم تعريف يجعلها قريبة المنال؛ فإن ذلك يصير أمرا سهلا فى وروده، ممكنا فى وقوعه على ناحية من النواحى التى قصد إليها أصحابها.

❊ **مثال:** ظاهرة ارتفاع سعر سلعة من السلع فى بلد ما بحيث يئن من هذا الارتفاع أصحاب الدخول المتوسطة والأدنى منها، وتكثر الشكوى فى العديد من الأماكن، أو كثير من البلدان فإنها لكثرة ورودها على هذه الناحية تسمى ظاهرة[1]، لكنها هذه المرة قائمة على ناحية عقلية، وليست حسية، وهى ظاهرة ارتفاع الأسعار، ولو عكست لكانت ظاهرة انخفاض الأسعار، وبخاصة إذا كان الارتفاع والانخفاض فى إطار الأمور المعقولة، باعتبار أن كل علم من العلوم له ظواهره التى يجرى فيها، ولا يمكن فهمه إلا من خلالها، كما أن أبحاثه دائما تدور حولها[2].

الثالث: التفلسف أم الظواهر

لا شك أن التفلسف لما كان عملية عقلية خالصة، فإن سائر الظواهر الأخرى تنطلق منها، او تقوم عليها، باعتبار أن الأصل فى المسألة هو الفكر نفسه، وحيث لا يوجد شعب من شعوب العالم إلا وفى أفراده غريزة التفكير، وطبيعة التأمل، فإن ظاهرة التفلسف هى التى تقوم عليها كافة العمليات العقلية الأخرى. كما أن التفلسف فى حقيقته ما هو إلا بحث حقائق الأشياء والتعرف على أصولها، وضبط العلاقات القائمة بين هذه الأصول[3].

فالمتأمل فى الأنساب والقائم على مفاهيم السير والمغازى، والسائر فى حنايا الملاحم والبطولات، كل هؤلاء إنما يستخدمون قاعدة التفكير الأصلية التى أطلقت

---

(١) الدكتور ريكادز الفونسى – الظواهر دراسة عملية ص٣٥ ط دار النجا – ترجمة هناء خيرى.

(٢) الشيخ عبدالقوى عبدالغنى النبهانى – لا تشعروا فالله المسعر ص٥٧.

(٣) الأستاذ توفيق محمد بدوى – الفلسفة ميادين وموضوعات ص٣٧ طبعة أولى ١٩٣٥م.

عليها اسم التفلسف من ناحية الموضوع الذى يحاولون السير فيه، والمنهج الذى اختاره كل منهم لنفسه، بجانب الغايات التى يسعى إليها كل واحد منهم على حده.

كذلك المهندس — أيا كان الفرع الذى يمارس البحث أو التأمل فيه — والطبيب أو الصانع، فضلا عن المزارع، والأديب، أو عالم النحو والبليغ، بجانب الفقيه، كلهم يبذلون جهودهم العقلية، ويستعملون قدراتهم الفكرية، مستخدمين القاعدة الأولى الأصلية، وهى قاعدة التفلسف، أو ظاهرة الأم، بغية الوصول إلى النتائج التى يتوقعونها[١]، أما لماذا؟

فلما سبق القول به من أن اهتمامهم بالبحث حول أصول الأشياء، ومعرفة حقائقها التى هى مناطق البحث عندهم، وميادين التأمل بالنسبة لهم، إنما يركزون فيها على نقطة أساسية هى معرفة الأسس والقواعد العامة، والأصول الثابتة فى الموضوعات التى يبحثونها، وعلاقة هذه الأشياء أو الأصول والموضوعات ببعضها وبغيرها من الكائنات الأخرى المنبثة فى الكون الواسع، وذلك هو التفلسف بالمعنى الفنى، أو هو التفلسف فى تعريفه الدقيق.

ثم إن العمليات العقلية إن لم تكن لها غايات تتوجه إليها، فإنها تكون عبثا لا طائل من ورائه، والعاقل لا يتوجه إلى العبث أبدا، لما هو معروف من أن العقول السليمة والفطر النقية قد جبلت على السير خلف ما له غاية وهدف، والسعى نحوه بكل طاقة ممكنة، حتى تمتد أسباب الحياة فى صور متقدمة، ويتحقق للناس الخير فى مفهومه العام[٢].

أما إذا لم تكن للعمليات العقلية غاية، فإن النفس الصحيحة والفطر السليمة والعقول النقية تستنكف السير فيها، وإن دخلت إلى هذه المنطقة، فإنها لا تستمرئ مواصلة السير فى الخطأ، وإنما تنصرف عنه فى شكل سريع، كما تحاول معالجة الأخطأ التى وقعت فيها من جراء المتابعة الخاطئة لأفكار أو نظريات غير صحيحة، وذلك شأن التفلسف الحر.

---

(١) الشيخ هلال محمد أبو سلطان — الفلسفة والميتافيزيقا ص٤٥ ط٢ دار الهدى ١٩٣٧م.

(٢) الأستاذ محسن محمد ناصر — البحث العلمى وغاياته ص١٩ ط المطبعة الهلالية ١٩٤١م.

الرابع: تدارك المواقف

من المعلوم أن الإنسان ليس معصوما – إلا من كان نبيا(١) – وإنما هو عرضة للأخطاء التي قد تأتيه من أية ناحية، ففي الحديث الشريف عن أنس بن مالك ﷺ قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون(٢) »(٣).

ولما كان الإنسان عرضة للأخطاء بهذا الشكل؛ فإن الله تعالى منح الإنسان ذاته القدرة على مراجعة نفسه، وتدارك أخطائها، بل والتوبة منها إن كانت مما يتعلق بالناحية الاعتقادية، أو النواحي الشرعية والأخلاقية.

وهذا التدارك للمواقف يأخذ عدة طرق قد تتكامل بعضها مع بعض، أو يحدث نوع من الافتراق، لكنه في مجمله يعبر عن قاعدة ثابتة على تأمل المواقف وتدارك الأخطاء، والسعي نحو الكمال الإنساني والتكمل الأخلاقي، بل والتجمل الوجداني، متى كان إلى ذلك من سبيل(٤).

فمن خانته ملكاته في تقدير موقف ما، أو خدعه بريق فكر غير أصيل، وعند الممارسة فوجئ بأن ما هو سائر فيه ليس صحيحا، ولن يؤدي إلى نتائج إيجابية، فإنه يعيد النظر في الخطوات التي قطعها، ويتأمل البدايات التي انطلق منها، وبناء عليه يقرر ما إذا كانت خطواته قد حالفها التوفيق على سبيل المظاهرة والموازرة، أم جانبها على سبيل المعاندة والمناكرة، وهو معنى التفلسف.

وما من كائن مفكر يسلك طريقا إلا وهو مفكر فيه، كيف يبتدئ، إلى أين يتجه؟ لماذا أختار هذا دون سواه، ما الغاية التي ينجذب إليها؟ وما هي النتائج التي يبحث عنها، أو يرجو بلوغها(٥).

---

(١) لما هو معروف أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء وهي حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه. [راجع حاشية العلامة الأمير ص١٤٨، وحاشية الشيخ العقباوي على شرحه لعقيدة الدردير ص٩٦]

(٢) التوابون أي الرجاعون إلى الله بالتوبة من المعصية إلى الطاعة. [العلامة محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا المولود ١٢٨٣هـ والمتوفى ١٣٥٣هـ – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج٧ ص١٧١– دار الكتب العلمية – بيروت – عدد الأجزاء ١٠]

(٣) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج٤ ص٦٥٩ رقم: ٢٤٩٩ ، وأخرجه ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج٢ ص١٤٢٠ رقم: ٤٢٥١ ، والحاكم – المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٢٧٢ رقم: ٧٦١٧]

(٤) هذا مما تشهد به وقائع الحياة المعاشة، ويجري في أعراف الناس، وقد لا يجد المخالف في الرأي نماذج إن حاول الاستدلال على ما يزعمه أو يدعيه.

(٥) والذي يمارس ذلك هو الفليسوف الذي أمكنه أن يضبط ناحية التفلسف عنده على ناحية صحيحة.

وبحمل تلك الأسئلة يتيح لذات الإنسان إعادة النظر فى الخطوات التى قام بها، أو التى يفكر فى ابتداء القيام بها، كما تدفعه تأملاته إلى مراجعة نفسه فى حوار داخلى، وهو ما يعرف بالمنولوج النفسى، حيث يكون حديثه مع نفسه لنفسه من نفسه، وهو التفلسف بالمعنى الفنى.

وآيات الذكر الحكيم ذاخرة بهذا النوع من التفكير القائم على مراجعة النفس لما سبق أن سلكته، ومعاودة النظر فى المواقف التى يجب تداركها، من ذلك ما يتعلق بالعقيدة(١):

(١) وردت مادة " ع ق د " فى القرآن الكريم ست مرات تقريبا(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بإحصائها – الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " مادة عقد " ص٤٦٨ – مكتبة الغزالى – دمشق)، كما وردت مادة الكلمة فى لغة العرب على أنحاء شتى. ومعان متعددة. نذكر منها :– ١– ما عقد عليه الأمر :–ومنه قولهم : " عقد فلان الأمر " بمعنى انعقد عليه قلبه وضميره. فلم يخرج عنه. وصار بالنسبة له عقيدة يراعى ظروفها. ويحافظ عليها متمسكا بها(المعجم الوجيز – باب العين ص٤٢٦ (طبعة ١٩٩٤م – مجمع اللغة العربية)) .٢– ذات الأمر المنعقد :– ومنه قول العرب : " تعاقد القوم فيما بينهم ". وصار ذلك الأمر قاسما مشتركا يجرى فى قلوبهم مجرى العقيدة فى النفوس. بحيث لا يخرجون عليه. ولا يتراجعون عنه(الإمام / محمد بن أبى بكر عبدالقادر بن الرازى – مختار الصحاح – باب العين ص٤٤٥ (الطبعة الأميرية – مصر ١٩٧٥م)) .٣– ما يدين به الإنسان :– سواء أكان ذلك من قبيل الاعتقاد كعقيدة وجود الله تعالى، أم كان من قبيل الارتباط الشرعى كعقد النكاح(العلامة أحمد بن محمد بن على المقريزى – المصباح المنير ص٥٠١ (الطبعة الثانية ١٩٠٦م)) .٤– الالتزام الخالى عن الشك والظن :–ومنه قول العرب " عقد فلان كذا " بمعنى أنه صار موثقا لا يقبل الشك مع الالتزام به(المعجم الوسيط ص٦٣٧ – جـ٢ مجمع اللغة العربية (الطبعة الثالثة ١٩٨٥)) ٥– التعاهد والمضى فى المسألة حتى النهاية :–ومنه قول العرب : " تعاقد القوم على الأمر بمقاتلة الأعداء حتى الغلبة. مهما كان حلف الآخرين قويا "(ابن منظور – لسان العرب المحيط جـ٢ ص٨٣٥. إعداد / يوسف الخياط – دار لسان العرب بيروت) . ٦– الانغلاق النفسى والتهيؤ لفعل الشر :– ومنه قولهم " عقد فلان ناصية رأسه إذا غضب فانغلق وتهيأ للشر سواء كان دافعا له أو مبتدئا به(الأستاذ الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى – مختار القاموس ص٤٣٠ (الطبعة الأولى ١٩٦٤م – دار لسان العرب بيروت)). ٧– البناء للمنزل أو الأسرة أو البيعة :–يقال : " عقد فلان أصل داره"، ومعناه ابتدأ فى وضع اللبنات الأولى. وعقد على زوجه حتى يبتنى بها، " وعقد بيعة " بمعنى أنه انتهى معه إلى أمر، ومنه ما يستقر فى الضمير والقلب، ويؤمن به الإنسان(الإمام الزمخشرى – أساس البلاغة ص٤٢٩ دار الفكر. وأبو منصور الأزهرى – تهذيب اللغة جـ١ ص١٩٦ ط الأولى) .٨– العزم القوى :–ومنه قولهم : " عقد فلان عزمه ليبطل عمل غيره ". وربما نستأنس لذلك المعنى بقوله تعالى ﴿ " ومن شر النفاثات فى العقد " ﴾(سورة الفلق – الآية ٤). لأن الساحر يعقد عزمه على إبراز قوته والإضرار بغيره(معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ٢ ص٢٣٣ مجمع اللغة العربية – الطبعة الثامنة – الهيئة العامة للتأليف) المعنى التاسع : الاقتناء والسمة الغالبة :–ومنه قولهم : " عقد فلان العقار " بمعنى تملكه واقتناه. وكذلك " عقد الولاية "؛ لأن صاحبها تغلب عليه سمة القرب من الله. والقيام بالواجب الذى يرضيه جل علاه. أو الابتعاد عنه لقربه من الشيطان، أو انعقاد أمر الأمة عليه حتى يكون قائدا لها(الأب بطرس البستانى – قطر المحيط ص١٤٠٥ – مكتبة لبنان ١٨٦٩م) .١٠ الصعوبة البالغة :– قالت العرب : " هذا كلام غامض "، ومعناه أنه معقد لا يفهم إلا بصعوبة، سواء كان ذلك عند المتحدث به، أو المستمع له(الأب لويس معلوف – المنجد فى اللغة والعلوم والأدب ص٣٥٥ بيروت ١٩١٣م)

ﷻ قوله تعالى : ﴿قتل الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره * كلا لما يقض ما أمره﴾[1].

❁ **يقول الإمام الطبري** : « لعن الإنسان الكافر ما أكفره فعن مجاهد قال ما كان في القرآن قتل الإنسان أو فعل بالإنسان فإنما عني به الكافر، وفي قوله ﴿ أكفره ﴾ تعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده، وقوله تعالى ﴿ من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ﴾ أي شيء خلق الإنسان الكافر ربه حتى يتكبر، ويتعظم عن طاعة ربه والإقرار بتوحيده، ثم بين جل ثناؤه الذي منه خلقه فقال من نطفة خلقه فقدره أحوالا نطفة تارة ثم علقة أخرى ثم مضغة إلى أن أتت عليه أحواله وهو في رحم أمه ثم السبيل يسره يقول ثم يسره للسبيل يعني للطريق، والسبيل الذي يسره لها هو خروجه من بطن أمه، قوله ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ يقول ثم قبض روحه فأماته بعد ذلك، يعني بقوله أقبره صيره ذا قبر والقابر هو الدافن الميت بيده، والمقبر هو الله الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته فصيره ذا قبر.

وقوله ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ يقول ثم إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه يقال أنشر الله الميت بمعنى أحياه ونشر الميت بمعنى حيي هو بنفسه. وقوله ﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾ يقول تعالى ذكره كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله لما يقض ما أمره لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض ربه »[2].

ﷻ وقوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾[3].

---

(١) سورة عبس – الآيات ٢٢/١٧ .

(٢) الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر المولود ٢٢٤هـ والمتوفى: ٣١٠هـ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٣٠ ص٥٤/٥٦ – دار الفكر – بيروت ١٤٠٥ هـ .

(٣) سورة الطور – الآيتان ٣٦/٣٥ .

ﷻ وقوله تعالى: **﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾**(١).

❁ **يقول العلامة ابن كثير** : « قوله تعالى: **﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾**، أى اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك، فقال: **﴿أشهدوا خلقهم﴾** أى شاهدوه، وقد خلقهم الله إناثا، **﴿ستكتب شهادتهم﴾**؛ أى بذلك. **﴿ويسألون﴾** عن ذلك يوم القيامة، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد »(٢).

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تحدثت عن المواقف التى قد يتخذها الإنسان فى دائرة الاعتقاد، ثم يسارع بعض أفراد منهم إلى مراجعة المواقف، والتخلى عن هذه الاعتقادات الفاسدة ، والأفكار الخاطئة، والتخلص منها كلية، بل والانقلاب عليها كفرا بها ومعاداة لها، ومحاربة لمن يعتنقونها(٣).

ولا يغربن عن ذى بال أن مراجعة المواقف، وتدارك الأخطاء سمة الإنسان العاقل مهما كان مستواه الفكرى، المهم أن تكون لديه قدرات عقلية، أما إذا لم ... لديه قدرات عقلية؛ فإن ما يصدر عنه لا يعتبر داخلا فى نطاق المواقف التى

---

(١) سورة الزخرف – الآية ١٩. وكل هذا زور وبهتان، لا منطق له من العقل، ولا مستند من النقل الصحيح. [الأستاذ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن – م٥ ج٢٥ ص١١٧ دار الفكر العربى ١٩٧٠م] وفى نفس الوقت؛ « فإن الملائكة ليس من طبيعتهم التناكح والتناسل؛ لأن الله تعالى جعل منهم سفراءه فيما أخبروا به، فلا يقع لهم التناكح ولا التوالد ». [شيخ الإسلام العلامة إبراهيم الباجورى، حاشية الباجورى على السنوسية وبهامشها تقرير العلامة الأنبابى ص٦٠] « كما أن التناكح والتناسل ينتجان عن الشهوة، والله ﷻ قد جرد الملائكة من تلك الشهوة، حيث قال الله لهم: كونوا على تلك الهيئة، فكانوا عليها ». [الدكتور أحمد أبو السعادات وآخرون – البراهين الواضحة فى العقائد والأخلاق الإسلامية ص٨/٧]، وعلى هذا النحو جاء أمر الفكر الإسلامى، واستقر الخلاف بين المسلمين فى عصمة الملائكة عن ذلك كله.[العلامة السعد التفتازانى – شرح مقاصد الطالبين ج٢ ص١٩٩]

(٢) الشيخ محمد على الصابونى – مختصر تفسير ابن كثير – م٣ ص٢٨٧ – طبعة دار الصابونى ١٩٨٨م .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية ، فقد ذكرت بعض النماذج لذلك النوع من تدارك المواقف الخاطئة والتخلى عنها، وراجع تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام للإمام الحافظ الذهبى، وسيرة النبى ﷺ لابن هشام، واسد الغابة فى معرفة الصحابة للابن الأثير، والأصنام للعلامة ابن الكلبى، وغيرها مما تعرض لمرحلة الانتقال من الكفر إلى الإيمان.

يقوم بها؛ لأنه حينئذ يصير كالآلة التي تؤدى عملا؛ نظرا لضبطها على القيام به، وربما كان عمل الآلة سليما، أما صاحب القدرات العقلية المنعدمة فقد رفع الله عنه مسئولية ما يصدر عنه، كما رفع عنه التكليف ففي الحديث الشريف الذى روته السيدة أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر »[1].

كما أن الذين لا يحاولون تدارك المواقف كبرا وحسدا، أو عنادا ولجحا، إنما يعبرون عن نفوس مريضة، وعقول غير سوية، ومثلهم فى تاريخ البشرية قليل، لكنهم

---

(١) الإمام أبو داود – سنن أبي داود – كتاب الحدود – باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا – الحديث رقم:٤٣٩٨- ج٤ص١٣١(تحقيق صدقى محمد جميل – طبعة دار الفكر بيروت ١٩٩٤م) . وأخرج فى الباب نفس بالحديث رقم:٤٤٠٣ عن على رضي الله عنه « رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم. وعن المجنون حتى يعقل".» وذكر فى نفس الباب الحديث رقم: عن ابن عباس قال:« مر على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمعنى عثمان قال: أو ما تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم؟" قال: صدقت. قال: فخلى عنها. ». وروى أيضا فى نفس الباب الحديث رقم: ٤٤٠٢- عن أبي ظبيان، قال هناد: الجنبي قال:« أتي عمر بامرأة قد فجرت، فأمر برجمها، فمر علي رضي الله عنه فأخذها فخلى سبيلها. فأخبر عمر فقال: ادعوا لي عليا، فجاء علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ. وعن المعتوه حتى يبرأ" وإن هذه معتوهة بني فلان، لعل الذي أتاها أتاها وهي في بلائها. قال: فقال عمر: لا أدري، فقال علي رضي الله عنه: وأنا لا أدري » . وأخرج الإمام الترمذى بسننه (وشرح العلل) – باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد. في الحديث رقم: ١٤٤٦ عن الحسن عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «"رفع القلم، عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ. وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل"» وذكر ابن ماجة بسننه – باب طلاق المعتوه والصغير والنائم. في الحديث رقم: عن عائشة؛«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ. وعن الصغير حتى يكبر. وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق)».

يمثلون نوعا من الأخطاء البشرية، كما يعبرون عن سلوكيات غير سوية، ومثلهم لا وزن لهم فى دنيا أصحاب العقول السليمة، كما لا اعتداد بهم بين أصحاب التفكير الصحيح.

◈ **ما الذى تحتاجه عملية التفلسف؟**

☜ **عملية التفلسف التى يقوم بها المفكر من بنى الإنسان هذه تحتاج ما يلى :**

[١] **مفكر على قدر من النضج العقلى**، والرغبة فى التأمل، والسباحة الفكرية فى محيط العالم المشاهد والغائب، أو المحسوس وغير المحسوس، على قدر طاقته الذهنية، وثقافته العلمية، من غير قفز إلى الغيبيات الدينية، التى نهى الله تعالى عن الخوض فيها(١)، والذى يقوم بذلك هو الفيلسوف أو المفكر العقلى الحر.

[٢] **ميدان يجرى فيه الفيلسوف أبحاثه، ويطيل فيه تأملاته**، وهو حقائق الأشياء من حيث هى، سواء باعتبارها منفردة أم مجتمعة، وسواء نظر إليها على أنها وحدة تقبل الانقسام إلى أجزاء، أم نظر إليها على أنها جزئيات يصلح لها التركيب فتصير كليات(٢).

[٣] **موضوع** هو العلاقات المتبادلة بين الكائنات التى تربطها ببعضها على نحو ما من الأنحاء، بحيث تكون هذه العلاقات واضحة المعالم(٣)، على غير عال من التمايز الدقيق.

---

(١) ففى الحديث الشريف عن النبى ﷺ قال: « إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها » [العلامة المتقى الهندى - كنز العمال - الباب الثانى: فى الاعتصام بالكتاب والسنة - الحديث رقم: ٩٨٠ - وذكره العلامة أبو نعيم الصفهانى - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٩ ص١٧ دار الكتب العلمية - بيروت]

(٢) راجع كتابنا : الحثيث فى المنطق الحديث ص٢٩٣ وما بعدها.

(٣) الدكتورة تهانى فريد الوشيحى - الفيلسوف والفلسفة عملة واحدة ص٧٥ ط١ مراكش ١٩٨٥م.

[٤] **غاية**: وهى الوصول إلى إجابات كافية محددة حول الحقائق المدروسة، كما يجب أن تكون محددة الهدف، وصورة العلاقة التى تربط بينها جميعا، حتى يقع التفلسف على ناحية دقيقة.

◈ **وربما يقال**: لماذا كانت هذه الأجزاء ضرورية لعملية التفلسف؟ ألم يكن من الأجدر إتاحة الفرصة للعقل، حتى يمارس مهامه دون قواعد سبق التأكيد عليها، وقيود تمثل بالنسبة للعقل بعض العوائق عن الانطلاق والتحرير الفكرى[١]؟

☜ **والجواب**: أن هذه القواعد والقيوم تمثل عناصر ضرورية لعلمية التفلسف ذاتها. أما لماذا؟

فلأن التفلسف عملية عقلية يمارسها كل أفراد الجنس البشرى، ويقع فيها التناسب، إذ ليس كل العقلاء على قدر واحد من التفكير أو مستوى ثابت من التأمل العقلى، صحيح هناك حدود لا يمكن النزول بها إلى ما هو أدنى أو التنازل عنها، بحيث يقع إنكار للبدهيات، أو تجاوز وتجادل فى المسلمات، ولكن هذا لا يمنع من الاعتراف الصحيح بأن الناس جميعا يتفاوتون فى قدراتهم العقلية ومستويات التأمل والتحصيل أيضا[٢].

من ثم فمن المؤكد وجود نوع من التمايز بين كل المفكرين فى تناول المسألة الواحدة، كما يوجد بينهم تمايز أخر فى كيفية عرض المسألة المبحوثة، والأصول التى قام عليها التفكير، والمنهج المستخدم فى ذات الواقعة المدروسة أو الظاهرة المبحوثة.

أجل هناك بعض الناس تغلبهم شهواتهم، وتسيطر عليهم لذائذهم الجسدية، حتى تصير بالنسبة لهم هى الهدف الأسمى والغاية العظمى، ومن كان على هذه

---

(١) هذا التساؤل مما يتوجه به أصحاب التفكير العبثى واللامعقول، وهم بهذا يلغون العقل كلية، لأنه إذا لم تكن هناك قواعد يقوم عليها التفكير، فمن أين يعرف العقل صحة هذا التفكير من فساده.

(٢) راجع للدكتور هنرى اشتاينبك – القدرات العقلية والفروق الفردية ص٤٥ ط١ ترجمة صبحى إسكندر ١٩٥٧م.

الشاكلة فلا يمكن حرمانه من التفلسف أو حجب الوصف به، ولكنه يكون تفلسفا ضيقا منحصرا عاجزا عن القفز فوق الماديات(١)، باعتبار أن جذوة التفلسف فى كل الناس موجودة، لكنها تخبو أو تشتعل فى أعماق البعض، لأسباب قد تكون ذاتية، أو خارجية، وبالتالى فكل الناس لديهم استعداد لممارسة التفلسف على نسبة من النسب أو صورة من الصور.

اللهم إلا أن يكون هذا الإنسان واحدا ممن تغلب لذته عقله، وتملى الغريزة عليه ما تملى، أو يقف عقله عاجزا عن فهم الظاهرة لكونها أعلى من قدراته. وفوق إمكانياته، أو أنه غير مدرب على تناولها مرات، بحكم وجود علة فى عقله، أو فقدانه بعض الملكة(٢) التى يمارس بها التأمل نظرا لوقوعه تحت عدوان لم يستطع دفعه، أو كان ناقص الأهلية غير قادر على معالجة هذه المسائل التى يراها غير مقدور عليها من ناحيته، أو لكونه حصر قدراته فى دائرة المحسوسات، فليس له استعداد للنظر أو تأمل المعقولات، من ثم أمكن القول بأن التفلسف ظاهرة إنسانية عامة فى كل بنى الإنسان.

كانت هذه العملية العقلية – التفلسف – قاسما مشتركا بين كل أفراد الجنس البشرى، فمن المؤكد أن كل المجتمعات البشرية قد كان لها نصيب من ممارسة التفلسف من آية ناحية كان، يستوى فى ذلك أن يكون التفلسف فى جزئيات العالم المشاهد المحسوسة وحدها، أو فى المعقولات وحدها، أو فى كل من المحسوسات والمعقولات على السواء.

---

(١) راجع كتابنا: رياض الأشواك فى الميتافيزيقا والأخلاق ص١٧ .

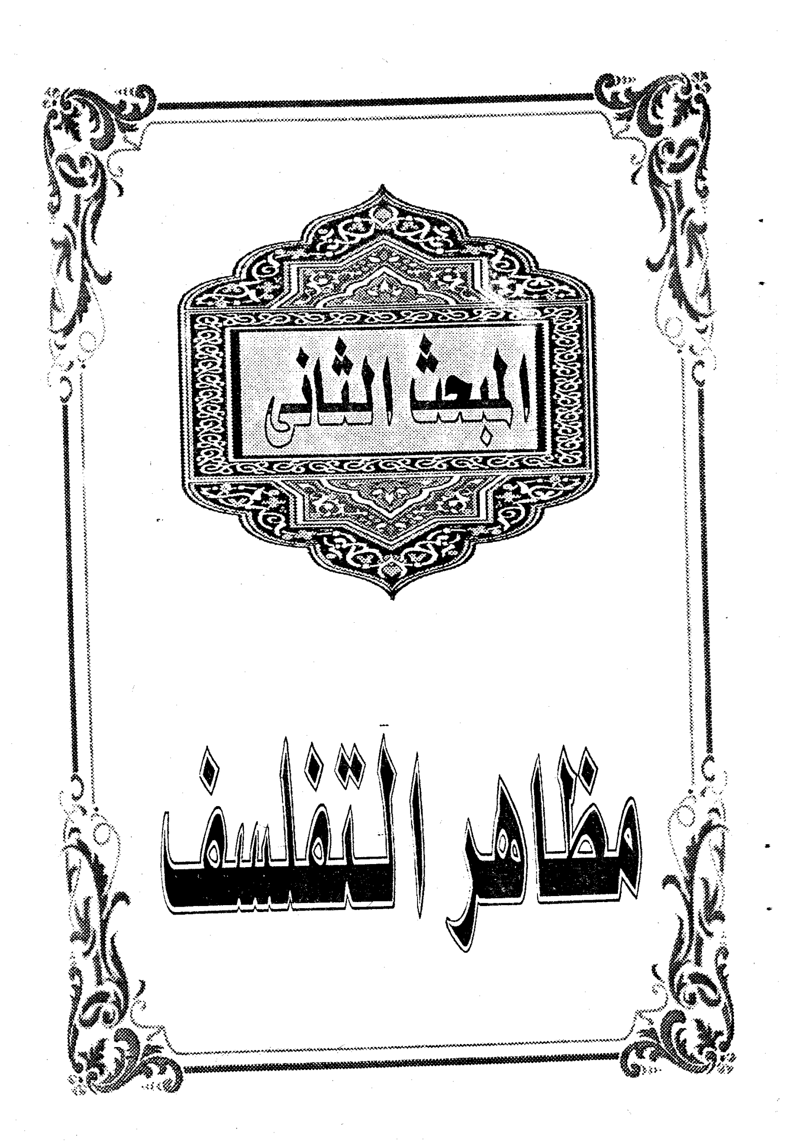
(٢) هناك فرق بين الآلة والملكة، فالأذن آلة السمع، ولكن الملكة موجودة فى الدماغ على هيئة خلايا مخية، وكذلك الحال مع البصر والشم والذوق واللمس، فكلها آلات تغذيها ملكات، فإذا فقدت الملكة لم تنفع الآلة، أما إذا فقدت الآلة فقد تؤدى الملكة بعض أعمالها، كالحال مع الأذن. فلو قطع الجزء الخارجى البارز منها، والملكة فى الدماغ سليمة فإن الإنسان يستطيع ممارسة ما تدل به الملكة مباشرة.

وبناء عليه؛ يمكن القول بأن التفلسف قد تجاوز حدود المكان الذى انطلقت منه المعالم الأولى هى صار سمة بارزة فى المجتمع الإنسانى كله[١]، كما قفز من حدود موضوع واحد بعينه إلى موضوعات كلية ومسائل عامة بعضها مما يتعلق بالدنيـــــا، وبعضها مما يقع فى تفهم النصوص الواردة عن الآخرة.

مما سلف؛ اتضح أن التفلسف عملية عقلية، وأنه ظاهرة إنسانية، وأنها ترد فى أفراد الجنس البشرى بدرجات مختلفة قوة وضعفا، ضيقا واتساعا، تسطحا وتعمقـا، وأنها فى كل أفرد البشر العقلاء، ومن لديهم مسحة من تفكير منتظم، لكن ما هـــى مظاهر ذلك التفلسف فى الحياة العامة؟

---

(١) الدكتور فوزى محمد جميل – علم النفس والتفكير ص٧٧ ط١٩٧١/١م.


المبحث الثانى
مظاهر التفلسف

مما لا شك فيه أن التفلسف كعملية عقلية لابد أن تكون له مظاهر تدل عليه، يستوى فى ذلك أهل المشرق والمغرب على قدر سواء، كما يقاسمهم نفس الاتجاه الشمال والجنوب، بحيث يعم المعمورة كلها.

وتتمثل مظاهر التفلسف غالبا فى :ـ

١ـ بناء الحضارات[١]

حيث تذكر أبحاث تطور الحياة على الأرض: أن الإنسان يعيش عليها منذ عدة ملايين من السنين، أما الحياة العضوية فعمرها أكبر من مليار سنة، والحياة العضوية المرتبطة بوجود مركبات جزئية كثيرة الذرات ومعقدة ممكنة فقط عند ظروف حرارية معينة[٢]، وبالتالى فعماد الحضارة هو الإنسان المفكر ذاته، الذى يقوم بتسخير الإمكانيات وتدويرها، حتى تتوافق مع ما يتطلب منها.

لكن من الضرورى القول بأن الحضارة لا تقوم من ذاتها ولا تنبت وحدها وإنما لابد لها من ثوابت تقوم عليها، وقواعد تنطلق منها، حتى تعد هى الأصول والأسس التى تقوم على أكتافها الحضارة ذاتها، بحيث تنمو فى رحابها وتزدهر بين جنباتها، ولا يكون ذلك إلا بالعقل المفكر نفسه.

---

(١) تعرف الحضارة بعدة تعريفات منها : « أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة، الذى تقتضى فنونا من العيش والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم وتوطيد حياة الدعة وأسباب الرفاهية. [الأستاذ توفيق محمد سبع – قيم حضارية فى القرآن الكريم – عالم ما قبل القرآن ج١ ص٢٢ ط دار المنار بالقاهرة].

(٢) زافيلسكى و.س – الزمن وقياسه ص٢٣٩ – ترجمة د: مهندس إبراهيم محمد شوشة– سلسلة الألف كتاب رقم٦٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

ولما كانت الحضارات الإنسانية حلقة محكمة السرد لا انقطاع فيـــها، ولا وهن، فمن الضرورى القول بألها تعتبر من أبرز مظاهر التفلسف[١] الـــذى يعـــنى بالكائن الحى فى أدق مراحله، ويهتم بالحياة الدنيا فى أرقى مظاهرها، ويتطلع للآخرة يرجو نوال ثوابها، إن كان من أهل الإيمان.

من ثم عرفت الحضارة بألها ذلك الطور الأرقى الذى بلغه الإنسان، عندمـــا تجاوز حياة البداوة، فاستقر وتوطن وأصبح حاضرا فى المكان الأخر، الذى صحبـــه امتلاك قيم ونظم وعادات وأعراف وأفكار وعلوم مثلت بناءه الحضارى[٢].

والحضارة وليدة التفلسف، وحفيدة التأمل الجاد المنظم، وبالتالى لا جنـــس لها، ولا فصل ألها مسألة برأسها، وبالتالى فهى تقوم على جانبين، وتطير بجناحين:

- **الأول**: **الثقافة**:- وهى الجانب النظرى من الحضارة، وتعرف بألها تثقيف العقـــل وتهذيبه بالمعارف والعلوم التى تظهر بها، حتى تتكون المعرفـــة الحقـــة والنتـــائج الصحيحة، وهى الجانب المعنوى من الحضارة ولابد فيها من معارف يقينية حـــتى تكون ثقافة صحيحة.
- **الثانى**: **المدنية** :- وهى الجانب العملى من الحضارة، وتعرف بألها التطبيق العملى المادى للفكر فى جانبه الحضارى، كإنشاء العمارات وإقامة عالى المنشآت، وبنـاء المستشفيات، وثكنات الجيوش، إلى غير ذلك من الأمور التى تعتبر صورة الفكـــر ومظهره الحقيقى وبدونها لا يكون من السهل التعرف على نتائج الفكر فى هـــذا الجانب[٣]، وكل حضارة إيجابية تؤثر فى الحضارات الأخرى على هذا الجـــانب الإيجابى لا محالة، والحضارة الإسلامية كان لها السبق فى ذلك الميدان.

---

(١) راجع كتابنا: قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٧٨ ط١٩١٧/٣م.

(٢) الدكتور محمد عمارة – الإسلام والعروبة ج١٣ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م.

(٣) راجع كتابنا: قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص١٠٩ ، وكذلك كتابنا: خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة أثناء عرضنا لمفهوم الحداثة.

وأية ذلك ما أعلنه "نصرى دى شامبون" حيث يقول: « إن العالم مدين للمسلمين فى حضارته، ونحن مدينون للمسلمين بكل ما فى حضارتنا فى العلم والفن والصناعة، مع أننا نزعم اليوم أن لنا حق السيطرة على جميع الشعوب العريقة فى الفضائل، وحسبها — الحضارة الإسلامية — أنها كانت مثالا للكمال البشرى فى مدة ثمانية قرون، بينما كنا مثال الهمجية، وأنه لكذب وافتراء ما ندعيه من أن الزمان قد اختلف، وأنهم صاروا يمثلون اليوم ما كنا نمثله نحن فيما مضى »[١].

☆ **ويقرر توبى أ. هاف:** « أن الحضارة الإسلامية لم تؤثر فى شيى محدد، وإنما انطلق تأثيرها فى كل مناحى الحياة؛ نظرا للرصيد الضخم الذى تمثله تلك الحضارة المتكاملة، وقد أنفقت أموال ضخمة — خلال العصر الذهبى للحضارة الإسلامية — على التعليم وتحصيل المعرفة، وإذا استطلعنا مجالات المعرفة التى تركت الحضارة الإسلامية بصماتها عليها، فإننا نجد ذلك أول ما نجد فى العلوم الطبيعية كالفلك والرياضيات والطب والصيدلة والبصريات، وهكذا حيث الإنجازات الحضارية المتعددة »[٢].

غير أن الحضارة الإنسانية التى تركت الحضارة الإسلامية تحتاج نظرة متأنية لتحديد الفوارق الدقيقة والاختلافات الجوهرية بين الحياة المتحضرة والحياة البدائية، كما أنها بحاجة إلى ذات النظرة للتعرف على نتائج تلك الحضارة، وهل انتهت إلى التقدم المطلوب أم تقهقرت وتدهورت إلى الخلف، وبخاصة فى مجالات السياسة والأخلاق.

☜ **ويذهب البعض إلى أن التعرف على الفروق الدقيقة بين الحضارة والبدائية يمكن بسهولة فى حدود وملامح ثابتة هى :**

- اقتصاد السوق .
- الإنتاج الصناعى .
- التطور الحاد فى تقسيم العمل.
- تزايد معدلات النمو فى الثروة.

---

(١) الأستاذ أنور الجندى — الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر ص٨ .

(٢) توبى أ. هاف — فجر العلم الحديث ج٢ ص١٥ .

- ظهور أنماط جديدة من الفقر. - الإيمان بحسابات المنفعة.
- انتشار العادات والأخلاقيات المرتبطة بالعمل.
- تأسيس المنهج العلمي وتزايد تطبيقاته في المجال العملي والتكنولوجي.
- ظهور معايير جديدة للتعليم. - اختفاء الصفوة التقليدية.
- نمو الرأى العام وتزايد أهميته. - ظهور أنماط جديدة في التنظيم.
- التضاؤل النسبي لمعدلات اللجوء إلى العنف بوجه عام[1].

ومن المؤكد أن الشرق القديم في العالم قد سبق غربة إلى ابتداع وإنشاء وتشييد حضارات إنسانية مزدهرة ناضجة[2]، عمادها التأمل العقلي والتفكير الفلسفي، ثم المشاهدات والتجارب، باعتبار أن الدواعي لإقامة الحضارة الإنسانية هما:

❁ **الأول**: القواعد البحثية التي تمثل المركز في البناء الحضاري، والتي هي في الغالب الأعم عبارة عن: جملة من المشاهدات التجريبية، سواء أكانت التي انتهت إلى نتائج مقبولة، أم وقفت على باب النتائج، تحمل بين جنباتها الأمل، ويراودها عن نفسه الرجاء في تحقيق أفضل النتائج وأزكاها.

❁ **الثاني**: النظر العقلي المنظم القائم في أصوله على التأمل الدقيق، وتدفع إليه الرغبة الملحة للكشف عن المجهول الذى يعتصم أحيانا بالغموض، أو يتوارى خلف ستار رقيق، ما إن يكشف عنه حتى يتهاوى وتسقط قوائمه.

وكل حضارة إنسانية عامة تحتاج هذين الداعيين، طالما كان عمادها التأمل العقلي وحده، أما إذا انضم إلى ذلك التأمل العقلي والتفلسف المنظم مع القواعد الشرعية، فإن الأصل فيها يكون هو التفكير الديني في المعقولات والإيمان بوجود ما وراء الطبيعة والغيب، وذلك كالحال مع الحضارة الإسلامية الراقية التي شادها رسول الله ﷺ وحافظ عليها صحابته الأجلاء، ثم التابعون ومن بعدهم أهل الإسلام، وظل ذلك بارزا طيلة ردح من الزمان[3].

---

(١) انونى دى كر وكنيث مينوج — أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ص١٨ — ترجمة د: نصار عبدالله — الهيئة المصرية ١٩٨٨.

(٢) الدكتور توفيق الطويل — مدخل إلى الفلسفة ص٣ ط٣/١٩٦٧م.

(٣) الدكتور فوزى محمد جميل — علم النفس والتفكير ص٥٧ ط١ دار مراد ١٩٦١م.

والحضارة تمثل مظاهرها العلوم والمعارف، وهى متنوعة إلى حد كبير، فمنها المعارف النظرية والمعارف التجريبية، والأخرى السلوكية، ثم التطبيقية، وذلك كله مما يعتبر من أبرز مظاهر التفلسف الإنسانى فى الكائنات التى مكن الله تعالى للعقول منها حتى تجول بين أرجائها، وتمعن النظر فى مناحيها[١].

---

(١) يذهب البعض إلى أن الكوارث تمثل نوعا من الغضب الإلهى أو العقاب لجماعة أهل الإسلام. ولست أوافقهم على ذلك؛ لأن أغلب ضحايا الزلازل والبراكين يكونون أطفالا أو رجالا أو نساء وشيوخا وكهولا، بل هم في الطاعة لله قائمون، وفى تقديرى: أن ذلك من الابتلاء الذى يلقيه الله تعالى على عباده حتى يرو أنفسهم أمام الشرع الإلهى هل هم على الطاعة قائمون. أم على شفا جرفها يقفون قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾(سورة الحج – الآية ١١). يقول العلامة الطبرى: « ومن الناس من يعبد الله على حرف أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين من باديتهم فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام وإلا ارتدوا على أعقابهم فقال الله ومن الناس من يعبد الله على شك فإن أصابه خير اطمأن به وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول استقر بالإسلام وثبت عليه. وإن أصابته فتنة وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا انقلب على وجهه يقول ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله. قبل أن يدخل الإسلام الذى خرج منه؛ لأنه دخل فيه من باب الفتنة والعبادة على حرف.. وعن ابن عباس قال: الفتنة البلاء كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه وقال ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا وذلك الفتنة، قال ابن جريج كان ناس من قبائل العرب وممن حولهم من أهل القرى يقولون نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فإن صادفنا خيرا من معيشة الرزق ثبتنا معه وإلا لحقنا بأهلنا. وذكر الضحاك أنه كان ناس من قبائل العرب وممن حول المدينة من القرى يقولون نأتي محمدا صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه فإن صادفنا خيرا ثبتنا معه وإلا لحقنا بمنازلنا وأهلينا. وكانوا يأتونه فيقولون نحن على دينك فإن أصابوا معيشة ونتجوا خيلهم وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا هذا دين صدق وإن تأخر عنهم الرزق وأزلقت خيولهم وولدت نساؤهم البنات قالوا هذا دين سوء فانقلبوا على وجوههم. قال ابن زيد في قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة قال هذا المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر، فلم تقصد من دخوله الإيمان إلا ما فيه مصالحه. أما إذا تأخرت تلك المنافع؛ فإن ارتداده إلى الكفر يكون هو القاعدة الأصلية التى يقوم عليها. ومن ثم فهو قد خسر الدنيا والآخرة يقول غبن هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة يقول وخسر الآخرة فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة، وقوله ذلك هو الخسران المبين يقول وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران والهلاك المبين حيث يبين لمن فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة.
[العلامة ابن جرير الطبرى – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج: ١٧ ص١٢١/ ١٢٣]

كما تمثلها العمارات الشاهقة، وناطحات السحاب السامقة، والمصانع المختلفة، والمعامل المتنوعة والآلات التى تفرزها أرحام المصانع يوما بعد أخر، وتكشف عنها الدلائل العلمية حينا بعد الثانى، إلى غير ذلك مما يعتبر بحق أحد أبرز ملامح التفلسف الإنسانى.

٢ـ محاولة تفادى الكوارث[1]

تعتبر الكوارث من أكثر الأخطار التى تهدد أية حضارة قائمة، وهذه الكوارث متعددة بتعدد ما يجيء معها تارة، وتتعدد تارة أخرى، باعتبار الأوصاف التى تصاحبها، فالزلازل والبراكين والصواعق والنيازك والشهب يعتبروها كوارث طبيعية — بينما نعتبرها نحن أهل الإسلام ابتلاءات — ونظرا لأنها تمثل خطورة على المنشآت القائمة والحضارة السامقة، فقد بذل المفكر جهده فى محاولة منه لتفادى هذه الكوارث أو التقليل من أخطارها والتخفيف من أثارها السلبية.

وهو فى هذه الأحوال إنما يبذل جهده العقلى كله بكل ما أمكنه من قوة، وما أتيح له من إمكانيات، بغرض الوصول إلى حلول للكوارث التى صارت مشكلة عويصة تحتاج حلولا معقولة من جانبه على الأقل، وبخاصة أنه نصب نفسه منصب المفكر صاحب العقل المتميز، وكأن الكون كله ينتظر منه الحلول الطائلة لذات المشكلة القائمة.

كلك نقص الثمرات وجفاف الأنهار، وغوران مياه الآبار، وامتداد التصحر، وازدياد النباتات المتسلقة على الزاحفة، وانعدام التوازن بين المتطلبات الضرورية، وبين المنتجات الحالية، ذلك كله مما يعتبر فى نظر البعض من الكوارث[2].

---

(١) كرث : كرثه الأمر يكرثه و يكرته كرثا، و أكرثه: ساءه واشتد عليه، وبلغ منه المشقة. وقيل: وقد تجلى الكرب الكوارث. وفي حديث علي: في سكرة ملهثة، وغمرة كارثة، أي شديدة شاقة، من كرثه الغم أي بلغ منه المشقة. [لسان العرب ج٢ ص١٨٠]

(٢) الدكتورة نهاد محمد صبرى — الكوارث الطبيعية وكيفية مواجهتها ص٦٧ ط١ دار فواز ١٩٧٧م.

أضف إلى ما سبق؛ ظهور الفياضانات والسيول التى تجتاح السدود، وتقطع طرق المواصلات، وتغمر المساحة المتزرعة بالنباتات او الفواكه، فيتحول ذلك كله من الازدهار إلى الدمار، ومن المناظر الجميلة والنتائج الحسنة إلى المناظر المخيفة والنتائج السلبية المنعكسة[١].

لاشك أن ذلك كله يعتبر فى نظر الكثيرين كوارث؛ لأنها إذا أنزلت بمنطقة محت معالمها، ومحت شواهدها، وطمست الأصول التى قامت عليها، ومن ثم فان كل مفكر ينظر إليها نظرة مختلفة، ومن زاوية غير التى نظر منها الآخر، لكن هذه النظرات تجمعها غاية واحدة هى البحث عن حلول حاسمة فعالة، تكون بمثابة المنقذ من هذه الشرور التى تجيء فى شكل كوارث[٢].

كما أن عالم الكائنات الحية الدقيقة هو الآخر راح يرسل أفراده فى أشكال بكتيرية أو فيروسية، أو ميكروبية، وكل منها أنواع مختلفة، وله طرائق متباينة فى التعامل مع الكائنات، ولديه رغبة فى المقاومة، حتى يتمكن من التعايش معها على أية ناحية من النواحى[٣].

ولما كان العقل هو المنوط به النظر فى ذات الكوارث، والعمل الدؤوب بين كيفية مواجهتها، وتفادى أخطارها، فقد صار ذلك من مظاهر التفلسف.

وقد تمثلت الخطوات التى سلكها المفكر لمواجهة هذه الكوارث فيما يلى :-

[أ] إنشاء مراصد للتعرف على الزلازل وقوتها، والتعرف عليها قبل وقوعها إذا أمكن، وقياس الدرجة التى جاءت عليها بعد ذلك[٤]؛ بغية العمل على تفادى الأخطار الناتجة عنها.

---

(١) الأستاذ فوزى رمضان — الطبيعة ومشكلاتها ص٤٣ ط٢/١٩٣٥م

(٢) هذه التصورات فيها نظرات بناءه وأخرى هدامة ومن المصلحة عدم تبنى واحدة على حساب غيرها، وإنما لابد من الموضوعية والمنهجية .

(٣) الدكتورة كاينيت سميث — عالم الكائنات الحية الدقيقة ص٦٧ — ترجمة منى شوقى .

(٤) راجع للدكتور إسكندر شفيق — الزلازل وقياساتها ص٧٣ .

[ب] اختيار الأماكن التي يتم فيها إقامة العمارات، أو بناء الناطحات للسحاب، وكذلك إنشاء المصانع، بحيث تكون كلها في مناطق آمنة من التقلبات، بعيدة عن آثار الزلازل والبراكين، والعمل على تأمينها من تلك الخطار وتجنيبها ذات الآثار بالوسائل العملية، وبأعلى قدر ممكن من التقنية.

[جـ] إقامة السدود، بحيث يمكن تحويل الفيضانات من كوارث مدمرة إلى وسائل توليد الكهرباء، فتقع بها المنافع العديدة، والتي تمثل كلها نوعا من أنواع الحضارة الإنسانية في جانبها المادي والثقافي معا.

[د] فتح مخرات للسيول، وإنشاء خزانات صناعية تكون هي المتنفس الطبيعي الذي يتمكن من امتصاص الماء المتدفق من المرتفعات العالية، فيؤدي تخزينه إلى إنشاء صناعات عليه، وإنشاء زراعات حواليه، وإقامة أنواع مختلفة من الحضارة الإنسانية(١).

[هـ] إقامة مصانع يتم من خلالها إنتاج الوسائل الفعالة في حفر الترع وشق الطرق، وتصنيع الأنواع المختلفة من ألوان العلاج، سواء باعتبار أدوات الفحص والتشخيص المتقدمة -- كالأشعة بأنواعها والرنين المغناطيسي، وما كان من هذا القبيل -- أم باعتبار الكشف عن مسببات الأمراض كالمعامل الدقيقة التي تكشف الأورام والفيروسات والميكروبات، بحيث تؤدي ذلك في النهاية لإقامة الحضارة واستمرار تقدمها، وازدهارها عن طريق المحافظة على صحة ذلك الإنسان المفكر الذي يعتبر هو القاعدة الأولى الأساسية في بناء آية حضارة.

وقد حققت الهندسة الوراثية تقدما ملحوظا في هذا المجال؛ لأنها تقوم على الخلية الحية، التي هي كيان له شكل محدد ونوع من البناء الداخلي يتكامل في الأفراد الأصحاء في دقة تامة، من حيث شكل الخلية وبنائها، وأنشطة كل ما بها من إنزيمات، ليصبح الكل أكبر من مجموع الأجزاء(٢).

---

(١) الأستاذ فؤاد محمد نجيب -- عوامل ظهور الحضارات واختفائها ص١١٢.
(٢) ويليام بينز -- الهندسة الوراثية للجميع ص٥٥ -- ترجمة الدكتور أحمد مستجير -- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م.

٣- الاكتشافات العلمية

تعتبر الاكتشافات العلمية المتواصلة من أبرز مظاهر التفكير العقلى المنظـــم، كما تعتبر من أبرز مظاهر التفلسف فى بنى الإنسان. أما لماذا؟

فلأن هذه الاكتشافات تتم فى أغلب الأحيان عن طريق المصادفة، ولا تتـــم عن طريق الخطة المرسومة، او المنهج المحدد إلا فى حالات نادرة، يستوى فى ذلك أن تكون من قبيل الاكتشافات العلمية فى مجال النقل والمواصلات، أو أن تكون فى مجال الفيزياء، أو فى مجال الميتافيزيقا النقدية[1].

فماجلان لم يقصد بسفره اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، وإنما أمكنــه التعرف عليه، والإخبار عنه، والإدلاء ببيانات حوله، عندما قام برحلته البحرية الــتى ابتدأها بغرض التنزه، وانتهت معه بالإعلان عن هذا الطريق الملاحى الجديد، كما أن كروية الأرض هى الأخرى لم تكن كشفا علميا مقصودا فى أول أمـــره، وإنمـــا تم اكتشاف ذلك على أنه نتائج وأثار تم تسجيلها بخصوص تلك الرحلة[2].

فى نفس الوقت؛ فإن اكتشاف الجاذبية الأرضية وقوانينها الأولية، لم تكـــن مقصودة بذاتها، وإنما قامت على أساس ملاحظة عشوائية بحردة غير مسبوقة بمنـــهج موضوعى أو خطة مدروسة، ومثلها قوانين الأجسام الطافية، وما كان مـــن هـــذا القبيل[3].

---

(١) راجع فى هذا الشأن كتابنا: الحثيث فى المنطق الحديث ص٤٩ ، وللدكتور فوزى محمد خضر – الميتافيزيقا بين التأملية والنقدية.

(٢) الدكتور عبدالعظيم محمد دهشان – الكشوف العلمية ص٧٣ .

(٣) راجع مناهج البحث عند مفكرى المسلمين سترى أنهم سبقوا كل علماء أوربا فى هذه الاكتشافات، ويمكنك مراجعة كتاب فجر العلم الحديث للمستشرق تونى أ. هاف، وغيره من الكتب التى نوهت بفضل العرب والمسلمين على حضارة أوربا الحالية.

لكن هناك القليل من الاكتشافات العلمية التى كان لها الدور الكبير والشهرة الواسعة تمت كنتائج لما قام به بعض الباحثين من خلال خطة مدروسة، بغرض البحث عن المجهول والتعرف عليه، باعتبار أن الإبحار خلف المجهول، والكشف عن أسراره أحد سمات العقل البشرى فى أعلى توجهاته، وأرقى تنظيماته[1].

كما أن القائمين بالكشوف العلمية – فى الجانب المدروس – تقودهم فى الغالب الأعم رغبة دفينة، وثورة داخلية بحثا عن المجهول، تعرفا عليه وتقعيدا له، وإفشاء بعض أسراره؛ بغية إخضاع ذلك كله لمصلحة الإنسان نفسه.

بيد أن هذه الرغبة الملحة، توجد بينها والأسباب الطبيعية علاقة قوية، تربط بين هذه الأسباب والمسببات، التى تقوم عليها فى منظومة الكون، التى تقع فى دائرة التجارب أولا، ثم تقع فى دوائر التركيز الذهنى، والمدرك العقلى ثانيا، ثم تخضع للنتائج المترتبة على ناحية التقييم[2] ثالثا، متى كانت العوامل على ناحية الوجود، وهو ما يعرف بعلاقة الأسباب بالمسببات فى الوجود[3].

كما أن هناك قوة حاسمة تربط بين الأسباب والمسببات فى العدم، فإذا حدثت ظاهرة بحث العلماء عن أسباب حدوثها وإمكانية تكرار ذلك الحدوث، وإذا انعدمت ظاهرة من الظواهر، أو اختفت؛ فإن العلماء يبحثون أيضا أسباب إنعدام ذات الظاهرة، ومحاولة دراسة أسباب العدم، وهو ما يعرف باسم علاقة الأسباب بالمسببات فى العدم.

---

(١) الدكتور عبدالعظيم محمد دهشان – الكشوف العلمية ص٨٥ .

(٢) الفرق بين التقويم والتقييم : أن الأول يعنى إصلاح الشيء ، فهو تقويمه ، ومنه قوله تعالى ﴿ " لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم " ﴾سورة التين الآية ٤ ، أما الثانى وهو التقييم : فمعناه بيان قيمة الشيء ، ومنه تقييم الأرض والعقار ، وغيرها من المنقولات الخاضعة لنظام التثمين .

(٣) يراجع فى ذلك كتابنا : رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص١٧ .

بناء عليه؛ فإن التفلسف هو عملية البحث عن العلاقات الأساسية بين الكشوف العلمية والأسباب التي قامت عليها، والنتائج التي ترتبت عن كل من الأسباب والمسببات، بحيث يمكن القول بأن الاكتشافات العلمية تعتبر المظهر الخارجي للتفلسف العقلي في داخل الإنسان نفسه[1]، باعتبار أن الفكر هو ما يكون عند إجماع الإنسان أن ينتقل عن أمور حاضرة في ذهنه أو متصورة أو مصدق بها تصديقا علميا أو ظنيا، أو وصفيا وتسليما إلى أمور غير حاضرة فيه[2].

ربما يقال: إن الاكتشافات العلمية تمثل بحثا تجريبيا في العلوم المادية، فما هي العلاقة التي تربط بينها والتفلسف الذي هو مجهود عقلي خالص، أو هو تفكير عقلي منظم موضوعه التفكير الإنساني، وغايته كشف العلاقات بين الأسباب والمسببات، أو بين الطبيعة والإنسان.

والجواب: أن الاكتشافات العلمية في الأشياء المادية، تمثل صورة من صور الفكر الإنساني، كما أنها ذاتها علاقة رابطة بين الموجود الذهني وهو الصورة الذهنية الموجودة للكائنات، وبين الموجود الخارجي الممثل لهذه الكائنات، باعتبار أن الموجودات من هذه الناحية ثلاثة:

الأول: ما ليس له صورة في الذهن والخارج وهو الله جل علاه، فهو المتعالي عن كل شبيه وشريك ونظير، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[3]، فهو

---

(١) هذا التعريف للتفلسف مما ارتضيته أنا أيضا، وهو تعريف بالغاية والغرض. ولذا أراه مقبولا على ناحيته.

(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا – الإشارات والتنبيهات – القسم الأول ص١٢٥/١٢٦ – تحقيق الدكتور سليمان دنيا – طبعة دار الفكر – سلسلة ذخائر العرب.

(٣) سورة الشورى – من الآية ١١ . « فقوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له » [ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٠٩] . وقوله ﴿ وهو السميع البصير ﴾ « يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به وهو يعني نفسه السميع لما تنطق به من خلقه قول البصير لأعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا يعزب عنه علم شيء منه وهو محيط بجميعه محص صغيره وكبيره لتجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر » [الطبرى – جامع البيان ج٢٥ ص١٣].

الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والشريك و الولد. قال تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾[1].

وبالتالى فهذا الوجود الإلهى لا توجد له صورة فى الذهن – تعالى عن ذلك – كما لا توجد له صورة خارجية أيضا لاستحالة ذلك على الله تعالى، إذ لو كان له جل جلاله وجود خارجى لكان كباقى الموجودات فى الحكم عليه من هذه الناحية، والله تعالى منزه عن ذلك كله، وإنما نؤمن به جل شأنه على ما أخبرنا به فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة[2].

❊ **الثانى:** ما له صورة فى الذهن والخارج كالإنسانية والحيوانية والنباتية، فإنها موجودة فى الذهن، ولها كذلك وجود فى الخارج، حيث إن أفراد الإنسان وأفراد

---

(١) سورة الأنعام – الآيتان ١٠١/١٠٠ . يقول صاحب تفسير المنار : « وجعل هؤلاء المشركون لله سبحانه شركاء. ومنهم الجن وخلقهم أى وخلق هؤلاء الجاعلين له الشركاء. وخرقوا له بنين وبنات بغير علم. أى واختلقوا لله بحماقتهم وجهلهم بنين وبنات بغير علم. فسمى مشركو العرب الملائكة بنات الله: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾(سورة التوبة – الآية ٣٠). سبحانه وتعالى عما يصفون؛ لأنه منزه عن ذلك. متعال عنه؛ لأن ما نسبوه إلى الله جل علاه ينافى انفراده بالخلق والتدبير. وكونه ليس كمثله شيء وهو مبدع السماوات والأرض. وكل شيء فكيف يكون له ولد ولم يكن له زوج ينشأ الولد من ازدواجه بها. ولا معنى للولد إلا ما كان كذلك. وإنما صدور جميع الكائنات السماوية والأرضية عنه صدور إيجاد إبداعى للأصول الأولى. وإيجاد سببى كالتوالد بينها. بحسب سننه فى التوالى. ولذلك قال وخلق كل شيء خلقا ولم يلده ولادة وعلمه بكل شيء ذاتى له ولا يعلم كل شيء إلا الخالق لكل شيء. [الشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج٧ ص٥٣٨د/٥٤٢]

(٢) راجع فى ذلك: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإشارات والتنبيهات للشيخ الرئيس ابن سينا، والأربعين فى أصول الدين للإمام الرازى. وكتابنا الغزاليات فى منطق التصورات .

الحيوان وأفراد النبات لها وجودات خارجية، بحيث يمكن التعرف على هذه الأفراد في الواقع الخارجي(١).

✽ الثاني: ما له صورة في الذهن فقط وليس له صورة في الخارج كالعنقاء والغول، وما كان من هذا القبيل، سواء تلك التي صنعتها الأوهام، أم التي جاءت بها الأساطير كالحال مع "أم جلمبو، وعروس البحر، وأبو رجل مسلوخة" فكنها لها صورة في الذهن، تختلف باختلاف المتصور لها، ولا توجد لها صورة خارجية تؤخذ عنها(٢).

والاكتشافات العلمية هي من الموجودات التي لها صورة في الذهن والخارج معا، ولاشك أن وجودها في الخارج إنما هو الوجود المادي، بينما الوجود الذهني هو الوجود غير المادي، وبالتالي فتكون العلاقة بين الاكتشافات العلمية والصور الذهنية علاقة وطيدة أكيدة في نفس الوقت.

أضف إلى ما سبق أن الاكتشافات العلمية ليس من السهل أو اليسير حصرها، على ناحية الحصر الدقيق؛ لأنها متعددة بتعدد العلوم النظرية والتطبيقية والسلوكية، بل أثبتت الدراسات العلمية أنه ما من فرع من فروع المعرفة إلا وتتم فيه اكتشافات علمية، على ناحية من النواحي، أو صورة من الصور، وكلها تهدف – في الغالب الأعم – لتحقيق السعادة للبشرية في صورة حضارات زاهية

---

(١) وتعرف الحيوانية والإنسانية والجمادية بأنها المعقولات الأولى. التي هي ما يكون بإزائه موجود في الخارج كطبيعة الإنسان والحيوان والنبات. فإنها تحمل على الوجود الخارجي كقولنا زيد إنسان. والفرس حيوان. والسبورة جماد. أما المعقولات الثانية فهي ما لا يكون بإزائه شيء فيه كالنوع والجنس والفصل. فإنها لا تحمل على شيء من الموجودات الخارجية. والمعقولات الثانية هي موضوع علم المنطق على الناحية الفنية. [راجع كتابنا: الغزاليات في منطق التصورات ص٧٥/٧٧]

(٢) راجع تفاصيل هذه الموجودات في حاشية العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري، وكذلك حاشية العلامة السيد أحمد الدمنهوري على شرح السلم للشيخ عبدالرحمن الأخضري، وكذلك حاشية الشيخ الدوري والشيخ الأنصاري في المنطق، فقد تناولت ذلك كله عرضا وتفصيلا.

تأخذ بهم نحو مراقى التقدم، وتصرفهم بعيدا عن مناحى التخلف أو أسباب التدهور أو الانهيار.

والناظر للمذاهب الفلسفية منذ نشأتها يرى أنها تقع فى الغالب بين تيارات محددة هى:

- تيار روحى . - تيار مادى . - تيار يجمع بين المادى والروحى[١].

ويقرر أفلاطون[٢] فى محاوراته مع فيدون[٣] أن الروح فى خفائها تنتقل إلى العالم الخفى الإلهى والخالد العاقل، فإذا ما بلغته رفلت فى نعيم، وتخلصت من أوزار الناس وحمقهم، ومن مخاوفهم وعواطفهم الحوشية[٤]. ومن النقائض البشرية

---

(١) الدكتور توفيق الطويل – أسس الفلسفة ص٦٧ . وراجع للدكتور عبدالمعطى محمد بيومى – جذور الفكر المادى ج١ ص٤ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٤م.

(٢) أفلاطون : أحد فلاسفة اليونان قبل الميلاد . ولد حوالى (٤٢٧ق.م) فى أثينا . وقد تتلمذ عليه أرسطو . واستفاد غيره الكثير من أفلاطون نفسه . وهو غير أفلاطون المصرى الاسكندرانى صاحب الأفلوطينية الحديثة . الذى ولد عام ٢٠٥م بأسيوط . ثم رحل إلى سوريا والعراق وروما . حتى استقل بها ومات ٢٧٠م – [راجع فى تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتورين / عوض الله حجازى . محمد السيد نعيم ص٢٠٥/٢٠٨]

(٣) أجرى أفلاطون حواراته على لسان أشخاص رواياته . وفيدون أوخلود الروح هنا هو راوى الحوار إلى اشكراتس من أهالى فليوس. ومكان الحوار هو سجن سقراط. أما مكان الرواية فهو مدينة فليوس ومحاوروات أفلاطون هذه تمت مع كل من أوطيفرون – الدفاع . أفريطون. فيدون. وقد نشرت هذه المحاورات مترجمة إلى العربية لجنة التأليف والترجمة والنشر التى تم تأسيسها بمصر ١٩١٤م.

(٤) الحوش: بلاد الجن من وراء رمل يبرين لا يمر بها أحد من الناس. وقيل: هم حي من الجن؛ والحوشية: إبل الجن. وقيل: هي الإبل المتوحشة. أبو الهيثم: الإبل الحوشية هي الوحشية؛ وقيل: إبل حوشية محرمات بعزة نفوسها. ويقال: الإبل حوشية منسوبة إلى الحوش. وهي فحول جن تزعم العرب أنها ضربت في نعم بعضهم فنسبت إليها. ورجل حوشي: لا يخالط الناس ولا يألفهم، وفيه حوشية. و الحوشي: الوحشي. و حوشي الكلام: وحشيه وغريبه. ويقال: فلان يتتبع حوشي الكلام ووحشي الكلام وعقمي الكلام بمعنى واحد. وفي حديث عمر: لم يتتبع حوشي الكلام أي وحشية وعقده والغريب المشكل منه. وليل حوشي: مظلم هائل. ورجل حوش الفؤاد: حديده؛ والحواشة من الأمر ما فيه فظيعة؛ يقال: لا تغش الحواشة، والتحوش الاستحياء. و الحوش: أن تأكل من جوانب الطعام. و الحائش: جماعة النخل والطرفاء. [راجع لابن منظور – لسان العرب ج٦ ص٢٩٠/٢٩١]

جميعا[1]، وهذا التيار يطلق على أصحابه الروحانيون.

أما ما يتعلق بالجانب المادى على سبيل الاستقلال فهم الماديون، ويطلق عليهم أصحاب التيار الفكرى المادى، فيقرر ثوليك أن الموجود هو الذى يمكن التجريب عليه، والتعامل معه، والتأكد من وجوده عن طريق التجارب والمعامل[2].

والملاحظ أن كل تيار منهما لا يمكنه الإعلان عن نفسه دون أن تظهر حاجته الماسة للجانب الأخر، بل لا أغالى إذا قلت: إن تمسك كل منهما بموقفه وحده يعتبر صورة غير صحيحة، متى أريد له دراسة الجانب الفلسفى فى العالم المشاهد الفيزيائى أو الآخر الميتافيزيقى، ومن ثم كان هناك تيار مزدوج يجمع بين هذين الاتجاهين، ويبلغ فيهما أعلى طاقة ممكنة.

والاكتشافات العلمية لا تقف عند جانب وتحد من الجوانب الثلاثة، وإنما تتعداها جميعا لتفتح الأبواب على مصراعيها، حتى يسمح بدخول تيارات، بعضها تغلب عليه المادية، والبعض الآخر تغلب عليه الروحانية والروحية، وصارت الأبحاث العلمية فى كل جزء منها تصول وتجول، بعضها يقبل على الناحية العلمية والشرعية معا[3]، وبعضها يقبل على الناحية العلمية، ولكن الشرع يرفضه لخطورته الكبيرة

---

(١) أفلاطون – محاورات أفلاطون ص٢٢١ تعريف الدكتور زكى نجيب محمود – مطبعة لجنة التأليف ١٩٤٧م.

(٢) أبو زيد الأعصم – ثوليك وفلسفته المادية ص٥٣ ط٢ دار الجيل ١٩٥٧م وأصحاب هذا التيار المادى وحده قد ناقشهم الكثيرون من العلماء وأبانوا أوجه الفساد التى يعتمدون عليها. [راجع التفكير الفلسفى الإسلامى للدكتور سليمان دنيا، والفكر المادى الحديث للدكتور محمود عبدالحكيم عثمان، وكتابنا : فى التيارات الفكرية المعاصرة، وللأستاذ محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة].

(٣) فكل ما يحقق مصالح البشرية، ولا يخالف القواعد الشرعية، فإنه يكون مقبولا كأنواع المواصلات والأدوية، وما كان من هذا القبيل.

وأضراره المتعددة التي لا تعادلها بعض منافعه القليلة أو المتناقصة، والتي يمكن تعديلها أو استبدالها بغيرها[1].

من ثم يمكن القول بأن الاكتشافات العلمية لم تتوقف، باعتبار أنها تقوم على العقل وقدراته، أو بعبارة أخرى أنها تقوم على التفلسف المنتظم، الذى يدفع إليه العقل السليم، وتقوده من أزمته التوجهات العقلية الصحيحة السليمة أيضا.

ومع أن الاكتشافات العلمية لم تتوقف عن البحث واستقرار النتائج، باعتبار ان فروع العلم مختلفة ومستمرة، وأن موضوعات العلوم يقع فيها الاستحداث المستمر، والتنوع الدائم، وذلك كله يستلزم التأكيد على أن التفلسف سمة العقل المتميز، وأنه الذى يقود إلى عملية الاستخلاف فى الأرض على النحو الأمثل، فلم تخلق للكسالى وأنصاف العقلاء، وإنما يقوم بأعبائها من اكتملت عقولهم.

٤. الدفع بركب التقدم للأمام

يعتبر الوصول إلى القمة أمرا صعبا، أما المحافظة على التربع فوق القمة واستمراره فهو الأكثر صعوبة، وانتقال الإنسان من البداوة فى صورها الأولى إلى الحضارة فى أبسط مراحلها يعتبر خطوة نحو الإمام قطعها الإنسان الأول فى ثقة وأمان.

غير أنه ليس من الصواب أن يحصر العقل البشرى ذاته فى دائرة ما تركه له السابقون من الآباء والأجداد، وإلا فإن مصيره هو سيعود إلى التأخر، بدل أن كان

---

(١) كالحال مع الهندسة الوراثية التى فتحت أفاقا جديدة، ومنافذ عديدة، ولكنها فى النواحى البيولوجية، وبخاصة ما يتعلق بالرحام المستأجرة والمستولدة، لا تصون الأحساب والأنساب على الناحية الشرعية.

مع الأباء والأجداد، يندفع نحو التقدم، وحينئذ يتهم إنسان ذلك الجيل بالعيش على ما تركه الآخرون، وتلك سبة غير مقبولة بالنسبة للفكر الإنساني الصحيح(١).

* **لذا كان جورجياس يقول:** « طوبى للفلاسفة فهم قلة، وكل إنسان يتمنى أن يدعى فيلسوفا، وما ينتسب الاسم بالتمني، ولا هو على هذا النحو يلتصق به، وإنما يلوذ اللقب بمن كان مخلصا في تكويس نفسه للفلسفة ، وسعى سعيها صبورا، وكم أجل من في مقدورهم تعليم أنفسهم وتثقيفا، فما أسهل أن يعلم الإنسان غيره ويثقفهم، وما أصعب أن يعلم الإنسان نفسه »(٢).

وكانت وجهة نظر جورجياس تقوم على أن الدفع بركب التقدم للأمام لابد أن يقوم به أصحاب العقلية الواعية، والتفكير المنظم، والتفلسف الفني الذى يصون العمليات العقلية من الانفلات، أو الوقوع تحت عجلات طواحين الهواء،التي لا جدوى من دورانها، ولا فائدة من السعي خلفها، وكلما كان ذلك التفكير العقلي قائما على الأسس التي شرعها الله تعالى؛ فإن النتائج المرتبطة به ستكون غاية الدقة، وعلى جانب كبير من الوفاء بالالتزامات التي تفرضها الظروف المستجدة، وما يوافق التقدم العلمي على الدوام.

* **يقول الشيخ الإنباوى:** « إن عملية التقدم العلمي تنهض على عقول المفكرين، وخطوات أنماطهم الفكرية، ومداداتهم التي خصوها لهذا التقدم، وما كان لهم القيام بهذا الدور، لولا أن عقولهم العاملة تسعى على الدوام إلى المحافظة على النتائج التي هي عصارات أفكارهم، ورحيق قلوبهم، وحبات العرق التي تعصرت من داخل وجداناتهم(٣).

---

(١) الدكتورة: نوال محسن الصعيدى – الحضارة والتقدم العلمي ص٧١ ط١/١٩٥١م دار كركوك.

(٢) فردريك روزنتال – التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص٢٢٣ – تقديم وتعليق الدكتور عبدالله حسن المسلمي – ط سعيد رأفت ١٩٩٣م.

(٣) الشيخ أحمد بن سليمان الإنباوى – التفكير الإنساني ص٩٥ طبعة أولى ١٣١٨هـ.

والدفع بركب التقدم للأمام لا يقف عند حد علم من العلوم، ولا فن من الفنون، إنه آخذ بأسباب العلم على كل ناحية، دوره فى النفس والعقل والروح البحث والدرس مع الفحص والتنقيب فى حدود ما يمكن له القيام به، معرفة بها، وعللها وأدوار تلك العلل، والطرائق التى تصح بها، وتقع السلامة معها.

۞ **لأن من الحكماء من قال:** « إن النفس الناطقة لها جهتان:

* **الأولى** : جهة إلى عالم الغيب، وهى تأتى باعتبارها متأثرة مستفيضة عما فوقها من المبادئ العالية.

* **الثانية** : وجهة إلى عالم الشهادة، وهى باعتبارها مؤثرة متصرفة فيما تحتها من الأبدان، ولابد لها بحسب كل جهة من قوة تنتظم بها حالها هناك.

فالقوة التى بها تتأثر وتستفيض من المبادئ العالية لتكميل جوهرها من التعقلات تسمى قوة نظرية، وعقلا نظريا، والتى بها تؤثر فى البدن وتتصرف فيه، لتكميل جوهرها تسمى قوة عملية وعقلا عمليا، وإن كان ذلك أيضا عائدا إلى تكميلها من جهة أن البدن آلة لها فى تحصيل العلم والعمل[١].

ولا شك أن الاهتمام بالنفس من ناحية معارفها وعللها وأدوائها، مع الاهتمام بالتقسيمات العامة للنفس، وبخاصة الإنسانية منها، إنما يؤدى إلى التقدم المستمر فى تناول ذات الموضوعات، وإيجاد طرائق جديدة مستحدثة وهو المقصود بدفع ركب التقدم للأمام فى العلوم المختلفة، ومع أنماط الحياة فى كل صورها.

---

(١) الشيخ عبدالهادى نجا الأبيارى – كتاب باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح ص١٠٨ .

❁ يقول الإمام الشافعى[1] ﷺ :

أمت مطامعى فأرحت نفسى ∴ فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ∴ ففى أحيائه عرض مصون
إذا طمع يحل بقلب عبد ∴ علته مهانة وعلاه هون[2]

والجسم كالنفس يمرض ويصح، تصيبه العلل، ويحتاج الأدوية، كما يحتاج إصلاح ما يحل به، والإنسان بجسمه وروحه محتاج إلى المسكن الأمن، الذى يدفع عنه برد الشتاء، ويصد عنه حر الصيف، كما يحتاج الملبس الناعم، والطعام الجيد على الناحية الصحية، كذلك يحتاج فى طرائق الحياة إلى أسباب يباشرها، فالمطعم يحتاج أدوات الطهى، والعلاج يحتاج المصانع الدوائية والمصحات الجسدية، وكل ذلك يحتاج إلى أصول تتبع، وأسس تقوم عليها، ولا يكون ذلك إلا عن طريق التفلسف الذى يمثل صورة التفكير العقلى الحر المنظم.

كذلك لما كانت أسباب الحضارة متعددة، فإن طرق المحافظة عليها تصير هى الأخرى متعددة، ودليل ذلك أن وسائل النقل فى الماضى السحيق كانت الأقدم، ثم

---

(١) هو : « الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى ، يلتقى نسبه مع النبى ﷺ فى عبد مناف. ولد سنة ١٥٠هـ أخذ العلم عن مسلم بن خالد بمكة، وعن الإمام مالك بالمدينة . وقرأ عليه الموطأ حفظا فأعجبه قراءته وكان يستزيد، ورحل إلى العراق وأخذ فى الاشتغال بالعلم والمناظرة ونشر الحديث وإقامة السنة ، ورحل إلى مصر بعد أن شاع ذكره فى الآفاق، وابتكر كتبا لم يسبق إليها منها الرسالة فى أصول الفقه ، وكتاب القسامة . وكتاب الجزية . توفى رحمه الله سنة ٢٠٤هـ » .[راجع طبقات الشافعية للإمام تاج الدين السبكي ج١ ص١٠٠ وما بعدها – طبعة دار المعارف – بيروت لبنان]

(٢) الشيخ عبدالمعطى السملاوى – البهجة السنية لشرح القصيدة الزينية ص٢٥ ط المطبعة المحمودية بمصر المحمية ١٣١٨هـ لصاحبها الشيخ محمود موسى شريف.

حدث نوع من الاستئناس لبعض الحيوان كالحمار والبغل، ثم الخيل والإبـــل. قـــال تعالى: ﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**﴾(١).

ثم حدث تطور فى تلك الوسيلة، حيث ظهرت القوارب البسيطة العاملـة فى المياه أولا وبشكل بدائى، وتطورت تلك الوسيلة حتى صارت الآن تمثـــل بعضـــها السفن العملاقة عابرة المحيطات، تحمل الإنسان والأغراض التى يسعى إليها، وتعجـز الوسائل الأخرى عن القيام بنقلها. قال تعالى: ﴿**وله الجوار المنشآت في البحـــر كالأعلام**﴾(٢).

وصار البحر وسيلة نقل عملاقة تنقل البترول ومشتقاته، وتنقل الحبوب، وما يلزم لها، بل صارت من أكثر الوسائل سعة وشمولا، وأرخصها أجـــرا، وأنفـــع فى النقل، وكل ذلك دفع إليه العلم، بقرض الدفع بحركة التقدم للأمام.

وقس على ذلك الوسائل الحديثة فى اللاسلكيات، حيث كان يقوم بذلـــك الدور الإنسان نفسه، فتضيع أعمار دون بلوغ الغاية، ثم تطورت الوسيلة مع الحمـام الزاجل، ثم ظهر التليفون، وتطورت الوسيلة حتى صارت شبكة المعلومات بكل مـــا

---

(١) سورة النحل – الآية ٨ . يقول الطبرى : « وخلق الله الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوهـا وزينة يقول وجعلها لكم زينة تتزينون بها مع المنافع التي فيها لكم للركـوب وغـير ذلـك ونصـب الخيل والبغال عطفا على الهاء والألف في قوله خلقها ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بينت ولـو لم يكن معها واو وكان الكلام لتركبوها زينة كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها الذي هي به متصلـة ولكن دخول الواو آذنت بأن معها ضمير فعل وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها. [جـامع البيـان – تفسير الطبري ج١٤ ص٨١].

(٢) سورة الرحمن – الآية ٢٤ . يقول الحافظ ابن كثير : « وقوله تعالى وله الجـوار المنشـآت يعـني السفن التي تجري في البحر، وقال مجاهد مارفع قلعه من السفن فهي منشـآت ومـا لم يرفـع قلعـه فليس بمنشآت، وقال قتادة: المنشآت يعني المخلوقات وقـال غـيره المنشـئات بكسـر الشـين يعـني البادئات كالأعلام أي كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسـب المنقولـة مـن قطـر إلى قطـر وإقليم إلى إقليم مما فيه صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ولهـذا قـال فبأي آلاء ربكما تكذبان » [تفسير القرآن العظيم – ج٤ ص٢٧٣]

فيها من وسائل عالية التقنية والإجادة، وذلك كله يقوم به العقل المفكر الذى يربط بين حقائق الأشياء وهو الذى نعينه بعقل الفيلسوف، أو العقل المتفلسف.

وإذا نظرت إلى أدوات القتال، فقد كانت السيف فى الماضى الحجر والعصائم الذى كم تغنى به الشعراء، وكم أفاضوا فى وصف المهند منه والبتار، وكذلك الرمح والسهم، والآن تطورت أدوات الدفاع والقتال حتى صارت فى طائرات بدون طيار تحمل القنابل الذرية والهيدروجينية والعنقودية، بل والجرثومية والبيولوجية والبكتريولوجية وغيرها إلى أخر أدوات القتال المدمرة والفتاكة[١]، وكم تمنيت أن يلتفت ذلك العقل إلى الوسائل التعميرية بدل الأدوات التدميرية والتخريبية، وأن ينصت إلى غريزة الحب بدل أن يتعلق بأهداب وأغراض العنف والتدمير.

أما فى مجال الهندسة الوراثية البيوكيميائية فحدث ولا حرج، إذ تطورت أساليب مقاومة الأمراض إلى الحد الذى برزت فيه شركات تصنيع الأجزاء التعويضية، ثم قفزت الهندسة الوراثية فى جانبها التصنيعى فظهرت ألوان للروبوت والإنسان الآلى[٢]، وغير ذلك مما هو قائم فى مفاهيم ثابتة ما تزال مسرعة دافعة إلى ركب التقدم المستمر، يؤكد حينا بعد أخر أن عملية التقدم العلمى والبحث المتأنى لا تتوقف، وأن نتائج ذلك كله تمثل صورة من صور الدفع بركب التقدم للأمام.

مما سلف اتضح ما يلى :-

[١] أن التفلسف صفة يتميز بها كل العقلاء، وتختلف درجاته طبقا لاختلاف القدرات العقلية، والفروق الفردية أو المستوى الثقافى، ونوع الموضوعات التى تعالج داخل البيئة التى يعايشها المتفلسف نفسه[٣]، ثم يخرج عن تلك البيئة إلى غيرها.

---

(١) الدكتور فضل الله محمد أدم – جنايات التقدم العلمى ص١٣٧ ط١ دار أبو اليزيد ١٩٨٧م.

(٢) الدكتورة حنان محمد المتولى – الهندسة الوراثية خطوة نحو الأمام ص٥٣ ط١/١٩٩٥م.

(٣) راجع للدكتور مانيس تونى هايف – التفلسف حقيقة علمية ص٧٥ ترجمة هناء صبحى .

[٢] أنه يعتبر من أهم العمليات العقلية، بل هو الأم الحقيقية لها؛ لأنه يقوم على بحث أصول الأشياء، كما يبحث العلاقات المتبادلة التي تربط بين هذه الأصول ربطا علميا، يهدف إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة لأفراد البيئة التي يعيش فيها الفيلسوف ذاته[١].

[٣] أنه ما من مجتمع إنساني إلا ويرتبط أفراده بصيغة ثابتة، وعملية فنية هي المعبر عنها بالتفلسف، واختلافهم في تناول الموضوعات لا يقلل من جهودهم العقلية التي بذلت في هذا الجانب[٢].

[٤] أن للتفلسف ميدانا وموضوعا وغاية يهدف إليها، ولا يقوم بذلك كله إلا من درب نفسه على التأمل المتواصل الخالص، وأمكنه الخوض في مسائله، والذي يقوم بذلك كله، هو الفيلسوف المتأمل على الناحية الفنية.

[٥] أن التفلسف ظاهرة إنسانية، وأن هذه الظاهرة تتعدد صورها بتعدد القائمين عليها، وهي في ذات الوقت ثابتة بثبات الفكر والمفكر أو منطلقة بانطلاق كل منهما، وأنها أم الظواهر الأخرى؛ لأنها التي تحكم عليها أو تمهد لها[٣].

[٦] أن التفلسف الإنساني له مظاهر، تقوم في بناء الحضارات وازدهارها وتطويع ذلك كله لخدمة الإنسان المفكر نفسه، مع محاولة تفادي الكوارث، وتقديم الاكتشافات العلمية، بجانب دفع ركب التقدم العلمي والحضاري إلى الأمام في خطا منتظمة ثابتة، تحقق مصالح الأفراد والمجتمعات، كما تلبي احتياجات الجسد

---

(١) الأستاذ: علي محمد عبدالمحسن السنطاوي – الفلسفة والتقدم العلمي ص٥١ ط دار الهدى ١٩٥٣م.

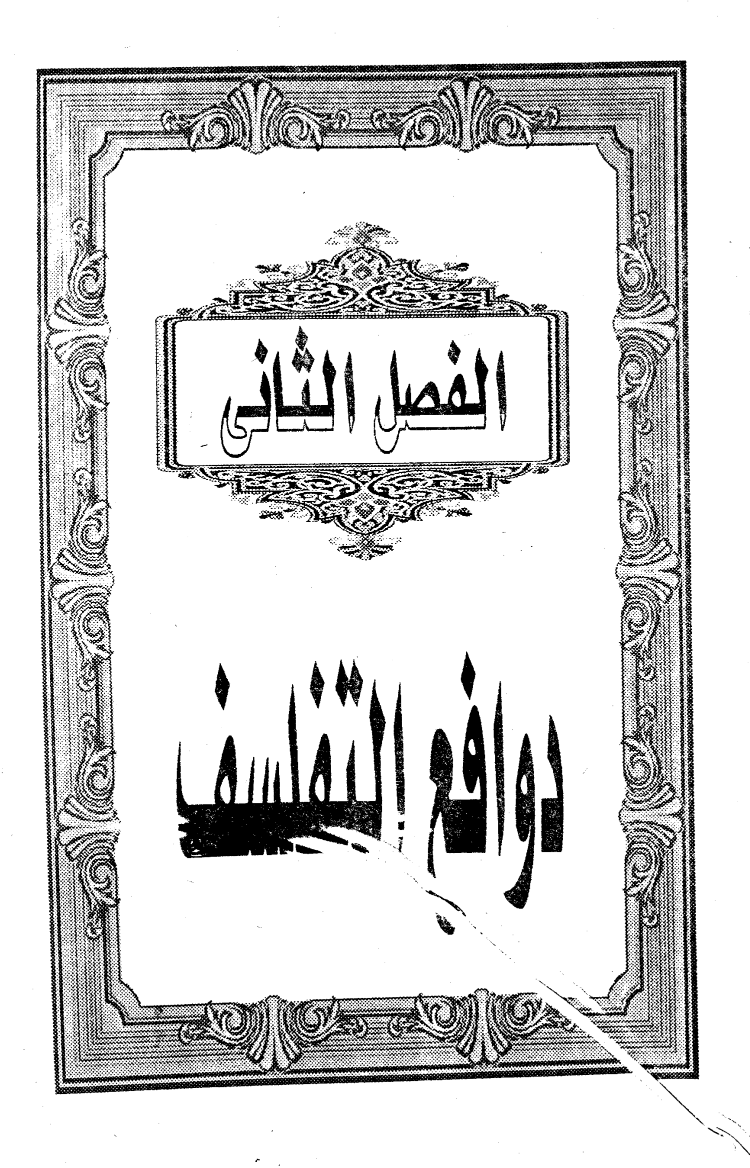
(٢) الأستاذة: ثناء محمد الزاهد – الفروق الفردية (دراسة مقارنة) ص٥٤ ط١/١٩٨٧م.

(٣) الأستاذ: سعيد محمد البرشومي – في الفلسفة الاجتماعية ص٧٣ ، وراجع أيضا هنري توماس وفلسفته الاجتماعية للدكتور وليم نصر ص١٧٧.

والروح والعقل[1]، وأن هذه العمليات كلها متى كانت قائمة على الشرع، فإن المصالح المرتبطة بها والنتائج المترتبة عليها تكون غاية فى التوافق والانسجام، فما هى دوافع التفلسف؟

---

(١) راجع مظاهر التفلسف فى صفحات سبقت من هذا الفصل.



الفصل الثانى

دوافع التفلسف

ما من شك فى أن الدافع[1] هو ما يقود إلى فعل شيء أو الكف عنـــــه[2]، كما أنه الباعث المتمكن من نفس صاحبه، يفرض عليه القيام بشيء ما، على سـبيل الإجادة له أو التخلى عنه والإهمال له[3]، وبناء عليه؛ فالدافع فى التفلسف هو الـذى يكمن داخل الفرد نفسه، يحاول التعبير عن ذاته وجود أو عدمًا، أو تخليا عنهما معا.

لكن هناك دوافع تتعلق بالمفكر نفسه، وأخرى تنهض فى عباءة البيئة الـــتى يقطنها، بينما تجيء ثالثة فى الموضوع الذى يقع له التناول، باعتبار أنــــه مـــا مـــن موضوع إلا وهو الميدان الذى يحمل بين جنباته وأروقته مادة التفلسف ومنهجه غـير أن ذلك يستوجب تقديم نبذة عن الدوافع تعريفا لها وتقسيما لها وبيان أنواعها علـى النحو التالى:

أ- تعريف الدوافع

[أ] فى اللغة

جاءت الكلمة فى المعاجم العربية على العديد من المعانى . نذكر منها :-

المعنى الأول : الاضطرار والإلجاء[4] :-

---

(١) وردت مادة (د ف ع) فى القرآن الكريم حوالى (٦مرات) تكفل ببيانها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وذكر مواضعها ، فى السور ، والآيات القرآنية. [الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – باب الدال (طبعة الشعب ١٣٧٨هـ)]

(٢) الدكتور سامى محسن قنديل – الدوافع الفطرية والمكتسبة ص١٧ ط١ الدار القومية ١٩٦١م.

(٣) الدكتورة: ثناء مرسى يسرى – الدوافع والغرائز ص٢٥ ط٢ /١٩٧٧م.

(٤) العلامة سعيد الخورى الشرتونى اللبنانى – أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد – باب الدال – فصل الفاء وما يثالثهما – الجزء الأول ص٣٣٩ – (طبعة ١٨٩٣م بمطبعة مرسلى اليسوعية – بيروت) .

ومنه قولهم : « دفع فلأن أخر إلى كذا » ، أى اضطره إليه، علـــى ســـبيل الحاجة ، سواء كانت مادية أم معنوية ، ومن ثم يلتجئ مرغما[1] ، إلى ما دفع إليه ، فكأنه (مضطر) أوقعته الضرورة المدفوع إليها .

◄ **الثانى : السبب الموصل**[2] :

تقول العرب « طريق يدفع إلى طريق كذا، ومعناه أى يوصل إليه ، وينتـــهى به، بمعنى أن « الطريق الموصل » هو الذى دفع إلى الغاية ، وهو الطريق الثـــانى ، فلولا الأول – ما تم الوصول إلى الثانى .

◄ **الثالث : الإسراع إلى الغاية**[3] :

ومنه قولهم « أندفع الفرس فى سيره مسرعا إلى الغاية ، التى تطلب منـــــه ، بمعنى أن يكون السير فى الطريق بسرعة ، ويكون سبب تلك السرعة ، هو المعـــروف باسم الدافع ، فإذا آرتبط به القصد ، فهو الدافع الذى يجرى مجرى العادات .

◄ **الرابع : الحماية**[4] :

ورد فى لغة العرب قولهم : « فلان دفع عن فلان الأذى » بمعـــنى : حمـــاه ووقاه شر الآخرين ، بحيث لم يقعَ له خطر ، ويدخل فى ذلك المعنى ؛ كل ما يتعلـــق بلون من ألوان الحماية ، سواء طلبها الشخص ، أم فرضت حوله.

◄ **الخامس : التعلق بالشيء ولعا**[5] :

يقال : « دافع الرجل أمر كذا ، إذا أولع به ، وانهمك فيـــــه » بحيـــث لم ينشغل بأمر غيره ، فصار الأمر المنهمك فيه هو شاغله الرئيسى ، ويقال عليه أنـــه فى

---

(١) ومنه ما يجرى فى أعراف الناس ، مـن وصـف الخـارجين مـن ديـارهم مرغمـين ، ووضعـهم فـى غيرها من البلاد مضطرين ، "باسم اللاجئين".

(٢) العلامة ابـن منظـور – لسـان العـرب – الجـزء الثـانى ص١٣٩٤ – بـاب الـدال حـرف الفـاء ومـا يثالثهما (طبعة دار المعارف – الطبعة الرابعة ١٩٨٥م) .

(٣) الأستاذ / الطاهر احمد الزاوى الطرابلسى – مختار القاموس – حرف الدال فصـل الفـاء ص٢١٢ (الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م – مطبعة عيسى البابى الحلبى) .

(٤) السيد / محمد مرتضى الحسينى الزبيدى – تحقيـق الدكتـور/ حسـين نصـار – تـاج العـروس مـن جواهر القاموس – فصل العين حرف الفاء ص١٣٦ (مطبعة حكومة الكويت ١٣٦٩هـ/١٩٦٩م) .

(٥) العلامة الشيخ / أحمد رضا – معجم متن اللغة – باب الدال فصل الفاء – المجلد الرابـع ص٢٢٢ (طبعة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م – دار مكتبة الحياة ببيروت) .

بؤرة شعور صاحبه ، ومنه دوافع : « البقاء والجنس » وغيرها مما يدخل فى هــذا النطاق ، من الدوافع الأساسية ، والدوافع الثانوية.

◄ **السادس : القوة**[١] :

ومنه قولهم : « ركن مدفع » أى قوى بحيث لا ينال منه صوت الريـــح ، ولا هبوبه ، كما لا تؤثر فيه العواصف أو الأمطار ، وفوق ذلك فإن من يلجأ إليه ؛ يحميه من العوادى ؛ لصلابته ومتانته .

◄ **السابع : الحجة** :

نقد الشيء ورده[٢] : ومنه قولهم : « دفعت القول » أى رددته بالحجـــة ، لأن القول له وجوه ، يقبل عليها . ويرد بها ، فإن كانت أسانيده قويـــة – صـــار حجة ، وإن كانت أسانيده واهية – رد بالحجة ، فكأنه دافع يحتمى بالحجة ، فإمـــا أن تدعمه ، أو تهدمه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ " وتلك حجتنا آتيناها إبراهيـــم علـــى قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم" ﴾[٣] .

---

(١) الأب – لويس معلوف اليسوعى – المنجد فى اللغة والأدب والعلوم – باب العين فصل الدال ص٢١٨ (الطبعة التاسعة عشر – المطبعة الكاثوليكية ببيروت) الخامس والعشرين من آزار ١٩٦٦م .

(٢) العلامة أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى – المصباح المنير – الجزء الأول – كتاب الدال مع الفاء وما يثالثهما ص٣١٠ (الطبعة الثانية – المطبعة الأميرية ١٩٠٩م) .

(٣) سورة الأنعام الآية ٨٣ . يقول الطبرى : « إذن وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه فرفعنا بها درجته عليهم وشرفناه بها عليهم في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا فآتيناه فيها أجره وأما في الآخرة فهو من الصالحين نرفع درجات من نشاء أي بما فعل من ذلك وغيره، وأما قوله إن ربك حكيم عليم فإنه يعني إن ربك يا محمد حكيم في سياسته خلقه وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة لهم الجاحدة توحيد ربهم وفي غير ذلك من تدبيره عليم بما يئوول إليه أمر رسله والمرسل إليهم من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم وهلاكهم على ذلك وإنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى وتصديق رسله والرجوع إلى طاعته يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم تأس يا محمد في نفسك وقومك المكذبيك والمشركين بأبيك خليلي إبراهيم صلى الله عليه وسلم واصبر على ما ينوبك منهم صبره فإني بالذي يئول إليه أمرك وأمرهم عالم التدبير فيك وفيهم حكيم » [تفسير الطبري ج٧ ص٢٥٩]

◀ **الثامن : المحرك**[1] :

يقال : « ذاك دافعه إلى كذا » أى هو محركه إلى فعل ذلـــك الشـــيء أو تركه ، فدافع القرب من الله يحجب صاحبه عن مخالفة أمره ، ودافع الانغمـــاس فى الشهوات ؛ يدفع صاحبه إلى مخالفة أمر الله[2] وفى كل الحالات فإن الدافع يكــون بمثابة المحرك ، أو هو المحرك ذاته .

◀ **التاسع : ترك الإهمال**[3] :

ومنه قولهم « دفع الرجل قوسه[4] يدفعها بمعنى أهملها. يقال : « مـــالك لا تدفع قوسك » أى لا تعودها على العمل ، لأنك بإهمالك لها تغير أمرها ، فكـــأن الدافع عنده غير موجه صوابا ، بمعنى أنه لو دفع قوسه للعراك - لصارت مستعملة ، فيظل أمرها قائما ، أما إذا لم يدفعها لذلك ، فقد فهم منه أنه دفعها إلى الإهمـــال ، باعتبار أن القوس أما عاملة ، أو مهملة ، وفى أى من الحالتين تكــون مدفوعـــة لا دافعة .

◀ **العاشر : الإزاحة**[5] :

ومنه قولهم : « دفع الله عنه الأذى » أى أزاحه عنه ، فلم يتمكن منى رغـــم إرادة فاعله الأذى بى، ومحاولة إيصاله إلي.

---

(١) العلامة الزمخشرى - أساس البلاغة - باب الدال فصل الفاء (طبعة ١٩٦٠م - دار مطابع الشعب) .

(٢) كمن يدفع ماله لا لإرضاء الله ، بل لأوجه أخرى ينصرف هو إليها ، وذلك مخالفا لأوامر الله .

(٣) مجمع اللغة العربية - تصدير : دكتور/ إبراهيم مدكور - المعجم الوجيز - باب الدال فصل الفاء (طبعة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م - طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم) .

(٤) القوس: ما يرمى عنه. قال تعالى: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (النجم/٩) ، وتصور منها هيئتها، فقيل للانحناء: التقوس، وقوس الشيخ وتقوس: إذا انحنى، وقوست الخط فهو مقوس، والمقوس: المكان الذي يجري منه القوس. وأصله: الحبل الذي يمد على هيئة قوس، فيرسل الخيل من خلفه- راجع مفردات ألفاظ لقرآن الكريم للأصفهانى - كتاب القاف.

(٥) المعلم بطرس البستانى - قطر المحيط - باب الدال فصل الفاء (طبعة ١٨٦٩م - مكتبة لبنان) .

[ب] فى الاصطلاح[1]

[أ] الفقهاء[2] :

الدفع : « هو ما يدفع به الخصم حجة خصمه عند الحاكم الشرعى »[3] .

وهذا التعريف أقرب ما يكون إلى اصطلاحات علماء أدب البحث والمناظرة[4] ، وفى ذات الوقت ، قد يتفق عليه فقهاء العلوم الشرعية فى باب الجدل ، أو الحدود والعقوبات، ولك وجهة قائم تعريفه عليها.

---

(١) عرف الإمام الجرجانى الاصطلاح قائلا : « الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بازاء المعنى، وقيل الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين » [التعريفات ج١ ص٤٤ باب الألف رقم:١٥٥] . وقال صاحب التعاريف : « الاصطلاح اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول » [التعاريف ج١ ص٦٨ – باب الهمزة – فصل الصاد]. ويذهب العلماء إلى أن الألفاظ المستعملة ، إما آتية من قبيل الوضع ، أو من قبيل النقل من لغة إلى لغة ، أو النحت من المعانى المختلفة ، أو الاشتقاق القائم فى أصول بعض الكلمات – [راجع دراسات فى نحو العربية ص٣٥ – دكتور / محمد على الهاشمى (طبعة فاس بالمغرب ١٩٤٣م) . وراجع كذلك : كتب المنطق فى مبحث دلالة الألفاظ على المعانى المفردة]

(٢) الفقهاء : جمع (فقيه) . ويقصد بها المختصون فى العلوم الشرعية الإسلامية ، وعلى وجه الخصوص علماء الفقه وأصول الفقه .

(٣) المعلم / بطرس البستانى – دائرة المعارف – قاموس عام لكل فن ومطلب – المجلد السابع ص٧٠٤ (طبعة ١٨٨٣م – مطبعة المعارف بيروت) .

(٤) علماء أدب البحث والمناظرة ، يعملون بالفقه ، كما يعملون بالمنطق ، والجدل ، ولذا فإن أدب البحث والمناظرة ، يستخدم فى الفقه ، والمنطق ، والأصول ، كما يستخدم فى علم الكلام أيضا . راجع أصول التشريع الإسلامى١٣٥ (دار حسب الله – الطبعة الرابعة – دار المعارف بمصر) وكذلك راجع خصائص الشريعة الإسلامية – دكتور / محسن الشارونى ص٦٨ (طبعة العراق ١٩٦٨م) ، وراجع المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية – دكتور/ عبدالكريم زيدان ، وغيرها من المؤلفات المعنية بهذا الجانب .

ولا شك أن ذلك المفهوم متعلق بطبيعة الدافع ، الذى يستخدم الدفع وسيلة ، حتى يصل به إلى إفساد أدلة خصمه ، أو بيان أوجه الضعف فيها ، حتى ينصـــــرف القاضى عنها .

[٢] فى علم النفس(١) :

من المعلوم أن العلوم النظرية(٢) ؛ قد تقدمت تقدما كبــــيرا ، فى مســـائلها ، وقضاياها ، والموضوعات التى تتعرض لها ، والأنماط التى تظهر فى ثناياها ، ســــواء على سبيل المعالجة لها ، أم الدراسة . وعلم النفس من العلوم التى صار الجزء الأكـــبر منها داخلا فى العلوم المعملية ، بحيث يمكن القول بأن علم النفس : صار علما عمليا نظريا ومعمليا فى ذات الوقت .

قد عنى علماء النفس على اختلاف انتماءاتهم بتقديم تعاريف للدافع . منها :-

(١) إن الدافع عبارة عن عامل داخلى ، يستثير سلوك الإنســــان ، ويوجهـــه ، ويحقق فيه التكامل(٣) ، بحيث لو لم يوجد ذلك الدافع - ما تم ذلك علــــى ناحية التكامل .

---

(١) تعريف علم النفس : هو العلم الذى يبحث فى الحالات النفسية ؛ من سرور ، وألم ، وارتيـاح ، وامتعاض ، وفرح ، وحزن ، وتصميم ، وتردد ، وكذلك يبحث فى العمليات العقليــة المختلفـة ، كما يبحث فى الاستعدادات الطبيعية والمكتسبة – راجع : أسس علم النفس – دكتور/ عبدالعزيـز القوصى ص٣ .

(٢) يقسم العلماء العلوم إلى أقسـام منـها : « أ- العلـم المحـدث ، ب- العلـم القديـم » ثـم يجعلـون المحدث نظريا ، وهو ما يحتاج إلى بذلك المجهود فيه ؛ لتحصيله ضروريا ، وهـو الـذى يعـرف ببداهة العقل ، أو طبيعة الأشياء ، تحكم به الضرورة العقلية ، وهناك تقسـيمات أخـرى كثـيرة من تلك النواحى . راجع حاشية العلامة القطب الرازى علـى الشمسـية ، ومعـها حاشـية العلامـة الجرجانى ص١٧ (مطبعة الحلبى) ، وكذلك الغزاليـات فـى منطـق التصـورات للدكتـور/ محمـد حسينى موسى محمد الغزالى ص١٨٥ وما بعدها (الطبعة الثانية) .

(٣) أدوارد د.ج موراى – الدافعية والانفعال ص١٨٣ (الطبعة الأولى – دار الشـروق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .

والملاحظ أن هذا التعريف : إنما يمثل وجهة نظر ؛ لما هو معلوم من أن التعاريف التي ليست حدية[1] ، يكون التعريف المقدم فيها على ناحية الاصطلاح بمثابة تعريف تقريبي [illegible] وجهة نظر صاحبه .

(٢) **الدافع** « يستعمل بكل بساطة للدلالة ، على فكرة تستخدم ، لكي نوضح بها ، أن سلوك الكائن الحي ، يتوقف في تغيره وتعديله ، على إخضاع الكائن الحي ، وتعرضه أو تعريضه لعمليات معينة ، ونجد أن الدافع يعتمد في ظهوره على الطاقة المختزلة بالجسم ؛ وهو الذي يوجهها »[2] .

وهذا التعريف قد ركز على الجانب الاستعمالي للفظ الدافع ، فكأنه يطبق به قاعدة ، في الوقت الذي يضبط عليه سلوكا بعينه ، بينما المراد هو بيان ماهية الدافع من حيث هو على الحقيقة ، لا على الاستعمال .

(٣) **الدافع** :« هو القوة البيولوجية[3] النفسية داخل الفرد ، التي تستحثه على القيام بنشاط معين ؛ لإشباع وإرضاء رغبة محددة ، كما أن هذه القوة تستمر في دفع الفرد ، وتوجيه سلوكه ، حتى يشبع رغبته تلك ، أو حاجته هذه »[4] .

وهذا التعريف أقرب ما يكون إلى التعريفات المشتركة بين علماء البيولوجي ، وعلماء النفس ، وبخاصة في الجانب السلوكي .

---

(١) المقصود بالتعريف الحدي عند المناطقة ، ما كان له جنس ، وفصل ، فإذا لم يكن له جنس وفصل – فهو تعريف تقريبي لا حدي – راجع التعريفات للعلامة السيد الشريف الجرجاني ص٧٤/٧٣ (طبعة الحلبي) .

(٢) الدكتور / مصطفى فهمي – الدوافع النفسية ص٣٩ (الطبعة الخامسة – مكتبة مصر – دار مصر للطباعة ١٩٦٠م) .

(٣) البيولوجي : علم الأحياء أو البيولوجيا ، أو علم الحياة ، وهو العلم الذي يبحث في الكائنات الحية ، وعلم الوظائف العضوية – راجع قاموس المورد ص١٠٦ .

(٤) دكتور / فرج عبدالقادر طه – أصول علم النفس الحديث ص٨١ (الطبعة الأولى ١٩٨٩م – دار المعارف) .

(٤) **الدافع هو :** « الطاقة الكامنة فى الكائن الحى ، والتى تدفعه لممارسة سلوك معين فى العالم الخارجى ، وهذه الطاقة الكامنة ، هى التى ترسم للكائن الحى ؛ أهدافه ، وغاياته ، وتساعده على تحقيق أحسن تكيف ممكن مع بيئته الخارجية »[1] .

وهذا التعريف فيه بعض العموميات ، حيث إنه استخدم ألفاظا واسعة ، مثل (الكائن الحى) ، وهذا الاستخدام اللفظى نراه واسعا ، لأنه يشمل الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، كما يشمل الجن ، والملائكة ، وكلها كائنات حية ،لا نملك ضبطها .

وأرى أن هذا التعريف ، إذا عدل فيه لفظ الكائن الحى ، إلى لفظ أخص – لكان تعريفا قويا مؤديا لغرض له قيمة كبيرة ، فى الدراسات النفسية ، على أقل تقدير ، ولو فى الجانب النظرى منها .

[٢] علم الفلسفة :

علماء الفلسفة حاولوا تقديم تعريف للدافع يتناسب مع المفاهيم ، والمصطلحات التى يستعملونها ، ولذا فقد عرفوا الدافع بأنه : « المحرك ، وأكثر ما يطلق اللفظ على الدوافع الانفعالية ، واللاشعورية ، التى تحرك نشاط الفرد ، وتوجهه إلى غاية معينة ، ومعنى الدافع لا ينفصل عن معنى الحركة ، باعتبار أن مفهوم الحركة هو نفسه مفهوم الدافع ،إذا ما اعتبرنا أن لفظ المحرك يشملهما معا »[2] .

---

(١) دكتور / عثمان لبيب فرج – الشخصية والصحة العقلية ص١٧٦ (الطبعة الأولى ١٩٧٠م – مكتبة النهضة المصرية) .

(٢) دكتور/ جميل صليبا – المعجم الفلسفى – الجزء الأول ص٥٥٧ – (دار الكتاب اللبنانى – بيروت – لبنان – طبعة ١٩٨٢م) .

❁ **وفى تقديرى** : أن هذا التعريف يمثل مرحلة من مراحل التفكير الفلسفى فى عصره[١] القديم ، أما فى العصور التالية له ؛ فقد اختلف الأمر ، وظهرت اتجاهات عديدة ، فى تعريف الدافع ، نظرا لاختلاف العصور الفلسفية ، وتباين المدارس المعنية بهذا الجانب من التفكير الميتافيزيقى[٢] أو الفيزيائى على السواء .

◄◄ [٤] علم الفيزياء[٣]:

يذهب علماء الفيزياء إلى أن الدافع هو : « القوة المؤثرة على الأجسام ، والتى تمثل التغير فى كمية التحرك له ، حيث إن : القوة تساوى المعدل الزمنى للتغير فى كمية التحرك »[٤] .

وهذا التعريف ؛ أقرب ما يكون إلى الناحية الديناميكية ، التى تعتمد على الحركة المنتظمة ، وهو بلا شك تعريف مادى فيزيائى ، اتفق عليه المعنيون بالأمر فى هذا الجانب ، وربما وقع خلاف بينهم حوله على نواح فنيه ، إلا إن ذلك لا يعنينا فى تلك الدراسة ، حتى نفرد له شكلا من أشكال المعالجة .

كما أن هذا التعريف يمثل نوعا من الحكم على الدافع سواء فى ناحية الإيجاب ، أم فى ناحية السلب ، لما هو معروف ؛ من أن العلوم الطبيعية التطبيقية تظل القوانين فيها قائمة ، بين العكس والطرد ، بمعنى أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة ، وإلا أغلق باب البحث والاجتهاد ، وذلك مما يرفضه أصحاب تلك العلوم أنفسهم .

---

(١) عصور الفلسفة : العصر الإغريقى اليونانى – فلسفة العصور الوسطى – الفلسفة الإسلامية – الفلسفة الحديثة – دكتور/ محمد الغزالى ص٣٥ (الطبعة الثالثة) ن وكذلك أسس الفلسفة للدكتور / توفيق الطويل .

(٢) الميتافيزيقا : يقصد بها الجانب الإلهى ، فيما بعد العلوم الطبيعية . راجع نظرات فى الميتافيزيقا ص٤٥ – دكتورة / هناء عبدالسلام الكردى (طبعة فاس بالمغرب ١٩٦١م) .

(٣) الفيزياء : هو العلم الذى يبحث فى ظواهر الطبيعة المادية ، كالحركة ، والثقل ، والضغط ، والحرارة ، والضوء والصوت ، والكهرباء . راجع المعجم الفلسفى –دكتور جميل صليبا ص١٧ .

(٤) راجع كتاب الفيزياء المقرر على الصف الأول الثانوى ص٤٨ (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم – طبعة ١٩٩٨/١٩٩٩م – مطابع الأهرام للتجارة) .

وفى تقديرى : أن هذه التعريفات الفيزيائية للدافع ، قد يستفاد منها فى العلـــوم النظرية ، كل بقدر ما يري الحاجة داعية إليها ، وإنما قدمـــت تعريفـــا للدافـــع عندهم ، حتى تكون الدراسة حول الدافع – من حيث تعريفه – وافية بـــالغرض الذى تمت من أجله .

ب- أقسام الدوافع

وهى تنقسم الدوافع إجمالا إلى للفطرية[1] ،ومكتسبة[2] ،لله وسألمح لكل من القســمين ، مع بيان أنواعهما على النحو التالى:

القسم الأول : الدوافع الفطرية

وهى التى تكمن فى الإنسان ، ويولد مزودا بها ، ولا يمكنه الاستقلال عنـــها أو الانفصال ، وإن أمكن تعديلها أو بعضها فى مراحل العمر.

القسم الثانى : الدوافع المكتسبة

وهى التى يكتسبها الإنسان بعد ولادته من خلال التطور الزمـــنى ، وهـــى تتنوع مع تنوع خبراته ،والمواقف التى يتعرض لها ، وطبيعة كل مرحلة عمرية يمر بها.

والمعنيون بالدراسات النفسية ، يقدمون مجهوداتهم المتعددة فى هذا الجـانب ، وبالتالى يقومون باستخراج وإنشاء تعريفات للدوافع تعريفات كثيرة ، كما يقدمون لها تنوعات. منها .

القسم الثالث : الدوافع الشعورية

وهى التى يدرك الفرد فيها العلاقة بينها ، وبين سلوكه[3] ، ويكون متفـــهما لأسبابها ونتائجها ، بحيث تكون النتيجة ترجمة حقيقية لما يجرى فى شعور صاحبـــها ،

---

(١) فطرية الخلقة : أى التى يكون عليــها كـل موجـود أول خلقـة . راجـع المعجـم الوجـيز – مـادة " فطر " .

(٢) مكتسـب : ما كسب من مال أو صفات .المعجم الوجيز – مادة "كسب".

(٣) الدكتورة / نجيبة الخضرى – علم النفس والأخصائى النفسى – ص١٢١ – (ط الأولى) ١٩٧٢ – مكتبة عين شمس .

إيجابا أو سلبا ، وفى نفس الوقت تكون تلك الدوافع محددة ، آخذة قدرا كبيرا من تفكير صاحبها ، ومجهوده العقلى.

وبناء على هذا التعريف : فإن الدوافع الفطرية ، بأقسامها ، يمكن أن تدخل فى هذا الإطار ، بحيث لو ارتد التقسيم إلى العكس صح ذلك، بمعنى أن تقسم الدوافع إجمالا إلى :

[١]دوافع شعورية[١].

[٢]دوافع لا شعورية .

فإنه يمكن اعتبار القسم الأول – الدوافع الشعورية – : قائما فيه الفطري والمكتسب ، بأنواع كل منهما ،باعتبار أنها جميعا ، يتم فيها التفكير بصورة ما ، وتوجه سلوك صاحبها إلى شيء ما ، مع الأخذ فى الحسبان النتائج المترتبة ، والاحتمالات القائمة .

القسم الرابع : الدوافع اللاشعورية

وهى التى لا يدرك فيها الفرد العلاقة بينها ، وبين سلوكه ، كما يقصد بها مجموعة الاستعدادات ، والعوامل والعمليات التى تؤثر فى سلوك الفرد ، دون أن يشعر بها ، مثل : الذكريات ، والمخاوف المكبوتة ، فالفرد لا يعرف أنه يكبت مشاعره ، أو لماذا يكبتها[٢] ، وكذلك قد تكون صور الخوف هى التى تمارس ضبط سلوكياته ، باعتبار ما وقع له منها فى الماضى ، ولكن الصور هى التى توجه صاحبها.

---

(١) هذا التقسيم باعتبار ومفهوم الشعور واللاشعور، وهو غير التقسيم السابق القائم على مفهوم النظرية والكسبية.

(٢) الدكتورة / نجيبة الخضرى – علم النفس والأخصائى النفسى – ص١٦٦ – (ط الأولى) ١٩٧٢ – مكتبة عين شمس .

جـ تنوعات الدوافع

- **تتنوع الدوافع باعتبارات مختلفة، وكل اعتبار منها يرتد إلى قسم من الأقسام التى سلف ذكر طرق منها، وهاأنذا أعرض لطرق منها على النحو التالى:**

أولا : أنواع الدوافع الفطرية

- **تتنوع الدوافع الفطرية إلى:**

[١] الدوافع الفطرية (الأولية):

- وتعرف بأنها « استعدادات يولد الفرد مزودا بها ، وهى تعتمد فى إثارتها على الحالات الجسمانية الداخلية (الفسيولوجية) »[١] .

- **وقد ركز التعريف على جانبين :**

- **الأول** : فطرية الاستعدادات الموجودة فى النفس ، من قدرة على التكيف مع الوضع القائم ، وبذل للمجهود فى سبيل بلوغ هدف معين .

- **الثانى** : هو كيفية التعرف على تلك الاستعدادات . من خلال توجيه منبهات ، أو إرسال مثيرات تغذى المشاعر الفطرية الموجودة داخل الإنسان، فتجعلها تسلك مسالك معينة ، هى الدوافع ذاتها .

وفى تقديرى : إن فصل[٢] السلوك الفطرى عن وسيلته – أمر يصعب الوصول إليه ،عن طريق المعامل التجريبية ، فى مجال العلوم التطبيقية ، وإن أمكن ذلك بسهولة عند الفلاسفة النظريين؛ لأنهم يتمكنون من ممارسة ذلك على ناحية ذهنية.

---

(١) الدكتور / مصطفى فهمى – الدوافع النفسية – ص٥٠ – الطبعة الخامسة – مكتبة مصر – دار مصر للطباعة ١٩٦٠.

(٢) هذه المسألة – فصل الوجود عن الماهية – مما عنى به المناطقة والفلاسفة ، ولطالب المزيد مراجعة الجزء الأول من شرح المواقف، للعلامة / عضد الدين الآيجى بشرح السيد / الشريف الجرجانى، وعليه جملة من الحواشى.

❊ **كما تعرف بأنها** :« ما تنتقل عن طريق الوراثة ، فلا يحتاج الفرد إلى تعلمه واكتسابه[١]» .

وهذا التعريف ؛ ينطبق على العلوم البيولوجية[٢]- علم الحياة - فى جانب متعلق بالجينات ، وهو ما ليس مرادا فى الدراسات النظرية عندنا ، كما أن مجال علم مقارنة الأديان ، لا يعنى بالتعريفات التى تقوم على جوانب تخضع للملاحظة ، والتجربة ، بعد فرض الفروض ، والتثبت منها ،عن طريق المناهج المعروفة[٣].

كما أن هذا التعريف قد ركز على فكرة التبعية البيئية ، بمعنى أن الإنسان ابن بيئته[٤]؛ يخضع لتأثيراتها المتعددة ، ويحاول التكيف معها طبقا للظروف ، والمستحدثات ، التى تغطى سحابة اليوم الذى يعيش فيه، وهى ناحية اجتماعية ، أكثر منها ناحية تعريفية.

لأن المفروض فى التعريف ، التركيز على الموضوع المطروح ، والأسباب التى تقف له ، والغايات التى يتطلع إليها ، باعتبار أن التعريف يوضح مبهما ، أو يشرح غامضا .

---

(١) دكتور / أحمد عزت راجح - أصول علم النفس - ص ٧٠ - (الطبعة السابعة - ١٩٦٨م - دار الكاتب العربى - القاهرة .)

(٢) البيولوجى - علم الأحياء أو البيولوجيا ، أو علم الحياة . وهو العلم الذى يبحث فى الكائنات الحية ، وعلم الوظائف العضوية - راجع قاموس الموارد ص١٠٦ .

(٣) راجع تلك المسألة - فى كتاب المنطق الحديث ومناهج البحث - للدكتور/ محمود قاسم - (طبعة الأنجلو المصرية ١٩٦٨م).

(٤) هذا المفهوم لا يعنى مخالفة المبدأ القائل : إن الإنسان مدنى بطبعه ، لأن الطبع يكتسبه المرء عن طريق البيئة أحيانا ، ويسمى التطبع - راجع مقدمة ابن خلدون ص١١٨ - بدون الحاشية .

❊ **كذلك عرف الدافع الفطرى الأولى بأنه:** « المنسوب للفطـــرة ، وهـــو المقـــابل للمكتسب ، والفطرة هى الجبلة[١] ، التى يكون عليها كـــل موجـــود فى أول خلقه ، وهى البدأة التى بدأ الله خلقه عليها ، وهى الطبيعة الأولى الـــتى يكـــون عليها المولود فى وقت ولادته »[٢].

وهذا التعريف ركز على الجوانب اللغوية ، وبالتالى فهو قريب من التعاريف القاموسية والمعجمية ، إن لم يكن هو ذاتها ، وطالما أن الدراســة تتعلـــق بالناحيـــة الفنية ، فإن التماس تقديم تعريف اصطلاحى ، ينال القبول ، من المهتمين بدراســـة تلك العلوم يكون هو الغاية الأصلية.

❊ **وقد تعرف الدوافع الفطرية الأولية بأنها:** « التى تـــؤدى دورا هامـــا فى حيـــاة الإنسان والحيوان ، وهى التى تقوم بتلبية حاجات البدن ، وتسد كل ما يطـــرأ عليه من نقص ، وتقاوم كل ما يطرأ عله من خلل ، أو اضطـــراب أو فقـــدان الاتزان ، فهى تعمل دائما على الاحتفاظ للجسم بقدر معـــين مـــن الاتـــزان الحيوى ، اللازم لحفظ ذاته وبقائه »[٣] .

۞ **وفى تقديرى** : إن هذا التعريف قد ركز على الناحية الإحيائية للخلية الحيوانيـــة ، حيث اعتبر الدافع نوعا من النشاط الخلوى ، الذى يحفز الكائن الحـــى علـــى

---

(١) الجبلة : هى الطبيعة والخلقة ، و ـ الأمة و ـ الجماعة من الناس . راجع المعجم الوجيز ص٩١ مادة جبل .

(٢) الدكتور/ جميل صليبا – المعجم الفلسفى – الجزء الثانى – دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة ببيروت ١٩٨٢ .

(٣) الدكتور / محمد عثمان نجاتى – القرآن وعلم النفس – ص ٢٤ – (ط الأولى) ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ – دار الشروق . وقد اتفق معه فى نفس الرأى الدكتور : سيد عبدالحميد مرسى – النفس المطمئنة – ص ٦٨ – (ط الأولى) ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م – دار التوفيقية النموذجية للطباعة والجمع الآلى.

اكتساب مبقياته فى الحياة ، طبقا لقاعدة تنازع البقاء[1] .

إلا أن نفس التعريف ، قد ضم إلى النشاط الخلوى ، الرغبة الداخلية للكائن الحى فى عملية الموائمة مع الحياة ، ومحاولة تكييف نفسه مع البيئة المحيطة ، حتى تتحقق له فى النهاية ، الأمنية التى ينشدها ، والرغبة التى يبحث عنها، فإذا ضممنا الفكرتين إلى بعضهما ، على النحو الذى عرضناه ، يكون التعريف مقبولا ، ثم إن هذا التعريف ، لا يمنع من دخول الدافع المكتسب ضمن مفرداته ، باعتبار أن الدافع المكتسب ، هو عبارة عن نشاط يقوم به الكائن الحى ، للتوافق مع البيئة التى يعيش فيها ، وفى حدود الإمكانيات المتاحة عن طريق الاكتساب .

وفى نفس الوقت فقد عرفت الدوافع الفطرية الأولية أيضا بأنها : « ما غرس فى الكائن الحي ، إنسانا كان أم حيوانا ، عن طريق الوراثة التى يرثها الكائن الحي ، عن آبائه خاصة ، ونوعه عامة ، ولذا فهى توجد فى كافة أفراد النوع الواحد ، فى كافة العصور ، وفى كافة الأمكنة ، فالفرد ليس فى حاجة لأن يتعلمها ، بل إنه ولد مزودا بها، حتى وإن تأخر ظهورها فيه لبعض الوقت ، حتى يحين مستوى النضج المناسب لظهورها»[2] .

۞ **وفى تقديرى** : إن هذا التعريف فيه الكثير من أوجه الإطناب ، مما يجعل الاحتفاظ به فى الذاكرة أمرا صعبا ، كما أن هذا التعريف الفطرى ليس خاصا بدافع أولى

---

(١) هى إحدى القواعد التى أقام عليها دارون نظريته لتطور الكائنات الحية ، وقد وضع أصحاب التطور الإحيائى قواعد هى: ١- القول بقدم المادة وأزليتها . ٢- التوالد الذاتى (أو التحول والتباين) .٣- الانتخاب الطبيعى أو الاصطفاء النوعى . ٤- تنازع البقاء . ٥- البقاء للأصلح . ٦- قاعدة الوراثة .٧- قاعدة المطابقة . وهذه القواعد بعضها من وضع (لامارك)،وبعضها من وضع (دارون) والبعض الآخر من وضع (هكلى). - راجع (أسس المادية الديالكتيكية) - والمادية التاريخية (لسركين باخوت) ص ٣٩ وما بعدها . ترجمة / محمد الجندى ، وراجع كتابنا: التيارات الفكرية من ص٢٤٩ حتى ص ٣٨١ - ط الأولى ص ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ - آل بسيونى .

(٢) الدكتور / فرج عبدالقادر طه - أصول علم النفس الحديث - ص٨٦- (ط الأولى) - دار المعارف ١٩٨٩ م.

معينا ، وإنما يشمل مجموعة كبيرة ، يراها صاحبه داخلة فيه ، وقد لا توافقه مدارس أخرى على ما ذهب إليه ، وفوق ذلك فإنه يذهب إلى اعتبارها قد غرست فى الكائن الحى ، دون تفريق بين أن تكون قد غرست فى جسده ، كالحال فى قوانين الوراثة ، أو غرست فى مشاعره وعواطفه ، وقدراته العقلية ، كما هو اتجاه علماء الدراسات السيكولوجية ، أو يكون قد ورثها عن طريق البيئة ، والظروف التى نشأ فيها ، كما هو الحال عند علماء النفس العلاجى .

والذى أميل إليه: هو أن الدوافع الفطرية الأولية يمكن تعريفها بأنها: « ما يولد الإنسان مزودا بها ، وتظهر معه فى سنى عمره المختلفة ، وتعينه على القيام بمتطلبات الحياة الضرورية «.

[٢] الدوافع الفطرية الأساسية :-

« وهى التى تعمل على الحفاظ على الكيان العضوى للفرد ، والدفاع عن فرديته البيولوجية ، فلأجل أن نعيش ، أو أن نتحاشى عوامل الهدم فينا ، يجب علينا أن نمد الجسم بالطعام والشراب ، ومن أبرزها: -

[١] دافع الجوع .

[٢] دافع العطش .

[٣] دافع النوم «[1] .

ويمكن ملاحظة أن هذا التعريف ، لم يلتفت إلى الجانب النفسى فى الكائن الحى ، بقدر ما اهتم بالجانب البيولوجى فيه ، فكأن الكائن الحى على هذا التعريف ، مجرد معدة تأكل وتهضم ، ودم يجرى ، فيحافظ على خلايا الجسم من الانهيار ، كأنه عضو فى خلية نباتية .

---

(١) الدكتور / مصطفى فهمى - الدوافع النفسية - ص ٥٠- (ط الخامسة)مكتبة مصر للطباعة ١٩٦٠م .

وكم تمنيت أن يلتفت التعريف إلى القوى النفسية أيضا، والملكات العقلية ، والطاقات الوجدانية ، والجوانب الإيمانية ، باعتبار أن الجوانب النفسية ، تمثل جانبا مهما فى حياة الإنسان ، الذى يتكون من نفس وروح ومادة .

وربما نستأنس لما ذهبنا إليه ، بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، التى وردت فى هذا الشأن ، فمن الآيات القرآنية قول الله تعالى :﴿ " **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** " ﴾[1] ،ومن الثانى ، قول الرسول ﷺ :« ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه إما يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء[2] ،هل ترون فيها من جدعاء[3] »[4] .

- **وفى تقديرى** ؛ إن الدوافع الفطرية الأولية ، تشبه إلى حد كبير الدوافع الفطرية الأساسية ، بل إن الاختلاف بينهما ربما كان فى الألفاظ المستخدمة ، والتسميات القائمة ، وكم تمنيت لو أن هناك دراسة متخصصة تعنى بذلك الجانب ، على ناحية ما يتعلق بعلم النفس ، نظريا أو تجريبيا، أو علميا وسلوكيا وتطبيقيا.

[٢] الدوافع الفطرية الثانوية :

وهى الدوافع التى تعمل على بقاء النوع مثل :

[١] دافع الجنس .

[٢] دافع الأمومة[5] .

---

(١) سورة الروم – الآية ٣٠ .

(٢) جمعاء : من ألفاظ توكيد الشمول للمؤنث – تقول : "جاءت القبيلة جمعاء ".

(٣) جدعاء : وهى مقطوعة الأنف ، أو الأذن . أو اليد . أو الشفة .

(٤) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص٤٥٦ – الحديث رقم:١٢٩٢ ، وأخرج الإمام مسلم بلفظ عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « من يولد يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون الإبل فهل تجدون فيها جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين » [الإمام مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢٠٤٨ – رقم:٢٦٥٨]

(٥) دكتور / أحمد عزت راجح – أصول علم النفس – ص٧٣– (ط السابعة ١٩٦٨) دار الكاتب العربى .

وهذا التعريف يشمل عالمى الإنسان والحيوان ، فكلاهما يشترك فى محاولة المحافظة على النوع من خلال الوظائف البيولوجية التى يقوم بها ، كما أن الأمومة قاسم مشترك بينهما ، لا ينفصل أحدهما فيها عن الآخر ، إلا شذوذا ، ، وربما حدث نوع من التلاقى فيهما ، بين الإنسان والحيوان ، على وجه الحدة أو القوة ، أو الضعف ، إلى غير ذلك من الوجوه المحتملة .

❁ **وفى تقديرى** : لو أن هذا التعريف جاء منحصرا فى الإنسان وحده - ربما كان أفضل باعتبار، أن مراقبة السلوك الإنسانى ميسره[1]، من خلال الوسائل المعرفية ، التى يمكن ضبطها ، أما الحيوان ؛ فمن الصعب ضبط تلك الدوافع عنده على وجه الحصر الدقيق ، علما بأن المحاولات التى تمت فى هذا الجانب ، أغلبها قائم فى حيوانات التجارب ، وهى التى أعدت لذلك الدور ، بعد تهيئتها هرمونيا وسلوكيا، وليست قائمة فى الغينات العشوائية.

ويذهب علماء النفس ، إلى أن هناك دوافع ناشئة عن الدوافع الفطرية الأولية والأساسية والثانوية، أو هى نتاج لها أو مترتبة عليها، من تلك الدوافع :

❁ **الدوافع الأخرى المترتبة على الدوافع الفطرية ـ الأساسية والثانوية[2] :ـ**

فرغنا من عرض أنواع الدوافع الفطرية - (الأولية ، الأساسية ، الثانوية) ، على سبيل الإجمال الذى تقتضيه ظروف البحث ، وذلك لا يمنع من استكمال نقطة أخرى وهى الحديث عن الدوافع المترتبة عليها .

❁ **وتعرف بأنها** :« هى التى تظهر كرد فعل ـ للدوافع الأساسية والثانوية المختلفة ، وتتفرع منها للمحافظة على الكائن الحى « مثل :

[١] "الجنس" الناتج عن الرغبة فى حب البقاء .

---

(١) أقصد سلوك الإنسان الطبيعى ، أو القادر على التعبير عن نفسه ، ويؤدى ما يصدر عنه فى شىء من الحرية والاختيار.

(٢) الدكتور : فوزى محمد خضر – الدوافع والغرائز (دراسة مقارنة) ص١٧٧ ط أولى ١٩٦٧م.

[٢]"الحب" الناتج عن احتياج بنى الجنس الواحد إلى بعضهم.

[٣]"الهرب" الناتج عن الرغبة فى النجاة .

[٤]" المقاتلة" الناتجة عن المحافظة على الحياة .

وغيرها من الدوافع الأخرى ، التى تترتب على دوافع - أساسية أو ثانوية - وفى تقديرى : إن هذا النوع الثالث من الدوافع ؛ قد يمكن تداخله فى أى نوع من الأنواع السابقة للدوافع ، بحيث يكون جزءا منها ، وليس نوعا ثالثا بعدهما .

ثانيا : أنواع الدوافع المكتسبة

لا شك أن الدوافع المكتسبة تعتبر قسيم الدوافع الفطرية، وطالما تم الحديث عن الدوافع الفطرية بأنواعها، فمن المناسب إفراد الحديث عن الدوافع المكتسبة بأنواعها، حتى تكون الخطة متوافقة والمنهج القائم قد روعى تطبيقه على ناحية سليمة، وهى تتنوع إلى:

[١] الدوافع المكتسبة الأولية :

وتعرف بأنها : « الدوافع التى تنشأ فى ظل الظروف المختلفة للفرد ، وتتأثر إلى حد كبير بالبيئة المحيطة به ، ولذلك فهى دوافع معقدة، وليست سهلة لكونها تنشأ فى ظل ظروف متباينة »(١).

وهذا التعريف يركز على الظروف التى تحيط بالفرد ، دون النظر إلى ما إذا كان ذلك الشخص حرا طليقا أم مقيدا حبيسا ، وإلى ما إذا كان ذلك الفرد يتمتع بظروف طبيعية ، أو يخضع لظروف غير طبيعية .

كذلك فإن ذات التعريف لم يلتفت إلى تأثير المراحل العمرية المختلفة على تلك الدوافع ، وتأثير تلك الدوافع المكتسبة ، على الإنسان فى ذات المراحل ، ثم إنه

---

(١) دكتور / مصطفى فهمى - الدوافع النفسية - ص ٥٨ - (ط الخامسة) مكتبة مصر - دار مصر للطباعة ١٩٦٠.

حاكم على تلك الدوافع ، بأنها معقدة ، و لم يكشف عن نوع التعقيد – هل هو فى دراستها ، أم فى مراقبة مظاهرها ، أم فى الذين يخضعون لظروفها ، ومثله يعتبر تعريفا عاما ، وليس مفيدا على الناحية التخصصية الدقيقة، أو الفنية.

كذلك عرفت بأنها « الدوافع التى تقوم على أكتاف الدوافع والاستعدادات الفطرية ، وتنبت فى ثناياها ، تحت تأثير العوامل الاجتماعية ، وهى التى يكتسبها الفرد عن طريق عملية التعلم ، ونتيجة لخبراته اليومية ، أثناء تفاعله مع بيئته – خاصة البيئة الاجتماعية »[1] .

وفى تقديرى: إن التعريف السابق للدوافع الفطرية ، هو الأساس الذى تنبنى عليه الدوافع المكتسبة ، فإذا لم تكن هناك دوافع فطرية – لم توجد دوافع مكتسبة ، وهذا التعريف ربما لا يتفق مع الحقائق العلمية فى بعض الأحوال.

أما لماذا ؟

فلأن اكتساب العلم مثلا ؛ يقوم على الملكات الذهنية ، والقدرات العقلية التى هى أيضا مكتسبة ، وليست قائمة على دوافع فطرية ، ومثل هذا الذى مر ذكره ، يجعل اعتبار الدوافع المكتسبة ؛ قائمة على الأسس الفطرية ؛ لا يجد ما يدعمه من أدلة .

كما عرفت بأنها « التى تنشأ نتيجة تفاعلها مع خبرات الفرد ، وعوامل البيئة والثقافة التى يعيش فيها ، وتؤثر على تنشئته الاجتماعية »[2] .

وهذا التعريف أقرب إلى القبول – بالنسبة لهذا المجال من غيره – لأنه وضع فى الاعتبار ، التفاعل القائم بين الكائن الحى ، والبيئة المحيطة به ، بجانب الخبرات

---

(١) دكتور / أحمد عزت راجح – أصول علم النفس – ص ٩٠ – (ط السابعة) ١٩٦٨ م – دار الكاتب العربى بالقاهرة .

(٢) دكتور / سيد عبدالحميد مرسى – النفس المطمئنة – ص ٧٣– (ط الأولى) ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلى .

المكتسبة للفرد نفسه ، من ثقافة ، وعوامل الحضارة والمدنية ، والهندسة الوراثيـــة ، وغيرها، وهو مكتسبة كلها.

فى نفس الوقت فقد عرفت بأنها: « الدوافع التى نكتسبها من البيئة الـــتى نشأنا بها ، أو البيئة التى تحيط بنا ، ويأتى اكتسابها عن طريق التعلـــم ، والخـــبرة ، والتعود ،والتقليد ، و تجارب الفرد ، واحتكاكه بوسطه ، وبيئته الخاصة »[1] ،

❂ ويرى ؛ أن هذا التعريف قد انتقل من الحديث عن الدافع وتعريفـــه ، إلى عرض طرق اكتساب ذلك الدافع ، والوسائل التى تعين عليه . كما أنـــه لم يجعل من فاصلة بين طرق اكتساب الدافع ، وبين النتائج المترتبة عليه ، رغـــم وجود فروق كثيرة ، بين ذات الدوافع المكتسبة ، وبين وسائل تحصيلها والنتائج المترتبة عليها .

أضف إلى ما سبق أن هذا التعريف ؛ لم يوضح لنا مـــا إذا كـــان الدافـــع المكتسب قابلا للتعديل ، كما هو شأن الدوافع المكتســـبة ، أم أنـــه غـــير قـــابل للتعديل ،وهذا مالا يتفق مع علماء النفس، أصحاب ذلك التخصص.

ما مر ذكره ؛ كان من أبرز التعريفات التى مال إليها أصحابها ، عند تناولهم لتعريف الدوافع المكتسبة ، بوجه عام ، وهى لا تخلو من جهود علمية ، فيها الكثـير من جوانب الدقة والإتقان ، التى تفيد كثيرا فى مجال دراسة العلوم النفسية .

◀◀ **[٢] الدوافع المكتسبة الأساسية :**

✲ **عرفت بأنها** « التى لا بد أن يكتسبها كل إنسان ، سواء من خبراته اليوميـــة ، أم من تفاعله الاجتماعى ، مهما اختلفت الحضارة التى ينتمى إليها ، مثل :" الدافـــع الاجتماعى " ، ويترتب عليه المحاكاة ، والاستغاثة»[2] .

---

(١) دكتور / مصطفى فهمى – الدوافـع النفسـية – ص ٦٢ – (الطبعـة الخامسـة) مكتبـة مصـر – دار مصر للطباعة ١٩٦٠ .

(٢) دكتور/ أحمد عزت راجح – أصـول علـم النفـس – ص ٩١ – (ط السـابعة) ١٩٦٨ – دار الكتـاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة .

وهذا التعريف : يفترض فى الكائن الحى ، قبوله لاكتساب دوافع تعلو علـى الفطرية ، بحيث تؤثر فيه وجوبا ، وبالتالى تخرج عن مفهوم الاكتساب ، إلى الجـبر والإكراه ، ولا يكون ذلك إلا على سبيل الإرغام ، الذى لا مجال فيه لحرية الإرادة ، مما يجعله خارجا على دائرة الاكتساب .

❁ **وفى تقديرى** : إن الدوافع المكتسبة ؛ تعرف بأنها التى يحصل عليها الإنسان مـن خلال ملكاته العقلية ، وقدراته الثقافية ، فى حدود ما تطمح فيه نفسه ، أو تنعقد عليه أماله ، ويسرى فى جوانحه سلبا أو إيجابا .

◀◀ **[٢] الدوافع المكتسبة الثانوية :**

« وهى الدوافع التى تنميها بعض الحضارات ، وتعمل على تدعيمها، فـإذا أمكن لها وجود كم يدعمها، استمرت وقويت، أما إذا لم تجد ذلك؛ فإنهـا تندثـر بدليل أن عدم تشجيعها يجعلها تتلاشى، بدليل أن بعض الحضارات تقف لها مقويـة فتنشط فى حين لا تشجع ظهورها حضارات أخرى مثل :

[١] دافع السيطرة .

[٢] دافع التملك .

[٣] دافع الاعتداء والعدوان »[١] .

وهذا التعريف فيه غموض شديد ، لأن الحضارة تعرف بأنها : ذلك النمـط من الحياة المستقرة ، الذى يقتضى فنونا من العيش ، والعلم ، والصناعـة ، وإدارة شئون الحياة والحكم ، وتوطيد حياة الدعة ، وأسباب الرفاهية ، وهى المعـبر عـن القيمة للتقدم الإنسانى ، وهى غاية العمران ، ونهاية عمره[٢].

---

(١) دكتور / أحمد عزت راجح – أصول علم النفس – ص٩٠ – (ط السابعة) – دار الكاتب العربى للطباعة والنشر – بالقاهرة .

(٢) الأستاذ / توفيق محمد سبع – قيم حضارية فى القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن – ص٢٢ جـ الأول . (ط دار المنار) القاهرة .

❊ **كما تعرف الحضارة أيضا بأنها** « ذلك الطور الأرقى الذى بلغه الإنسان ، العربى ، عندما تجاوز حياة البداوة ، فاستقر و توطن ، وأصبح حاضرا فى المكان ، الأمر الذى صحبه امتلاك قيم ، ونظم ، وعادات ، وأعراف ، وأفكار ، وعلوم ، مثلت بناءه الحضارى»(١) .

◄◄ **وتعرف فوق ذلك بأنها** : « تثقيف العقل ، وتهذيبه بالمعارف ، والعلوم اليقينية ، التى يظفر حتى ترقى مداركه»(٢) .

ثالثا : أنواع الدوافع اللاشعورية

◄◄ **[١] الصراع(٣) والكبت(٤) :-**

❊ **أولا : الصراع :**

ويكون نتيجة للإحباط ، ويعقبه عملية الكبت ، إذ أن عملية الكبت لا تتم إلا نتيجة عملية الصراع ، ويعرف بأنه: حالة نفسية تنشأ عن وجود رغبتين ، لا يمكن تحقيق إحداهما إلا فى وجود الأخرى، ومع حالات الصراع ، يعيش الإنسان فى توتر وانفعال ، وضيق.

---

(١) دكتور / محمد عمارة – الإسلام والعروبة – ص ١٣ – (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٦.

(٢) راجع كتابنا: قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة – ص ١٠٧ –(ط الثانية) ١٩٩٦/ ١٩٩٧ – مطبعة محمد كمال للنسخ والطباعة بالشرقية .

(٣) صرع: الصرع: الطرح بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان. صارعه فصرعه يصرعه صرعا و صرعا. والجمع صرعى؛ و المصارعة و الصراع: معالجتهما أيهما يصرع صاحبه. ورجل صراع وصريع بين الصراعة، و صروع: شديد الصرع وإن لم يكن معروفا بذلك، وصرعة: كثير الصرع لأقرانه يصرع الناس،. و الصرعة: هم القوم الذين يصرعون من صارعوا. و الصرعان: المصطرعان.. و الصرع: علة معروفة. و الصريع: المجنون. [لسان العرب ج٨ ص١٩٧]

(٤) الكبت : الإذلال والإغاظة . وكبت الغيظ والشهوة : أى حبسهما . راجع المعجم الوجيز ص ٥٢٤ مادة "كبت".

والصراع أنواع :

[١] **الصراع اللاشعورى** : وهو الذي يتم فى الخفاء ، دون دراية من الفرد ، ويكون بين العناصر المكونة للشخصية ، أى بين الأنا الأعلى[١] والهو[٢] ، وتلك الصراعات هى التى تؤدى فى الغالب إلى الكبت.

[٢] **الصراع الشعورى** : وهو الذى نكون شاعرين به ،ولا يؤدى إلى الكبت ، لأن الشخص يحاول التخلص منه ، وهو ثلاثة أنواع :

- ١- الصراع بين رغبتين متساويتين.
- ٢- الصراع والتردد الذى يكون بين الإقدام ، والإحجام .
- ٣- صراع الأقدام فقط.
- ٣- صراع الإحجام فقط.

ثانيا : الكبت :-

أما الكبت فهو : تجنب الفرد الواقع المؤلم ، أو السبب المؤلم[٣] ،إما عن طريق طرد الدوافع الشعورية المؤلمة إلى اللاشعور ، أو عن طريق النسيان ، وللكبت أنواع :

[١] الكبت القبلى .

[٢] الكبت البعدى.[٤]

---

(١) الأنا الأعلى : تشمل الأفكار والاتجاهات ، والميول والقيم التى امتصها الفرد من الأسرة – ص١٧٧ .

(٢) الهو : هو ذلك الجزء من اللاشعور ، والذى يتكون من الطاقة الغريزية ،ومن الرغبات المكبوتة التى لم يحققها الفرد. ويقول الجرجاني: « الهو الغيب الذي لا يصح شهوده للغير كغيب الهوية المعبر عنه كنها باللاتعين وهو أبطن البواطن » [التعريفات ج١ ص٣٢٠ رقم: ١٥٩١]

(٣) دكتور / عباس محمود – علم النفس العام – ص ٨٨ – دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ م .

(٤) دكتورة/ نجيبة الخضرى – علم النفس والأخصائى النفسى – ص١٦٨ – ولم أحاول التعرض إلى هذه المباحث ، بشيء من التفصيل ، باعتبار أن هذا الدور يقوم به علماء النفس ، لأنه من تخصصاتهم الدقيقة .

*** ثالثا : العقد النفسية :-**

« وهى عبارة عن زمرة من الأحداث ، والذكريات المكبوتة ، المشحونة بشحنة انفعالية شديدة ، من الخوف والغضب ، والاشمئزاز ، ويتميز السلوك الناتج عنها ، بعدم تناسبه مع المثير ، وذلك أنه يتميز بالقسر ، والفجاجة ، والاندفاع ، والعقد النفسية استعدادات مكبوتة ، لا يفطن الفرد لوجودها « [١] ،

ومن أنواع العقد النفسية :

[١]عقدة ألكترا [٢]

[٢]عقدة أوديب .

ويذهب أحد الباحثين ؛ إلى وجود نوع من الدوافع المكتسبة ، يضاف إلى الأنواع الأخرى ، ويطلق عليه لفظ "الدوافع الفردية "، ويعرفها بأنها:

« التى يتميز بها الأفراد ، بعضهم عن بعض ، حتى ممن ينتمون إلى حضارة واحدة ، فقد يكتسبها بعضهم نتيجة لخبرته الخاصة ؛ ولا يكتسبها البعض الآخر ، مثل الاتجاهات والعواطف ، كالحب والكره ، والحاجة إلى الحنو ، والانتماء الناجح ، والشفقة« [٣] .

وهذا التعريف ؛ أقرب إلى الموضوعات التى تتعلق بالفروق الفردية ، منه إلى التعريف الذى يتعلق بالدوافع المكتسبة ، مما يجعلنا نقبله كتعريف لأصحابه، كما أن علم النفس يرتبط مع الفلسفة برباط وثيق، وهذا مما يجعل للتعريف ناحية أوسع من القبول.

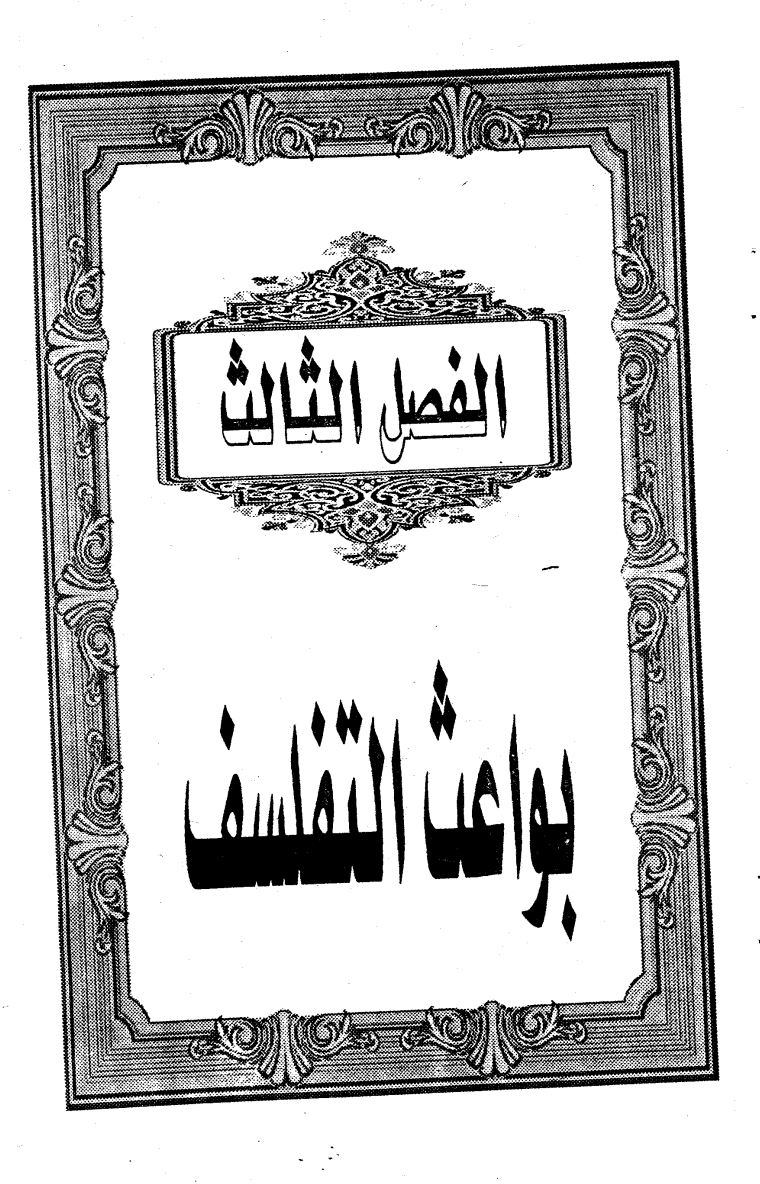
وبهذا ينتهى حديثنا عن الدوافع ، من حيث تعريفاتها ، والتقسيمات التى ذهب أصحابها إليها ، وكذلك الأنواع التى انطوت تحتها ، وإن كنا قد عرضنا ذلك كله فى عبارات موجزة، فما ذلك إلا لأن الموضوع الأصلى للدراسة ، إنما يتعلق بالفلسفة العامة ، ولا يتعلق بالدراسات النفسية .

---

(١) دكتور /عباس محمود عوض – علم النفس العام – ص٨٩ – .

(٢) أعرض لشيء من ذلك على جهة من التفصيل فى كتاب مستقل إن شاء الله تعالى.

(٣) دكتور / أحمد عزت راجح – أصول علم النفس – ص ٩٧ – (السابعة) ١٩٦٨ . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة .



الفصل الثالث

بواعث التفلسف

ولما كان الحديث هاهنا عن الدوافع للتفلسف والبواعث عليه، فمن المناسب القول بأن هذه البواعث متعددة كالحال مع الدوفع، إذ لا يمكن القول بأن الدوافع هى البواعث؛ لأن اللغة حاكمة بأن أحدهما غير الثانى.

ويمكن عرض هذه البواعث فيما يلى:-

الأول: القدرات العقلية المتميزة[١]

فى الناس متميزون بفطرهم، وحدة ذكائهم، وثاقب نظرهم، وفيهم مدربون على التميز الفردى، والتمايز العقلى، والذكاء المتنامى[٢]، حتى إنك لتحسب الواحد منهم قد خلق هكذا، بينما هو يمارس ما تم تدربه عليه وإجادته له حد الإتقان الفنى.

وفى الناس حاملون تستهويهم الملح والطرائف، وتحوس خلال أفئدتهم القصص والخرافات مع الأساطير[٣]. وهم يستعذبون الالتفات إليها، ويتمسكون بالحديث عنها، ويستنكفون أى بحث فى حولها. يكون الغرض منه التقليل من شأنها، أو التحقير من أمرها، أو حتى دفع الناس إلى معاودة التأمل فيها.

وبين هؤلاء وأولئك يأتى فريق ثالث فيهم ذكاء مكتسب، ورغبة فى حكايات الخرافات على سبيل استهلاك الوقت، وممارسة نوع من إشباع رغبة كامنة فى الصدر، تبحث عن إشباعها من خلال الحكاية التى تنهض فى الصدور منذ خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض التى فيها التعب والنصب، ويجيء معها أمر الثواب أو العقاب فى الآخرة.

---

(١) راجع للدكتور هاينيك – الفروق الفردية ص٣٣ ، وللدكتور توسان : القدرات العقلية والمجتمع ص١٧ – ترجمة صباح نصرى ط١- بيروت ١٩٧١م.

(٢) الدكتور حسن صبرى شعبان – الذكاء ومستوى الفرد ص٥٣ .

(٣) الأساطير أسطورة كما قالوا أحدوثة وأحاديث. [لسان العرب ج٤ ص٣٦٣]

لكن ما هو مفهوم القدرات العقلية ؟

والجواب: أنها القوة على الشيء مع التمكن الكامل من جانب العقل، بحيث تكون واقعة فى نطاقه، خاضعة لإمكانياته[1]، غير متباعدة عنه، ولا متعالية عليه، ومن ثم فالعقل المتمكن يجول فى الكائنات تأملا وتفكيرا، ثم لا يعود من رحلته هذه إلا بالعديد من النتائج، و الكثير من الإيجابيات، باعتبار أن العقل يطلق على أربعة معان[2]:

* **الأولى** : غريزة يتهيأ بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف فى القلب به، يستعد لإدراك الأشياء على نحو يتمايز به عن إدراك الحواس.
* **الثانى**: بعض العلوم الضرورية التى تعبر عنه، وتبدو متحدثة من خلاله.
* **الثالث**: علوم تستفاد من التجارب بمجارى العادات.

---

(١) الدكتور عبدالباقى محمد السروى – الفروق الفردية وعلم النفس العام ص٧٥ ط١٩٧١/٢م.

(٢) إلى ذلك ذهب الإمام الغزالى فى إحياء علوم الدين ومنهاج العابدين ص٣٥. والإمام الغزالى هو الإمام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسي النيسابورى الفقيه الصوفى الأشعرى ولد عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وقد امتد عمره حتى عام ٥٠٥هـ وله من الألقاب الكثير منها [حجة الإسلام ، زين الدين ، الغزالى ، الفقيه الشافعى ، وحيد عصره ، شيخ الإسلام ، شيخ العارفين ، عالم العلماء ، وارث الأنبياء ، حسنة الدهور والأعوام ، تاج المجتهدين ، سراج المنهجدين ، سيد المحققين ، مقتدى الأئمة ، مبين الحل والحرمة ، زين الملة والدين] وكنيته الإمام أبو حامد الغزالى ، وهناك العديد من الكنى التى لم تشتهر اشتهار الأولى وهى : [ابو عكاز ، أبو مغزل] وفى مسقط رأسه روايات منها : [الأولى : أنه ولد فى مدينة طوس إحدى أعمال خراسان ، بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ولهذا نسبه – والثانية : أنه ولد فى قرية غزالة التابعة لمدينة طوس ولهذا نسبه وكنيته] راجع كتاب حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد للدكتور / محمد الغزالى – جـ١ ص١٥/٢٣ ط١ عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م – طبعة آل بسيونى . (كشف الظنون لحاجى خليفة جـ١ ص٢٣، ٢٦، معجم البلدان جـ٦/٧١)

❊ **الرابع**: انتهاء قوة تلك الغريزة إلى أن تعرف عواقب الأمور، وتقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة[١].

ولما كان العقل نورا من أنوار الله تعالى؛ فإن الله جل شأنه جعل لهذا العقل قدرات وإمكانيات فيها ملامح الإبداع على ناحية من النواحى، ومتى وجدت كلها فى شخص ما، فإنها تقوده إلى استخدامها فى الأمور التى تحيط به[٢]، وبعمل لكل جهده على أعمالها فى سائر ما يدور بالعقل عيانا، أو أثارا وإلهاما. أما لماذا؟

فلأن القدرات العقلية متى اكتملت فى شخص طبيعى؛ فإنه لا يتمكن من إهمالها فترة طويلة، وإن تمكن من ذلك لبعض الوقت، فلن يقدر عليه أبدا؛ لأنها ستقوده على سبيل الحتم إلى محاولة بذلك المجهود؛ بغية إيجاد حلول للمشكلات التى تحيط به، كما أنها تبعث فيه رغبة مستجدة، تدعوه إلى معرفة أمر وجوده[٣]، وحقيقة ذلك الوجود، فضلا عن الغاية منه، وذلك على أقل تقدير.

والقدرات العقلية المتميزة لا تقف بصاحبها عند أعتاب العالم الفيزيائى، وإنما تدلف به إلى العالم الميتافيزيقى أيضا، حتى يطرقه بشدة، ويلجه بسرعة فى ثقة وأمان، وتنطلق فيه بأقصى طاقة[٤]، يستوى فى ذلك البحث القائم على الجوانب المادية والمعنوية والأخلاقية، أو الواقعة فى العالم المشاهد والعالم الغائب.

إذن وجود القدرات العقلية المتميزة لدى شخص ما وسلامتها فيه، تكون من بواعث التفلسف بصفة عامة، حتى قيل: « إن الميتافيزيقا كاستعداد طبيعى للعقل تكون واقعية »[٥]، متى أمكن القيام بها على النواحى الدقيقة التى يقوم بها المتفلسف ذاته.

---

(١) العلامة الشيخ عبدالهادى نجا الأبيارى – كتاب باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح ص١٠٨.

(٢) الدكتور : توفيق محمد أبو سعده – محاضرات فى الفلسفة ص٣٥ ط١٩٦٧م.

(٣) الدكتور : عبدالحميد مدكور – محاضرات فى الفلسفة ص٥ مكتبة الزهراء ١٩٨٣م.

(٤) الدكتور : عبدالعظيم صالح – الفلسفة ومدارسها ص٢٣ ط دار محسن ١٩٧٥م.

(٥) عمانويل كانت – مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ص٢٠٩ ترجمة الدكتورة نازلى إسماعيل.

ولا يغربن عن دارس أن وجود القدرات العقلية المتميزة لدى شخص، تكون بمثابة الوقود الذى يحرك موتور السيارة، أو موتور الطائرة، أو أية أله تعمل بباعث قوى، بحيث تكون مستعدة للانطلاق، متى وضع فيها الوقود، كما أن ذات القدرات العقلية المتميزة تتحول مع صاحبها إلى شعلة متواصلة من النشاط الذهنى والترابط الفكرى، تدفعه إلى تلبية احتياجاتها، بحيث تبلغ به المأمن، فمتى أمكنه إشباع عطشها للبحث، وإروائها من معين التأمل؛ فإنها تهدأ وتلين، أما إذا حاول الانصراف عنها، وتحويل وجهته إلى أخرى، فإنها ستلقى به فى غياهب الأمراض العقلية والنفسية والاجتماعية، بل والأخلاقية أيضا[١].

كما أن الاعتبارات الذهنية التى تلقى بظلالها على المفكرين، تبدأ عملها بمجرد أن يفرغ المفكر من المجهود البدنى الذى قد يمتص بعض وقته، ويستولى على فكره؛ لأن العمل البدنى قد لا يعطى للفرد فرصة التأمل فى المعقولات الأولى والثانية، حين يكون مشغولا بذات العمل البدنى، أما حين يفرغ من ذلك، فإن القدرات العقلية تضغط عليه، وتسوقه رغما عنه إلى الخوض الدقيق فى المعقولات الأولى والثانية، وحينئذ ينتهى إلى التفلسف لا محالة.

بل ذهب البعض إلى أن التفلسف إنما يقوم فى أصوله وأسسه على القدرات العقلية المتميزة، التى تكون بمثابة الشعلة التى تضيء قصرا كبيرا انقطعت أنواره فى ليلة مظلمة، لم تبد للبدر فيها غرة[٢]، ولذلك فإن فاقد هذه القدرات لا يمكن

---

(١) والواقع المعاش قد أقر ذلك دون منازعة، بل إن الشواهد اليومية لدى فاحصى أصحاب الأمراض النفسية قد استقر عندهم وقوع هؤلاء تحت سيطرة أمراض الاكتئاب والقلق والصرع وما يستتبع ذلك.

(٢) الدكتور توفيق محمد أبو سعده – محاضرات فى الفلسفة ص٣٧ وهذا الرأى فيه الكثير من ألوان التشبيه وهو أمر مقبول.

اعتباره متفلسفا، ولا بداية متفلسف، بقدر ما يعتبر الصادر عنه صورة معبرة عـــن سلوكيات غير طبيعية.

الثاني: تكامل الحواس وسلامتها

خلق الله الكائن الحي وزوده بوسائل تعينه على الحياة فى كـــل صورهـــا، والإنسان الذى تتكامل حواسه تتكامل مصادره المعرفية، لما هو معروف من أنـــه إذا تكاملت الحواس الظاهرة — السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس — فإنهـــا تدفـــع صاحبها إلى بذل العديد من المحاولات المستجدة؛ بغية ضبط ما تقع عليه الحـــواس، وما تنقله إلى العقل[1]، أما لماذا؟

فلأن دور الحواس بالنسبة للعقل، إنما هو تنبيه العقـــل — لمـــا لديـــه مـــن ملكات — حتى يوجه إحساسه الداخلى للكائنات المحيطة به، سواء أكانت أرضية أم ظواهر جوية وفلكية، أم آيات كونية، إلى غير ذلك مما تجيء به الحواس من معـــارف حسية، كالحرارة والبرودة، والنعومة والخشونة والرطوبة، أو اليبوسة، كل ذلك ممـــا يأتى للعقل عن طريق الحواس، وكلما كانت هذه الحواس متكاملة وسليمة، فإنهـــا تقود صاحبها إلى التأمل الفنى الدقيق[2] كما تقدم له نتائج صحيحة على ناحية مـــن النسبية.

لأن هذه الكائنات التى يقوم الحس فيها على التأمل، إنما تحمل الكثير مـــن أوجه الاختلاف، وربما التباين، بل ربما ظن الناظر إليها أن فيها من القصور والعجـــز الكثير، وبخاصة إذا تأملها كظواهر متعددة، متباعدة، فإذا ظهرت متناقضة متبـــاعدة،

---

(١) المعرفة باعتبار المصدر تتنوع الى ١- المعرفة الحسية (السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس). ٢- المعرفة العقلية. ٣- المعرفة الإلهامية. ٤- المعرفة الحدسية. ٥- النقل المنزل. ٦- المعرفة النقليـــة أو الوحيية. [راجع فى ذلك: محاضرات فى الفلســـفة الإســـلامية ص١٧٣ للدكتـــور فوقيـــة حســـين محمود]

(٢) الدكتور عبدالله محمد الأبيض — دراسات فى الفلسفة ص٩٥ ط١٩٧٣/٢م.

فإنها تثير لديه رغبة كامنة تبعث على الدهشة، وتدفع إلى الاستغراب، وتنتقل به من مجرد الإدراك الحسى إلى الإنماء المعرفى العقلى[١]، وهو التفلسف فى أبسط صوره.

فمثلا: يرى كامل الحواس ببصره النجوم المتألقة متلألئة، والأفكار المنهمرة المندفقة حتما مغرقة، والجبال الرواسى ناطحات السحاب شاهقة، والأنهار التى تفيض بالماء المدرار متدفقة، وهى مناظر متآلفة، يقع بينها التوافق فى الصور المضطردة لا المنعكسة[٢]، وتتم فيها بعض أنواع التباين فى جواهرها المتلاصقة.

بيد أن ذات الناظر المستخدم لذات الحواس، قد ينظر إلى الأنهار الجافة، والصحارى الجرداء، والفيافى[٣] والقفار، كما يسمع بأذنيه أصوات حركة الرياح الثائرة، والرعود المبرقة، والتراب القافذة ذراته إلى طبقات الجو العليا، فيثير فى النفوس الآمنة الفزع، ومقلبها بين ميزان ثالثة الأثافى[٤].

كذلك يشعر بدفء الشمس المشرقة، فيقع له به الاستمتاع، متى كان ذلك فى شهور الشتاء القاسية شديدة البرودة، كما يقع التروى فى قبول أى الأحكام؛ لأن الظواهر التى لاحظها بعينيه وعقله فيها التناقض الظاهر، وذلك مما يدفع المفكر إلى

---

(١) راجع كتابنا: رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق ص١٧ .

(٢) لأنه لو عكس فلن يتأمل إلا بأنماط فيها الكآبة. وتحمل القلق والاضطراب. وإذا عكس فلن يبصر أمامه سوى بمرآة سوداء، تجعل الألوان كلها قاتمة، وتنتهي به حتما إلى الإنهزامية. او القفز فوق الأصول العامة والقواعد الثابتة. دون مبرر. فيترتب على ذلك إنهيار القيم. وإنعدام الثقة. وفقدان الأخلاق الأصيلة.

(٣) الفَيْفاءُ الصحراء الملساء والجمع الفَيافِي. [العلامة الرازى - مختار الصحاح ج١ ص٢١٦] والعلامة الرازىهو الشيخ محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى زين الدين. وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب وأصله من الرى . زار مصر والشام، ومن أشهر مصنفاته (مختار الصحاح) فى اللغة، و(حدائق الحدائق) فى التصوف. و (كنز الحكمة) فى الحديث وغيرها. [الأعلام جـ٦ ص٥٥ ، وراجع للعلامة أحمد بن فارس بن زكريا - مقاييس اللغة - الجزء الثالث - باب الشين والعين ص٣١٩- طبعة مصطفى الباب الحلبى ١٩٧٠م بالقاهرة]

(٤) الدكتور عبدالمنعم أنور الطناحى — الفلسفة والقيم ص٣٩ ط١٩٥٧/١م. والأثفية ما يوضع عليه القدر والجمع الأثافي وإن شئت خففت و ثفى القدر تثفية وضعها على الأثافي و أثفاها جعل لها أثافي. [راجع للعلامة الرازى - مختار الصحاح ج١ ص٣٦] ويقول ابن قتيبة : « الأثافي من المتقارب فهن عكوف كنوح الكريم قد شف أكبادهن الهوي أي الأثافي عكوف كما تعكف النوائح على القبر شف أكبادهن الحزن فهوت أجوافهن يقال شفني الأمر أي شق علي يريد أن الأثافي مقيمة لا تبرح مكانها » [الغريب لابن قتيبة ج١ ص٢١٨].

الأخذ بعقله من ناصيته، والضغط عليه من جديد، بحيث يمكنه التعرف على أسباب الظاهرة[١]، كما يعرف عللها الخاصة بها الخفية والظاهرة، ثم في النهاية يصل إلى معرفة تطمئن بها نفسه، ويقع لها شيء من القبول عند العقل نفسه.

لكن قد تكون الحواس الظاهرة موجودة في أشكالها وهيآتها المعروفة، ولكنها غير متكاملة في العمل والاستفادة، بمعنى أن الإنسان قد توجد له الأذنان، كما يوجد العينان، ولكن مع ذلك لا يسمع بأذنيه، وقد لا يبصر أيضا بعينيه، فيكون أصم وأعمى في وقت واحد، وحينئذ لا يكون تفلسفه كاملا متى قورن بغيره من أصحاب الحواس المتكاملة على سبيل السلامة . أما لماذا؟

فلأن العلماء يقررون حقيقة هامة، وهي أن الإنسان لا يسمع بأذنيه، ولا يبصر بعينيه، إنما يتم له ذلك بملكة خلقها الله في المخ تغذى هذا الجانب السمعي[٢]، وكذلك الحال في العينين وسائر الحواس، بدليل أننا أثناء نومنا لا نغلق آذاننا، ومع ذلك قد يتحدث بجوارنا أناس يغوون بنا الشر، ومع ذلك لا نسمعهم كلامهم، ولا نعرف على وجه الحقيقة ما ذكروه بخصوصنا، فدل ذلك على أن السمع والبصر وباقي الحواس لا تعمل بذاتها، وإنما تعمل بأقدار الله تعالى لها[٣]، والملكات التي خلقها جل شأنه قائمة على إمدادها بما تحتاجه.

ولما كان الأمر على تلك الشاكلة، فلم يتحدث القرآن الكريم إلا عن الملكة التي يتعلق بها أمر المعرفة الحسية. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾[٤].

---

(١) الشيخ بدوي محمد ثروت – التفكير فريضة ص٣٧ ط٢ دار مراد ١٩٤٥ .

(٢) الدكتور : ماغوم بنتالي – حاسة السمع وقياساتها ص٤٣ – ترجمة وفاء صبري ١٩٥١م.

(٣) ونحن أهل السنة والجماعة نؤمن بأن الأسباب لا تعمل بذاتها، وإنما تعمل بأقدار الله تعالى للملكات التي خلقها فينا، قائمة بأعمالها طبقا لما شرع الله جل علاه من إمكانيات فيها على سبيل الثبات أو التعبير.

(٤) سورة الإسراء – الآية ٣٦ . قال الإمام القرطبي – رحمه الله – : « أي يُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع ».[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – جـ٦ ص٣٨٧٥]

❁ **قال الأستاذ عبدالكريم الخطيب**(١) - رحمه الله - « وفى قوله تعـــالى: ﴿ **كـــل أولـــئك كان عنه مسؤولا** ﴾.إشارة إلى أن الإنسان سيسأل عن تلك الجـوارح، وهذه القوى التي أمده الله بها؛ ليتعرف إلى الحق والخير، فإن هو عطلها أو وجهها إلى وجوه الشر والفساد، كان مســئولا عنــها، محاســبا علــى تفريطــه، أو إفراطه »(٢).

❁ **وقال الشيخ الألوسى**(٣) – رحمه الله - : « فى تقديمهما – أى السمع والبصر – على الأفئدة المشار بها إلى العقل، لتقدم الظاهر على الباطن، أو لأن لهما مدخــلا فى إدراكه فى الجملة، بل هما من خدمه، والخدم تتقدم بين يدى السادة، وكثــير من السنن أمر الشارع الحكيم بتقديمها على فروض العبادات »(٤).

❁ **ويقول الدكتور حمدى زقزوق** : « وإذا كانت ممارسة الوظائف العقلية تعد واجبا دينيا فى الإسلام، فإنها من ناحية أخرى مسئولية حتمية، لا يســتطيع الإنســان الفكاك منها، وسيحاسب على مدى حسن أو إساءة استخدامه لها، مثلما يسأل

---

(١) هو عبدالكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، ولد بقرية الصوامعة غرب التابعة لمركز طهطا بمدينة جرجا بمحافظة سوهاج فى مايو ١٩١٠م وعمل مدرسا بوزارة المعارف العمومية ثم سكرتير لوزير الأوقاف الشيخ على عبدالرازق، ثم أستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبلغت مؤلفاته ٤٣ مؤلف منها التفسير القرآنى للقرآن، القصص القرآنى من العالم المنظور وغير المنظور، المرأة فى الإسلام، اليهود فى القرآن، المهدى المنتظر ومن ينتظرونه ...الخ . توفى رحمه الله فى نوفمبر ١٩٨٦م . [راجع عبدالكريم الخطيب والثقافة الإسلامية – الأستاذ السيد أبو ضيف المدنى ص١٢/١٤ طبعة دار الفكر العربى بمصر ، ومجلة الدعوة ١١ نوفمبر ١٩٨٦م)]

(٢) التفسير القرآنى للقرآن – الأستاذ عبدالكريم الخطيب – جـ١٥ ص٤٨٨ – طبعة دار الفكر.

(٣) الألوسى هو شهاب الدين السيد محمود أفندى الألوسى. ولد سنة ١٢١٧هـ فى جانب الكرخ من بغداد، كان محدثا ومفسرا وأصوليا فقيها، اشتغل بالتدريس والتأليف، وترأس المذهب الحنفى. توفى سنة ١٢٧٠هـ . [راجع (التفسير والمفسرون) ط الذهبى جـ١ ص٣٥٢ – دار الكتب الحديثة مصر – الطبعة الثانية]

(٤) روح المعانى للألوسى – جـ١٤ ص٢٠٢ – طبعة دار الفكر.

عن استخدامه لباقي وسائل الإدراك الحسية، ثم يستشهد على ذلك بقـــول الله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولـــئك كان عنه مسؤولا﴾ »[١].

إذن لم يقل الله تعالى مثلا:و لم تقف ما ليس لك به علم إن الإذنين والعينين؛ لأنها آلات يتم بها تحصيل بعض المنافع، بجانب أوجه الجمال، ولا يتم بهـــا تحصيـــل المعارف والعلوم، وإنما يتم ذلك بالملكات التي هي السمع والبصر وغيرهما، مما جـــاء ذكرهما في القرآن الكريم أو الحديث الشريف، ومن ثم قال جـــل شـــأنه : : ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولـــئك كان عنه مسؤولا﴾ .

❁ **وفي تقديري:** أن سلامة القدرات العقلية وضبطها على الناحية المعرفية، بجـــانب سلامة الحواس وتكاملها يؤدي إلى التأمل الدقيق والتفلسف الجيد العميق، الـــذي يمكن وضع صاحبه في قالب فكري متميز، وشكل تأملي على قدر عـــال مـــن الإصابة وبلوغ الحق، باعتبار أن الفكر المتأمل يتميز عن التأمل المجرد الكســـول، فالأول لا يستفيد أبدا من تجاربه في الحياة، ولا يبتعد عنها، أما الثاني فإنه إنمـــا يرتبط بها في عناق طويل؛ لأنه يحاول تفسيرها، وبيان الأوجه المختلفة بالنســـبة لها[٢].

ويقرر الكثيرون من العلماء: أن الإنسان منذ وجود على ظهر هـــذه الأرض وهو يستعمل حواسه الظاهرة – من السمع والبصر واللمس وغيرها – متى كـــانت سليمة في تنبيه أحاسيسه إلى ما حواليه من الكائنـــات، الـــتي أثـــارت في نفســـه الدهشة[٣]، وأيقظت بداخله الاستغراب، لكونها أشياء يقع فيها التناقض، وقد يظهر بينها الاضطراب.

---

(١) الدكتور حمدي زقزوق - كتيب دور الإسلام في نظر الفكر الفلسفي ص٨ .

(٢) فرانكفورت وآخرون – ما قبل الفلسفة ص١٤ – ترجمة جبران إبراهيم جبر – منشورات مكتبة الحياة بغداد.

(٣) الأستاذ محمود حسن توفيق – دراسات فلسفية ص٢٧ – ط١/١٩٥٧م.

ومن ثم فقد أمعن النظر فيها، مريدا بذلك الوصـــول إلى معرفـــة أســـبابها وعللها، فأخذ يفرض لها الفروض، ويقيم عليها الأدلة والشـــواهد رغبـــة منـــه فى الوصول إلى حقائقها، وإدراك أسباب وجودها[١]، والتعرف على ما تقـــوم عليـــه الظواهر، وما تتحلى به الشواهد، وما يكمن فى الأدلة، ثم يربط بينها جميعا على نحو عقلى تأملى، وهو التفلسف.

والذى تطمئن إليه النفس، هو أن الحواس متى كانت سليمة متكاملة، فإنهـــا تكون باعثا للتفلسف المتميز. وتاريخ الفكر الإنسانى شاهد على ذلـــك، كمـــا أن تاريخ الفكر الفلسفى هو الآخر — الضارب فى أعماق الماضى، الممتـــد فى الوقـــت الحاضر — قائم على أن الحواس السليمة المتكاملة بجانب القدرات العقلية المتمـــيزة، تغطى الشطر الأكبر من مساحة التفكير العقلى، عندما يراد التعرف على بواعـــث التفلسف[٢]، أو قراءة ما يتعلق بدوافعه.

أما إذا كانت بالحواس العلل أو جرى فى أعطافها النقصان المعطل لها، فإنهـــا تكون كالمفقودة تماما، إذ ما قيمة آلات لا تعمل، وإذا عملت يحيط بها العجز مـــن كل ناحية[٣]، كما ينطفئ بين جنباتها بصيص النور، حتى لو كان آخذا فى الوهـــج، اذ النار الراقدة تحت الرماد تموت بأقل ضغط، وتنطفئ بأقل قدر من الماء[٤].

---

(١) الدكتور عوض الله جاد حجازى ، والدكتور محمد السيد نعيم — فى تاريخ الفلسـفة اليونانيـة ط٢ ص٦. ولا شك أن الذى يقوم بذلك الدور هو الفيلسوف بالنسبة للفلاسفة الحكيم بين الحكماء. ولما كنت أوثر إطلاق لفظ الحكمة على تلك المباحث العقلية المنظمة، فإنى أميل إلى اعتبار تلك الدوافع من بواعث الحكمة والقيام بها، فليتدبر الأمر طالبه، والله المستعان وعليه وحـده التوكـل، وعنده الرحمة والغفران.

(٢) لأن التفلسف لا يتم إلا من خلال بواعث تحث إليه، وتعين على القيـام بـه. فإذا لم يوجد ذلك الباعث؛ فإن انعدام موضوع التفكير أو البحث الفلسفى يصير حقيقة واقعة.

(٣) الدكتور عبدالعاطى محمد السورى — الفروق الفردية وعلم النفس العام ص٨٣.

(٤) الشواهد الحياتية من أبرز الأدلة عليه. وليس من السهل إنكار تلك الشواهد.

ولما كانت الأغراض المعرفية تقوم فى الحواس العاملة المتكاملة علـــى وجـــه السلامة، فقد قرر الفلاسفة أن الأغراض مرتبطة بالأفكار، والأفكار قائمة بالمصادر، ومن ثم فقد قيل: حينما تصل إلى مستوى المعروضات التى تعرض عليك بواســـطة الحواس، حينذاك يمكن القول بأن لديك غرضا ما(١)، وبالتالى تبينت أن لك حواسا سليمة متكاملة، وأنها تعمل فى تعاون تام، مع الجد والنشاط، بل تصير أحد البواعث الهامة للتفلسف.

الثالث: النقل المنزل(٢)

لاشك أن بواعث التفلسف والدوافع إليه تتعدد، وإن كانت تختلف فى القيام بذلك الدور قوة وضعفا، وهذه الدوافع الإنسانية تترى آخذا بعضها بعناق بعـــض، بحيث يناصر بعضها الأخر ويؤازره؛ لأنها بواعث قامت على المنتج العقلى الصحيـــح وحده، وبالتالى فقد يعتريها بعض النقصان.

أما النقل المنزل — القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة(٣) — فقـــد كان له الدور الأكبر فى عملية التفلسف، بحيث يمكن اعتباره مـــن أهـــم الدوافـــع والبواعث على الإطلاق، بل عند مقارنته بغيره من البواعث الأخرى، يكون له فضل السبق، وحق الانتصار مع الغلبة.

أما لماذا؟

---

(١) أ.أ طيلر — المعلم الأول أرسطو ص١١٨ — ترجمة محمد زكى حسن — مكتبة الخانجى بمصر ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٢) النقل المنزل عندنا نحن المسلمين هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة. وكلاهما من عند الله تعالى. غير أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى لفظه ومعناه، أما السنة النبوية المطهرة الصحيحة فالمعنى من عند الله واللفظ من عند رسول الله ﷺ وقد قال فيه ﴿وما ينطق عن الهوى ۝ إن هو إلا وحي يوحى﴾ [سورة النجم — الآيتان ٣/٢]

(٣) ففى الحديث الشريف عن المقداد بن معد يكرب أن رسول الله ? قال: « ألا أنى أوتيت الكتاب ومثله معه »،[الإمام أحمد بن حنبل — المسند — ج١٣ ص٢٩١ حديث رقم: ١٧١٠٨]

فلما يلي:

أ- **أن النقل المنزل هو كلام عالم الغيب والشهادة**، فالمسائل التي يثيرها، والمشكلات التي يتعرض لها، والأسئلة التي يفترضها، ويحرك العقول سعيا في طريق الإجابة عليها، إنما تكون مأمونة بالنسبة لمنهج المعالجة، كما هي مأمونة في جوانب العرض، ثم هي مأمونة في النتائج؛ لأنها مأمونة المصدر الأصلي.

من ذلك : قوله تعالى ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا**[١] * **وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا**[٢] * **متاعا لكم ولأنعامكم**﴾[٣].

---

(١) وفي ذكر النخل دون ثمرته يقول صاحب التحرير والتنوير : « وإنما ذكر النخل دون ثمرته. وهو التمر خلافا لما قرن به من الثمار والفواكه والكلأ؛ لأن منافع شجر النخيل كثيرة، لا تقتصر على ثمره، فهم يقتاتون ثمرته من تمر ورطب، وبسر، ويأكلون جمارة، ويشربون ماء عود النخلة إذا شق عنه، ويأخذون من نوى التمر علفا لإبلهم، وكل ذلك من الطعام فضلا عن اتخاذهم البيوت والأواني من خشبه والحصر من سعفه، والحبال من ليفة فذكر اسم الشجرة الجامعة لهذه المنافع أجمع في الاستدلال بمختلف الأحوال وإدماج الامتنان بوفرة النعم » [الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٣٢]

(٢) هذه الآيات تجمع كل ما يحتاجه الإنسان من طعام وشراب ولحم ودهن وفاكهة، ومن كل ذلك يمكن أن توضع للإنسان مائدة متكاملة من كل هذه الأصناف. فيقول الشيخ عبدالكريم الخطيب عند بيانه لهذه الآيات : « فالحب يتخذ منه الخبز، والعنب يتخذ منه الخل، والقضب كالخس والبصل ونحوهما تتخذ منه المخللات، والزيتون يتخذ منه الزيت، والنخل يؤخذ منه التمر. ومن هذا جميعه تنتصب مائدة كاملة بين يدي الإنسان فيها طعامه وإدامه، وما يتخلل به أثناء طعامه وما يتفكه به بعد الطعام، كذلك خرج من هذه الأرض الحدائق الغلب أي كثيرة الأشجار ذات الظلال والفواكه، وفي هذه الحدائق متعة النفس ومسرة القلب، يجيء إليها الإنسان لينعم ويهنأ بالاستظلال بظلها بعد أن يستوفي حاجته من الطعام، فتتم بذلك النعمة ويكمل النعيم ».[الأستاذ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآني للقرآن – ج٣٠ ص١٤٥٧/١٤٥٨]

(٣) سورة عبس – من الآيات ٣٢/٢٤ . بين الله عز وجل للإنسان هنا كيف يطعمه بعد ما بين له مم خلق : ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ￮ خلق من ماء دافق ￮ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ [سورة الطارق الآيات ٧/٥] ، وفي ذلك آية على القدرة ، فقد اتفقت الآيات على خطوات ثلاث متطابقة فيها ، فصب الماء من السماء إلى الأرض ، يقابل دفق الماء في الرحم ، وشق الأرض للنبات يقابل خروجه للدنيا ، وإنبات أنواع النباتات يقابل تقادير الخلق المختلفة . [راجع أضواء البيان في إيضاح القرآن – الأستاذ / محمد الأمين الشنقيطي ٥٦/٩ – عالم الكتب]

وقوله سبحانه : ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت﴾(١).

بـ- أن النقل المنزل يأخذ بالعقول حتى تتعرف طرائق الاستدلال على وجود الله تعالى الخالق العظيم، وما له من صفات الجلال والكمال والجمال والإكرام، من ذلك قوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾(٢).

وقوله تعالى: : ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾(٣).

---

(١) سورة الغاشية - الآيات ٢٠/١٧ . يقول الإمام القرطبى - رحمه الله - عند بيانه لقوله تعالى ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ..﴾ : « استدل بهذه الآية وما كان مثلها فى قوله تعالى ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ وقوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ﴾. وقوله: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾. وقوله: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾(سورة الذاريات - الآية ٢١). من قال بوجوب النظر فى آياته والاعتبار بمخلوقاته ».[الجامع لأحكام القرآن - القرطبى - ج٤ ص٢٧٦٦]

(٢) سورة النحل – الآية ١٧ . يقول العلامة الطبرى : « يخاطب الله عز وجل عبدة الأوثان والأصنام قائلا : أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة كمن لا يخلق شيئا ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة يقول أتشركون هذا في عبادة هذا يعرفهم بذلك عظم جهلهم وسوء نظرهم لأنفسهم وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عددها عليهم التي لا يحصيها أحد غيره. قال لهم جل ثناؤه موبخهم: أفلا تذكرون أيها الناس يقول أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهة » [الإمام الطبري – جامع البيان ج١٤ ص٩٢]

(٣) سورة القصص - الآيات ٧٣/٧١ . يقول صاحبا تفسير الجلالين: « قل لأهل مكة أخبروني إن جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما إلى يوم القيامة من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بضياء نهار تطلبون فيه المعيشة أفلا تسمعون ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك. قل لهم أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بليل تسكنون وتستريحون فيه من التعب أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطا في الإشراك فترجعون عنه. ومن رحمته تعالى جعل لكم اليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار للكسب ولعلكم تشكرون النعمة فيهما » [تفسير الجلالين ج١ ص٥١٧].

جـ- **أن النقل المنزل يعرف العقل بدلائل العلم والإرادة ثم القدرة الإلهية**، ويربط بين عمل القدرة الإلهية وموضوعها الذى لا يجد من ذلك قوله تعالى: **﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون * وعلامات وبالنجم هم يهتدون * أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم * والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾**(١)

وقوله تعالى : ﴿أ من خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾(٢).

---

(١) سورة النحل – الآيات ١٩/١٥ . يقول صاحبا الجلالين: « وألقى في الأرض رواسي جبالا ثوابت أن لا تميد تتحرك بكم و جعل فيها أنهارا كالنيل وسبلا طرقا لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم، وعلامات تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار وبالنجم بمعنى النجوم هم يهتدون إلى الطرق والقبلة بالليل، أفمن يخلق وهو الله كمن لا يخلق وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا أفلا تذكرون هذا فتؤمنون، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها تضبطوها فضلا أن تطيقوا شكرها إن الله لغفور رحيم حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون» [تفسير الجلالين ج١ ص٣٤٧].

(٢) سورة النمل – الآيات ٦٤/٦٠ . يقول صاحبا تفسير الجلالين: « أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا فيه التفات من الغيبة إلى التكلم به حدائق جمع حديقة وهو البستان المحوط ذات بهجة حسن ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لعدم قدرتكم عليه أإله مع الله أعانه علي ذلك، أي ليس معه إله بل هم قوم يعدلون يشركون بالله غيره. أمن جعل الأرض قرارا لا تميد بأهلها وجعل خلالها فيما بينها أنهارا وجعل لها رواسي جبالا أثبت بها الأرض وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون توحيده. أمن يجيب المضطر المكروب الذي مسه الضر إذا دعاه ويكشف السوء عنه وعن غيره ويجعلكم خلفاء الأرض الإضافة بمعنى في أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله، أإله مع الله قليلا ما تذكرون تتعظون بالفوقانية والتحتانية . أمن يهديكم يرشدكم إلى مقاصدكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم ليلا وبعلامات الأرض نهارا ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته قدام المطر أإله مع الله تعالى الله عما يشركون به غيره. أمن يبدأ الخلق في الأرحام من نطفة ثم يعيده بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ومن يرزقكم في السماء بالمطر والأرض بالنبات أإله مع الله أي لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه قل يا محمد هاتوا برهانكم حجتكم إن كنتم صادقين أن معي إلها فعل شيئا مما ذكر وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل » [تفسير الجلالين ج١ ص٥٠٢/٥٠١].

د- **أن النقل المنزل أخذ العقل من تلابيبه،** حتى يلقى به فى جنبات العالم الطبيعى وأمره بالنظر فيه، والتعرف عليه، فإذا انتهى من ذلك أيقن أن هذا الخالق العظيم قد أوجب على عباده طاعته، وأمرهم بعبادته، وحينئذ لا يكون للعقلاء مهرب من أحكامه جل شأنه تنفيذا لأوامره، واجتنابا لنواهيه[1]، من ذلك قوله : ﴿ " **وفي الأرض قطع متجاورات[2] وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان[3] يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**" ﴾[4]

---

(١) راجع فى ذلك كتابنا : الغزاليات فى النبوات، حيث تعرضت هناك لذكر قوانين بعثة الرسل على ناحية أرى التفصيل فيها قد جاء وافيا.

(٢) يقول العلامة الفخر الرازى – رحمه الله – « اعلم أن المقصود من هذه الآية ، إقامة الدلائل على أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث في هذا العالم ، لأجل الاتصالات الفلكية ، والحركات الكوكبية ، فقد حصل في الأرض قطعا مختلفة بالطبيعة ،والماهية ، وهى مع ذلك متجاورة ، ومع اختلافها ، فإن القطعة الواحدة تسقى بماء واحد ، وتجنى الثمار مختلفة ، فكل ذلك بتدبير الفاعل المختار » .[مفاتيح الغيب -جـ ٩ ص ١٨٨]

(٣) عن البراء بن عازب في قوله عز وجل صنوان وغير صنوان قال الصنوان أن يكون أصلها واحد ورؤوسها متفرقة، وغير صنوان أن تكون النخلة منفردة ليس عندها شيء [العلامة سعيد بن منصور المتوفى ٢٢٧هـ – سنن سعيد بن منصور ج٥ ص٤٢٢ رقم:١١٥٣ دار العصيمي – الرياض ١٤١٤هـ – الطبعة الأولى – تحقيق د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد]

(٤) سورة الرعد آية ٤ . يقول الطبرى : « وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض بالجوار وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض فمنها قطعة سبخة لا تنبت شيئا في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع. وفي الأرض مع القطع المختلفات المعاني منها بالملوحة والعذوبة والخبيث والطيب مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضا متقاربة في الخلقة مختلفة في الطعوم والألوان مع اجتماع جميعها على شرب واحد فمن طيب طعمه منها حسن منظره طيبة رائحته ومن حامض طعمه ولا رائحة له. وأما قوله ونخيل صنوان وغير صنوان فإن الصنوان جمع صنو وهي النخلات يجمعهن أصل واحد لا يفرق فيه بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب في النون وذلك أن تكون نونه في اثنيه مكسورة بكل حال وفي جميعه متصرفة في وجوه الإعراب ونظيره القنوان واحدها قنو سقى بماء واحد على أن معناه تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد لمجيء تسقى بعد ما قد جرى ذكرها وهي جماع من غير بني آدم وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى يسقى ذلك بماء واحد أي جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب دون المالح، وأما قوله ونفضل بعضها على بعض في الأكل: أن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد عذب لا ملح ويخالف الله بين طعوم ذلك فيفضل بعضها على بعض في الطعم فهذا حلو وهذا حامض، وقوله إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره إن في مخالفة الله عز وجل بين هذا القطع من الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبينا لدليلا واضحا وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان فوفق هذا وخذل هذا وهدى ذا وأضل ذا ولو شاء لسوى بين جميعهم كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شربا واحدا وتسقى سقيا واحدا وهي متفاضلة في الأكل » [تفسير الطبري ج١٣ ص١٠٣/٩٧]

والنقل المنزل متى عرف العقل بالإله الخالق العظيم عن طريق الدلائل المختلفة في أشكالها ومظاهرها المتباينة وموضوعاتها ومناهجها المتكاملة في غاياتها ونتائجها، وأمكن لذلك العقل الوقوف المتكرر على هذه الإشارات والإلماحات، فإنه سينتهي إلى أن الخالق العظيم قد أوجب عليه الإيمان، وأمره بالإخلاص[1] للملك الديان الرحيم الرحمن[2]، وأن هناك يوما يقع فيه البعث[3]، وبعده النشور[4]، وأن ذلك حق لا جدال فيه، وأن يوم الجزاء تعترف به النفوس السليمة، وتقر به العقول الصحيحة ، وتذعن له الفطر النقية والأخلاق الكريمة.

كما أن من علم ذلك أمكنه الارتقاء بنفسه وروحه من الوجود الأرضي إلى العالم العلوي، تأملا فيه ومتابعة له، انطلاقا من العالم الرتيب إلى المتعالي الرحيب، وكلما تكررت معه هذه الانطلاقات العقلية والتأملات الفكرية؛ ازداد يقينا وأمنا وطمأنينة وإيمانا[5].

---

(١) عن أبي ثمامة قال: « قال الحواريون يا عيسى ما الإخلاص لله قال أن يعمل الرجل العمل لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس، والمناصح لله الذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس، يؤثر حق الله على حق الناس، وإذا عرض أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بأمر الآخرة قبل أمر الدنيا » [العلامة ابن أبي شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج: ٧ ص: ٦٦ – رقم:٣٤٢٣٤]

(٢) راجع كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي – الطبعة الثامنة .

(٣) البعث هو رد الله تعالى الأرواح إلى أجسادها في قبورها بعد نمو الأجساد حتى تكتمل كل أطرافها التي نقصت عنها. [الشيخ ياسر عبدالعظيم محمد صفوان – العقيدة الإسلامية ص٥٩ ط١/١٣١٥هـ]

(٤) النشر هو إخراج الله تعالى الناس من قبورهم بأجسادهم وأرواحهم، حتى يوقفهم على الحشر. قال تعالى ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [سورة الزمر – الآية ٦٨]

(٥) راجع في ذلك كتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي عند الحديث عن علاقة الغيب بالبعث، حيث ألمحت هناك إلى أن الإيمان بالبعث يزيح عن نفس المظلوم كابوس الهزيمة، ويصرف عنه ملامح الإنهيار، ويقوده في ذات الوقت للإيمان بأن ما عند الله باق، وما بين الخلائق منقطع، إلا ما كان لله فهو الباقي في الثواب بإبقاء الله تعالى له.

ﷺ من ذلك قوله تعالى: ﴿وهو العزيز الغفور * الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطــور * ثــم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسأ وهو حسير * ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عـــذاب الســعير * وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير﴾(١).

---

(١) سورة الملك – الآيات ٦/٢ . وهو العزيز الغفور أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعدما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره وقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخافة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور أي انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور أي شقوق، ومعنى الآية أنك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب إليك أي لرجع إليك البصر خاسئا عن أن يرى عيبا أو خللا وهو حسير كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصا ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب قال قتادة إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف، وقوله: أعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير أي بئس المآل والمنقلب إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا قال ابن جرير يعني الصياح وهي تفور قال الثوري تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير. [تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٩٧]

على أن النقل المنزل يطوف بالعقل فى العوالم السفلية والعلوية، ويدفعه إلى التأمل المتواصل فيها، ثم يقوده إلى عملية الربط بين هذه العوالم بعضها البعض الأخر من خلال قدرة القادر العظيم النافذة وإرادته الشاملة، وعلمه جل شأنه المحيط، وكل ذلك من معالم التأمل العقلى والانطلاق الفكرى، وهو ما يعرف بالتفلسف المنظم.

وغير خاف أننى لا أقوال بأن النقل المنزل يمثل النظريات العلمية، وإنما أقرر أن النقل المنزل أعلى منها جميعا، ولا وجه للمقارنة، كما أن ما يعرضه الذكر الحكيم فى هذا الصدد ما هو إلا الإشارات التى تدفع العقل حتى يعاود النظر فيها، ويستخرج منها ما هو مفيد فى أنظمة الحياة المختلفة، باعتبار أن الله تعالى استخلف المكلفين فى الأرض وأمرهم بعمارتها، ومهد لهم أسباب ذلك كله.

قال تعالى ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾[1]،

كما أن أهل الإيمان بالله هم الأعرف به، والأكثر قربا لتنزلات رحماته، وهم الذين ينتقلون بين آيات التنزيل احتكاما إليها، وتمسكا بها، واهتداء بأنوارها، وهم حكماء قائمون على شرع الله تعالى وفلاسفة لا يحيدون عن منهج رب العالمين.

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٦٥. يقول العلامة الطبرى : « يخاطب الله تعالى ذكره نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، قائلا: والله الذي جعلكم أيها الناس خلائف الأرض بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الأرض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم – والخلائف جمع خليفة كما الوصائف جمع وصيفة –، وخالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض بأن رفع هذا على هذا بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوله من أسباب الدنيا وهذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوة على هذا الضعيف الواهن القوى فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا وخفض من درجة هذا عن درجة هذا، وقوله ليبلوكم فيما آتاكم فإنه يعني ليختبركم فيما خولكم من فضله ومنحكم من رزقه فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي ومن المؤدي مما آتاه الحق الذي أمره بأدائه منه والمفرط في أدائه. ثم يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ إن ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه ولمن ابتلي منه فيما منحه من فضله وطوله توليا وإدبارا عنه مع إنعامه عليه وتمكينه إياه في الأرض كما فعل بالقرون السالفة، وإنه لغفور يقول وإنه لساتر ذنوب من ابتلي منه إقبالا إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة واختباره إياه بأمره ونهيه فمغط عليه فيها وتارك فضيحته بها في موقف الحساب رحيم بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه. [جامع البيان ج٨ ص١١٤/١١٦]

الرابع: الدهشة والاستغراب

لا شك أن الإنسان فى أعلى قدراته العقلية تأخذ بلبه لفتات تثير فيه كوامن النفس ولو للحظات، وهذه اللفتات لا تدفعه إلى البحث عن حلول لها من أول وهلة، ولكنها تحرك فيه السواكن، وتقلب بين جنباته اللواقح، لكنه يقف حيالها مشدوها ينظر إليها دون أن يتقدم نحوها أو يتقهقر؛ لأنه فوجئ بها فاندهش منها[١].

والإنسان العادى لا يقل عن صاحب القدرات العقلية الراقية اندهاشا بها، وإحساسا بالعجز عن الخوض فيها، أو إيجاد حلول عاجلة لها باعتبارها مواقف مفاجئة وعمليات طفت على سطح أفكاره دون أن تكون لها مقدمات[٢]، أو سوابق إشارات .

وقد يسير المرء فى حياته من غير أن يدهشه موقف، لكنه يقع-قد فى أمر غير مألوف، وحينئذ يتساءل: ما هذا؟ كيف وقع؟ لماذا كان؟ وتأخذ الأسئلة الحائرة طريقها إلى عقله، ثم تصعد إلى شفتيه، آخذة بنفسها كأنها تتحرك وحدها، ولسان حال صاحبها يقول:

صعدت الى شفتى خواطر مهجتى ∴ ليبين عنها منطقى ولسانى

إذن كل ما يصيب الإنسان فجأة فيجعله واقعا فى حيرة، حتى يكاد تفكيره أن يتوقف من الوله والفزع[٣]، هو المعروف بالدهشة، وهذا الموقف يزول رويدا رويدا، وحينئذ يعمل المدهوش على تفهم الموقف الطارئ، فيحاول التعرف على الموقف ونتائجه، والطرائق التى تربط بين هذه الجزئيات التى أحدثت ذات الدهشة، فيصير بعد ذلك واقفا على طريق الفلسفة، ثم يبذل مجهودا فى مشكلاتها حتى يكون فيلسوفا.

---

(١) لأن الطبيعة البشرية فى أغلبها تقوم على ذلك، ويكون الحال مع الدهشة، كالحال مع الذى يفاجأ بأنوار شديدة التركيز، سريعة التغيير من غير أن يكون مستعدا لها، ولم يكن يتوقعها. فإن قدرته البصرية سوف تعجز عن مقاومة ذلك التيار المفاجئ.

(٢) الدكتور عطية السيد غريب — الفلسفة ومشكلاتها ص١٥٣ ط١٩٤١/١م.

(٣) العلامة مجد الدين الفيروز آبادى — القاموس المحيط — باب الشين فصل الدال ج٢ ص٣٥١.

من ثم؛ قالوا: إن الدهشة هى أول باعث علــى الفلســفة[١]، باعتبــار أن الدهشة تنال من عقل الإنسان نفسه، فتوقفه عن الاسترسال فى طريقه العــادى إلى طريق فيه التحذيرات وإشارات التنبيه، إلى غير ذلك من العلامات التى تســـوق إلى إعادة التفكير فى المشكلة من جديد، وتأخذ به إلى الاستقصاء فى كل ما يعرض لــه، وربط بعضه ببعض فى صورة من الصور، أو على ناحية من النواحى.

ومن المعروف أن الدهشة إذا أصابت إنسانا؛ فإنها قد تعقد لســانه، وقــد توقف نشاطه الذهنى، كما تقلل من قدراته الفكرية، وليس معنى ذلك أن التفكـــير عنده يتوقف للأبد، وإلا كان الجنون أو الموت، وإنما هو توقف عارض على صاحبه من هول المفاجأة أو شدة ما لاقاه أو حدة ما قابله، غير أن ذلك لا يلبث مع صاحبه إلا قليلا، ثم يزول، بحيث يعود المرء إلى ما كان عليه بعد أن يترك الموقف المفــاجئ عنده أثرا من الآثار، قد تبرز بعض ملامحه فى محاولة ذات الإنسان، للتعرف علـــى أسباب الدهشة، باعتبارها موقفا مفاجئا[٢].

بيد أن هذه المواقف لا تكون بادية فى العالم المشاهد المألوف؛ لأنها مواقــف فجائية، بمعنى أنها تأتى على غير توقع، أو على غير موعد منتظر، أنها مواقف تفرضها الظروف، وتقود إليها الأقدار، وهى فى حد ذاتها تجيء عرضا، لا غرض للإنســـان فيها ولا غاية.

ودليل ذلك أن الإنسان الأول سيدنا آدم[٣] (عليه السلام) قد خلقه فى هذا العــالم، ولم يكن لآدم (عليه السلام) بهذا العالم عهد سابق، فكلما واجهته المواقف غير المألوفة، كان يقف منها موقف الدهشة والاستغراب، بدليل أنه عندما استيقظ من نومه وكـــان

---

(١) رابو بورت – مبادئ الفلسفة ص٤ – ترجمة الأستاذ أحمد أمين.

(٢) الدكتور: رمزى صبحى – علم النفس دراسة تطبيقية ص١٣٧ طبعة أولى ١٩٥٧م.

(٣) يذكر عنه قاموس الكتاب المقدس أنه « اسم عبرى معناه إنسان أبو الجنس للبشر، ومعناه فى اللغة العبرية آدام، وهى الأحمر. ويقول بعض علمائهم أنها فى الأصل الأشورى آداموا ومعناها يعمل أو ينتج، وهو الإنسان الأول الذى صنعه الله كبقية المخلوقات، وقد خلقه الله ذكرا وأنثى، لكنه جبل رجلا أولا، ثم انثى ثانيا، وجعله الله من تراب الأرض، ونفخ فى نفسه نسمة حياة، وخلقه الله على صورته، وبالتالى فإن التشابه بين آدم وصورة الله واقع فى المعرفة والبر وقداسة الحق، وقد وضع فى جنة عدن ليعملها ويحفظها، وصنع له الرب معينا من نظيره، إذ أخذ ضلعا من أضلاعه وبناها امرأة وأحضرها إليه وأمره الرب أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر؛ لأن لا يموت، فتعدى الأمر فحق عليه حكم الموت، ولعنت الأرض بسببه، وحكم عليه أن يأكل منها بالتعب كل أيام حياته، وطرد من جنة عدن، وبه دخلت الخطيئة إلى العالم، وقد عاش عمرا تجاوز التسعمائة والثلاثين سنة، حيث ولد له فى تلك السنة ابنا أسماه شيث. [راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤/٣] ولست أوافقهم على ذلك؛ لأن الله تعالى أخبر عن آدم (عليه السلام) فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وحيدا، ثم وجد حواء[١] قريبا منه إنسانة كاملة معه في الجنة[٢]، راحت الأسئلة تقفز إلى عقله:

◈ من هذه؟ متى وجدت؟ ما دورها في الحياة؟ لمن هذا ؟ كيف يتم التعامل معها ونوعية ذلك التعامل؟

وكل هذه الأسئلة المندفعة إلى عقله، كانت وليدة الدهشة والاستغراب، فلما استقرت جوانحه، اقترب من حواء كأنه يريد التعرف عليها من خلال بطاقة تعريف يدلي كل منهما للآخر بطرف من طرفيها، أو بالبيانات التي تخص كل واحد منهما على حدة[٣].

كذلك كانت تحركات سيدنا آدم عليه السلام رغم أنها كانت في الجنة، إلا أنها ظلت محفوفة بالمواقف العجيبة، متى اعترضته مشكلة لم يكن له بها عهد، أو لم يكن ميدانها الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم[٤] في قوله تعالى: **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم[٥] * قال يا آدم**

---

(١) حواء اسم عبري معناه حياة، الاسم الذي أعطاه آدم للمرأة الأولى؛ لأنها أم لكل حي حالا بعد خلقه. أحضرت إليه لكي تكون معينا له، وقد تكونت حواء من جنب آدم. مع أنه يسود عليها وهي تخضع له، ولكي يمتحن طاعتهما منعهما من أن يذوقا ثمر الشجرة. لكن الحية تحت تأثير شيطاني قادت حواء في الشك في صلاح الله. ثم إلى أكل الشجرة المحرمة. ثم النهي على آدم أن يأكل هو الأخر، فأكل منها وشاركها ذنبها. وكانت النتيجة سقوط الإنسان، وطرد الزوجين المذنبين من الجنة، وصارت حواء على التوالي أم قايين وشيث وهابيل وبنين وبنات آخرين. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٢٨). وهذا ما لا اتفق معهم فيه، ولا يتفق معهم أى مفكر مسلم يستمد أفكاره من الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

(٢) الأستاذ محمد عبدالحكيم يونس – آدم عليه السلام في الجنة ص٧٣ ط١/١٣٠٩هـ.

(٣) الشيخ هلال محمد هلال – آدم وحواء ص٨١ طبعة دار المل ١٣١٧هـ.

(٤) الأستاذ محمد عبدالحكيم يونس – آدم عليه السلام في الجنة ص٧٤ .

(٥) يقول العلامة القرطبي: « قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم وأعلمهم بها؛ ليعلموا أنه أعلم بما سألهم عنه، وقد كان ذلك تنبيها على فضله وعلو شأنه. فحصلت له رتبة الجلال والعظمة. بعد أن حصل له الاختصاص بالعلم من الله رب العالمين ».[العلامة القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٣١/٣٣٢] فصار من هذه الناحية متمايزا عن غيره دون أن يرجع ذلك إلى ذات آدم ؟ إنما هو راجع لاختصاص الله عز وجل . ويقول أحد الباحثين : « إن الملائكة قد أعلنوا أن ما أخبرهم به آدم هو مما لم يعلمهم به الله، ولم ينسبوا العلم لأنفسهم، حتى يكون علمهم كسبيا، في نفس الوقت فإن الملائكة يعلمون التعرف على الأشياء واكتشاف سنن الكون بالتلقي المباشر عن الله تعالى »، [الدكتور عمر سليمان الأشقر – عالم الملائكة الأبرار ص٢٢٢]وذلك حالهم التي خلقهم الله تعالى عليها.

أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمآئهم قال ألم أقل لكــــم إنــي أعلـــم غيـــب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾(١).

بيد أن الأشياء الغريبة والتناقضات العجيبة يمتلئ بها هذا العالم علـــى كــل ناحية، اذ فيه المتخالفات والمتناقضات والمتآلفات، وهى كلها تتلاقى مـــن خـــلال عزفها إنشودة واحدة تقوم عليها منظومة الحياة، وتسرى بين أطرافها الأسئلة التى لا تتوقف والاستشعارات التى لا تنتهى.

وهى فى تناقضها وتآلفها يجد الفرد العاقل لها إجابات محددة فى صدره تقنعه بأن ما يشاهده إنما هو من الأمور المعتادة، أو القضايا المألوفة؛ لأنه سيحيل كل شيء فى الكون إلى سنة الله تعالى فى خلقه.

---

(١) سورة البقرة – الآيات ٣٣/٣١ . وينقل العلامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره أقوالا لبعض السلف الصالح حول الآيات بقوله: « علمه أسماء ولده إنسانا إنسانا والدواب. وأسماء الملائكة والذرية. وأسماء كل شيء ذراتها وصفاتها وأفعالها ذات الأفعال والأسماء المكبر والمصغير .[العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م١ ص٧٠ دار الجيل بيروت] ويستدل على ذلك بما ورد فى السنة النبوية المطهرة الصحيحة عن أبي هريرة ﷺ قال « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربي غضب غضبا لم يغضب قبلة مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبلة مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي ائتوا النبي صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه قال محمد بن عبيد لا أحفظ سائره » [الإمام البخارى – صحيح البخاري ج٣ ص١٢١٥ – الحديث: ٣١٦٢]

ﷻ قال تعالى : ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديــلا﴾(١).

قال تعالى: ﴿فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾(٢).

بل على العكس كانت تلقى فى روعه بالعديد مـــن الأســـئلة المســـتحدة، والتساؤلات الملحة، فتغدو أسئلته تطرق فؤاده بشدة، ما حال هذه التناقضات؟ مـــن أين ابتدأت؟ إلى أين تتجه، وكيف يتم هذا أو ذاك، ولماذا تأتى على تلك الحـــال؟ لماذا لم يتمكن الإنسان فى رحلة حياته الطويلة من التعديل فيها، أو تقديم إجابـــات محددة حولها(٣).

وكلما تنازعته هذه الأسئلة، ولم يجد إجابات مكتوبة بصيغة محددة حيالهـــا، فإنه يحاول تقديم نوع من الإجابات عليها، من خلال ثقافته الشخصية أو معارفـــة البدائية، أو يحاول تقديم إطروحات جديدة، لعله يقنع نفسه بأحقيتها فى الســـباحة ضمن عالم الوجود، وذلك يدفع إلى الدهشة ويثير فيه الاستغراب(٤).

---

(١) سورة الأحزاب – الآية ٦٢ . « سن الله جل وعز فيمن أرجـف بالأنبيـاء وأظـهر نفاقـه أن يؤخـذ ويقتل ولن تجد لسنة الله تبديلا أي تحويلا وتغييرا حكاه النقاش وقال السدي يعني أن من قتـل بحق فى دية على قاتله المهدوي وفي الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد والدليل على ذلك بقـاء المنافقين معه حتى مات والمعـروف من أهـل الفضـل إتمـام وعدهـم وتأخـير وعيدهـم » [العلامـة القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٤٧/٢٤٨]

(٢) سورة فاطر – من الآية ٤٣ . يقول العلامة القرطبى: « أجرى الله العذاب على الكفار ويجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه لايقدر أحد أن يبدل ذلك ولا أن يحول العذاب عـن نفسـه إلى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن، وقال في موضع آخر سـنة مـن قـد أرسـلنا قبلـك مـن رسـلنا فأضاف إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين وهو كـالأجل تـارة يضـاف إلى الله وتـارة إلى القـوم قـال الله تعالى فإن أجل الله لآت وقال فإذا جاء أجلهم ». [الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٣٦٠]

(٣) الدكتور لطفى حسن صابر – الفلسفة الإسلامية قواعد ونظريات ص١٧٥ .

(٤) والمرجع فى ذلك كله لوجـود القـدرات العقليـة المتميـزة، والتركيبـة النفسـية الباحثـة عـن حيـاة أفضل.

بيد أن هذه الإجابات هى الأخرى لم تكن على نمط واحد فى طريقة العرض والتناول أو الموضوعات التى عالجتها، باعتبار أن الموضوعـــات المتغـــيرة متعـــددة، والإجابات حولها متكاثرة، هذا من ناحية[١]، ومن ناحية ثانية فالإنســـان العـــاقل المفكر كلما تقدمت به السنون صقلته التجارب، وتكاثرت فى عقله المعارف، وذلك من شأنه أن يغير فى إجاباته التى كانت فى وقت سابق متلائمة مع ذات الأســـئلة فى نفس الفترة السابقة، ثم اختلفت عنها بعد ذلك. أما لماذا؟

فلأنها فى الماضى كانت متلائمة مع قدراته العقلية، متوافقة مـــع طرائقـــه المعرفية، وهما قد حدث فيها الكثير من التغيير، كما طرأت على ذات المشـــكلات ألوان من الزيادة حينا، والحذف أخر، وذلك من شأنه أن يدفع إلى الدهشة ويقـــود إلى الاستغراب، أو يتساءل مع نفسه: كيف كانت إجاباتى على تلك الأســـئلة إلى هذا الحد متواضعة، ألم يكن من الأجدر لى أن أجتهد فأقدم إجابات أكثر دقة ووفاء من التى قمت بها، فيدفعه ذلك إلى التفلسف.

وتظل المواقف المتوالية عليه من الدهشة والاستغراب، توقظه إذا نام، وتنبهه إذا غفا؛ بغية تقديم المزيد من الجهد، والبحث المســـتمر عـــن حلـــول مســـتجدة للمشكلات التى تعترضه، وهو فى كل المحاولات التى سبق له القيام بهـــا، أو الـــتى يستعد للقيام بها لا غرض له ولا غاية، إلا محاولة التوصل إلى إجابة مقبولة ومقنعـــة، لما طرحه من أسئلة[٢]، أو يطرح ع ليه فى المواقف المتجددة، بغرض التعرف علـــى حقائق الأشياء، والعلاقات المتبادلة التى تربط بينها، والأسباب التى تجمع بين العلـــل والمعلولات، أو بين الأسباب والمسببات، من ثم كانت الدهشة والاســـتغراب مـــن بواعث التفلسف[٣]، أو الدوافع القوية من الناحية الفنية.

---

(١) الدكتور عدلى السيد بديوى — الفلسفة والفلاسفة ص١٣٧ .

(٢) الدكتور لطفى حسن صابر — الفلسفة الإسلامية قواعد ونظريات ص١٢٣.

(٣) الدكتور منير عبدالله الدويقى — دراسات فى الفلسفة ص١٢٣ ط دار حسين ١٩٧١م.

الخامس : حب المعرفة والبحث عنها

المعرفة من أكثر الألفاظ استعمالا فى محيط الدراسات النظرية(١)، كما أنها أحد المباحث والنظريات الفلسفية، باعتبار أن نظريات الفلسفة العامة ثلاث. هى:-

١- نظرية الوجود . الأنطولوجيا.
٢- نظرية المعرفة: الابستمولوجيا.
٣- نظرية القيم: الأكسيمولوجيا.

والمعرفة الإنسانية تقود الإنسان صاحب القدرات العقلية، والتطلعات الذهنية إلى التكمل العلمى والتحمل الأخلاقى، وذلك مما يدفع إلى طلب معرفة الأشياء والحقائق فى أصولها التى قامت عليها، والأسس التى تصوغها(٢).

ولما كان الجهل هو الشر المستطير، والعذاب المستعر الكبير، فإن الجاهل يستريح فى رحاب الجهل ويشقى بغيره؛ لأنه لا يعرف حدود ما يجهل، ولا كيف يتخلص من ذلك الجهل.

ولو عرف أنه جاهل لانقلب معه الحال من الجهل(٣) إلى العلم، إذ العلم بالشيء ينافى الجهل بذات الشيء، وهذا التحول الذى يقوم به الجاهل من الجهل إلى

(١) وقد وردة مادة الكلمة ع ر ف فى القرآن الكريم حوالى إحدى وسبعين مرة. [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٤٥٨/٤٥٩]

(٢) راجع فى هذا الشأن للدكتور توفيق الطويل – أسس الفلسفة، وللدكتورة فوقية حسين محمود محاضرات فى الفلسفة الإسلامية.

(٣) الجهل هو : « اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه... والجهل البسيط : هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما . والجهل المركب : هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع. [العلامة السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني – المولود ٧٤٠هـ والمتوفى ٨١٦ هـ – التعريفات ج١ ص١٠٨ باب التاء رقم: ٣٧٧ – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ – الطبعة الأولى – عدد الأجزاء ١ – تحقيق إبراهيم الأبياري]

المعرفة هو نفسه يمثل التفلسف فى أبسط صورة[١]، ورغم أن محاولته التى يقوم بها لا تمثل إلا بداية، أو نافذة يطل منها على العالم الذى غابت عنه مفاتيح التعرف عليه، إلا أنها محاولة تكشف عن حب صاحبها للمعرفة، كما تبين عن طلبه الدائم لها.

والجهل مرض لعين، وهو أحد الأمراض الثلاثة التى إذا أصابت أى مجتمع أهلكته[٢]، وخطر يجب أن يتوجه العقلاء إليه، حتى يبعدوا شبحه عن أهل العلم، ومتطلبات الحياة، بل هو طريق الفيلسوف نفسه، ولما كانت المعرفة هى السلاح القوى، والجهل هو الخطر الداهم، فقد تغنى الأدباء به. يقول لامور: « من جهلنا نخطئ، ومن أخطائنا نتعلم »[٣].

والمعرفة بحرها متلاطم الأمواج، حيث تتعدد شواطئه، وتكثر مراسيه، عشقها الكثيرون؛ لأنها بعد الإيمان بالله السلاح الذى لا يصدأ، والعملة التى تحتفظ بقيمتها فى كل الأحوال، وتحت كل الظروف، إنها ثمرات العقول ونتاجات الأفهام، تحفل بها الملكات المتميزة والقدرات العقلية العالية.

وحب المعرفة يدفع إلى اصطناع بعض أوجه الجهل، فيمثل ذلك الحب المعرفى الشعاع الذى تلتفت إليه العقول، ولذا فهى حقيقة ثابتة لدى كل العقلاء، ولا يقلل من ذلك الحب تفاوت درجاتها قوة وضعفا، تسطحا وعمقا[٤]، باعتبار أنها تبدأ عادة بالمحسوسات، وتظل آخذة فى الرقى، حتى تبلغ أعلى المعقولات.

---

(١) راجع كتابنا: رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٢٣ وما بعدها.

(٢) الأمراض الثلاثة هى : ١- الفقر. ٢- الجهل. ٣- المرض، وهذه المهلكات يحاول الاستعمار أن يجعلها ثابتة فى المجتمعات التى يستعمرها، حتى لا يلجأ أحد إلى مقاومته، أو طلب الحرية والاستقلال، وقد قال الحكيم:

إنى نظرت إلى الشعوب فلم أجد ∴ كالجهل داء للشعوب مبيدا
الجهل لا يلد الحياة مواته ∴ إلا كما تلد الرمام الدودا

(٣) فرانكز هيلر – الأدب الأوربى فى القرن العشرين ص١٩٧ – ترجمة هناء مرسى ط ١٩٢٧م.

(٤) الدكتورة: هناء محمد بدوى – محاضرات فى الفلسفة العامة ص٥٣ طبعة دار النصر ١٩٧٣م.

إنها تبدأ من تناول أبسط قضايا الميتافيزيقا، وبحثها، ثم ترتقى فى أدق القضايا الميتافيزيقية، حتى تبلغ أعلاها درجة وأكثرها وثوقا. أما لماذا؟ فلأن مستوى العقـــل الإنسانى أعنى قوة المقارنة والعمليات الحسابية العددية، والتبصر، وترتيب حياة الفرد وفق قاعدة متوخاة تلك القوة يبديها الإنسان(١) على إنها وسيلة من وسائل التعبـــير عن حب المعرفة والتعلق بها(٢).

والمعرفة توجب على طالبها التمسك بها والبحث عنها، وهو فى سبيل ذلـك يحارب الجهل، ويرفض الأساطير، ويكره الخرافات، ويمقت كـــل ألـــوان العبـــث واللامعقول، وذلك يوجب عليه استمرار التعرف على جوانب الصواب، فيمســـك بها، وجوانب الخطأ فينصرف عنها، ويصرفها عن طريق بحثه، بل وينحيها من ميدان البحث العلمى كله، متى كان له إلى ذلك من سبيل، وهو حين يباشر ذلـــك إنمـــا يكون مشروع فيلسوف

بيد أن حب المعرفة يعتبر عملية تقوم على قوانين منظمة، وقواعد ثابتة، حتى تبلغ النهاية، بحيث يتمكن ذلك المفكر من التمييز بين الأفكـــار المعروضـــة بدقـــة، والمعروف أن فحص الأشياء والتميز بين بعضها، وإثبات صحيحها مـــن فاســـده، وصحتها من علتها هو ذاته التفلسف الفنى، أو صورة من صوره الدقيقة(٣).

ولما كانت المعرفة الإنسانية بهذه الخصوصية، فقد طافت حولها الأسئلة عنـد حدودها التى يمكن أن تبلغها وتقف عليها، والأخرى التى لا يمكن للعقل البشـــرى القفز فوقها، بمعنى أنه يمكن إصدار هذا التساؤل: هل توجد للمعرفة حدود يمكن أن تقف عندها طرائق البحث.

---

(١) أ.أ طيلر المعلم الأول أرسطو ص١١٧ نقله من الإنجليزية إلى العربية محمـد زكـى حسـن ط مكتبـة الخانجى ١٩٥٤م.

(٢) راجع كتابنا : رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٢٦ .

(٣) الأستاذ منصور محمد جميل — المعرفة الإنسانية أصولها وأنواعها ص٨٣ ط الدار القومية ١٩٥٧م.

والجواب: أن المعرفة الإنسانية لما كانت هى التى تمثل معارف مكتسبة، أو طرائق الاكتساب لمعارف جديدة، فإنها لا تحد من حيث هى[١]، أما بالنسبة للعارف نفسه فإنها محدودة باعتبار أن قدرات العاقل مهما كانت عالية فهى محدودة، وإمكانياته مهما بلغت فهى محصورة بانحصاره، محدودة بحدود العقل البشرى نفسه.

وكثيرا ما تسأل أحاد الناس عن موضوع ما فإن كان متكبرا مغرورا، أو سفيها جاهلا؛ زعم أنه يعرف كل شيء، أما إذا كان متواضعا طيب القلب صادق المشاعر، على درجة من الاحترام لنفسه؛ فإنه يقول لك: اسمح لى أن أجيبك فى حدود معرفتى، أو يقول لك: سأجيبك فى نطاق ما أعرف، أو أسمع منى سأخبرك فى الإجابة بقدر استطاعتى، وهى كلها إجابات فيها التواضع الأدبى والعلمى على كل ناحية.

من ثم؛ فإن اكتساب المعرفة لا يتوقف عند حد، طالما كان طالبها متعلقا بها، محتفظا لها بقدر كبير من الاحترام أو التقدير، وفى الحديث الشريف: عن عبد الله[٢]

---

(١) لأن الأبحاث العلمية حول هذا الجانب مستمرة لم تنقطع، وما دام الأمر كذلك؛ فإن فكرة انحصارها أو وضع حدود تقف عندها يعتبر من الأحكام الفضفاضة، أو الأحكام التى تقع العجلة فيها من ناحية إصدارها أو التصديق بها.

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر . روى عن النبي ﷺ كثيرا وعن عمر وأبي الدرداء ومعاذ وابن عوف وعن والده عمرو قال أبو نعيم حدث عنه من الصحابة بن عمر وأبو أمامة والمسور والسائب بن يزيد وأبو الطفيل وعدد وآخرون . وقال ابن سعد أسلم قبل أبيه ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة أخرجه البخاري عن الشعبي وجزم بن يونس بأن بينهما عشرين سنة.وفي البخاري والبغوي من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة ما أجد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب . قال الواقدي مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ بن اثنتين وسبعين. [الإصابة فى تمييز الصحابة – (العلامة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ) رقم: ٤٨٥٠ ص١٩٣/١٩٧]

قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منـهومان[1] لا يشبعان طالبهما طالب علم وطالب الدنيا »[2].

إذن محب المعرفة الطالب لها المجتهد فى تحصيلها، يمكن اعتباره قد اجتهد فى إعادة صياغة نفسه على الناحية الفكرية، كما أمكنه أن يحوز نصيبا كبيرا من التفلسف، ودافع البواعث موضوعات وغايات ومناهج[3]، ولا يقلل من ذلك كون التفلسف عملية عقلية نسبية خالصة.

وفى تقديرى: أن عملية التفلسف شخصية ذات طابع خاص، ترجع إلى ذات المتفلسف مرة، كدافع قوى يجرى فى أعماقه، وترجع إلى الموضوع نفسه مرة أخرى؛ لأن كل فيلسوف يملك من الحقوق فى إبداء الآراء ما يراه صحيحا، مادامت الآراء التى وقف عليها مصحوبة بالدليل والبرهان، أو تقوم عليهما[4].

وكون المعرفة شخصية نسبية، وأنها ذات طابع خاص، فإن هذا الجانب يرجع إلى عملية التفلسف ذاتها، وهو رجوعها إلى تفهم حقائق الأشياء منفردة تارة،

---

(١) النهمة بلوغ الهمة في الشيء وقد نهم بكذا نهمة فهو منهوم أي مولع به. و النهم بفتحتين إفراط الشهوة في الطعام وقد نهم من باب طرب و نهم الإبل زجرها وصاح بها لتجد في سيرها وبابه قطع و نهيما أيضا، ومنه النهم من الجوع. [راجع مختار الصحاح للرازى - ج١ ص٢٨٤ ، و النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٥ ص١٣٧]

(٢) الإمام الطبرانى - المعجم الكبير ج١٠ ص١٨٠ - الحديث رقم: ١٠٣٨٨ . وأخرجه ابن أبى شيبة عن ابن عباس - مصنف ابن أبي شيبة ج٥ ص٢٨٤ - رقم: ٨ ، وأخرج الحاكم عن عبد الله بن شقيق قال: « جاء أبو هريرة إلى كعب يسأل عنه وكعب في القوم فقال كعب ما تريد منه فقال أما إني لا أعرف أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون أحفظ لحديثه مني فقال كعب أما إنك لم تجد أحدا يطلب شيئا ألا يشبع منه يوما من الدهر إلا طالب علم وطالب دنيا فقال أنت كعب فإني لمثل هذا جئت. [الحاكم - المستدرك على الصحيحين ج١ ص١٧٠ رقم:٣١٣ . وأخرجه الدارمي - سنن الدارمي ج١ ص٩٨ رقم:٢٨٤]

(٣) الشيخ محسن محمد حسان - نظرية المعرفة ص٤٥ ط١٩٧١/٢م.

(٤) الدكتور عبدالحميد مدكور - محاضرات فى الفلسفة ص٦ .

ومجتمعة أخرى، والربط بين هذه الأصول فى كل من الأشكال الفنية الدقيقة على نحو يؤدى إلى نتائج إيجابية هو الضرورة المعرفية.

ومرجع ذلك عندى إنما هو إلى حب المعرفة المتنامى فى العارف نفسه، باعتبار الإمكانيات الحسية والعقلية والشعورية والنفسية، التى يتمتع بها، فضلا عن الاعتقادية التى هى الأساس هذه ناحية، ولموضوع العلم الذى خصه بهذه الأبحاث، ودارت حوله تلك العمليات العقلية التأملية الخالصة من ناحية أخرى، إذن حب المعرفة من دوافع التفلسف وبواعثه على قدر سواء.

بيد أن البحث عن المعرفة لا يقل أهمية عن حبها؛ لأن المعرفة تحاول الكشف عن المجهول، والتعرف على طرائق الوصول إليه، باعتبار أن المجهول التصورى أو التصديقى يجد العقل فى طلبه، ويتعلق الفؤاد به، وكلما تعددت طرائق البحث عن المعرفة؛ تعددت ألوان المعرفة أيضا.

وذلك يؤدى إلى التفلسف المنظم، ويدفع الباحث إلى الانتقال من جزئية مبحوثة إلى أخرى لم تبحث فى نوع من الثقة وشيء من اليقين[1]، وهما معا يمنحان البحث المعرفى الاضطراد المتقدم فى مجال العلوم التى وضعت لها الدراسة، وصارت جزءا من موضوعات التفلسف، من ثم يمكن اعتبار حب المعرفة والبحث عنها من دوافع التفلسف لا محالة.

السادس : محاربة الموروثات الفاسدة

كثيرا ما نرث معلومات دون أن نفحصها، بحيث نعرف صحتها من فسادها أو صحيحها من سقيمها، يستوى فى ذلك أن تكون هذه الموروثات الفاسدة قد التقطناها من الوالدين أم من غيرهم، وسواء أكان ذلك الغير هو المجتمع الذى نعيش

(١) الأستاذ منصور محمد جميل – المعرفة الإنسانية أصولها وأنواعها ص٩٧ .

فيه، بحيث تكون هذه الموروثات الخاطئة من نتاجه، إم أكان ذلك الغير نتاج مجتمعات أخرى، لكنها نقلت إلينا عن طريق وسائل الإعلام المختلفة(١).

وقد أنبأ التاريخ العام للفكر الإنساني أن كل زمن يتوارث أفراده عن بعضهم معلومات، بعضها صحيح يقبل البرهنة عليه، وبعضها الآخر فاسد غير قابل للاستدلال عليه، بل إذا حاولنا الاستدلال عليه، فإن العجز يكون هو الحليف، والخطأ يكون صاحب القدر الكبير؛ لأن بعض المعلومات الخاطئة سبق القول بها، يستوى فى ذلك أن يكون مصدرها الخرافات(٢) والأساطير، وما كان من هذا القبيل(٣)، أو يكون مما اخترعه البعض، وحكاه على أنه مأثورات(٤).

---

(١) وسائل الإعلام فمنها الإذاعة والتلفزيون والصحف السيارة، بجانب الكتب والمجلات. وأعنى بوسائل الإعلام ما كان مسموعا أو مقروءا أو مرئيا.

(٢) الخرافات : جمع مفرده خرافة. وكان فى الماضى خرافة هذا من ساكنى المدينة المنورة قبل الإسلام، وكان يذهب إلى مواضع الجن فيقابلهم ويعتدى على أماكنهم وبيوتهم. كما يلوث أطعمتهم ومياه شربهم، فلما أكثر من ذلك أصدروا حكما عليه بالغريب لمدة عام، كانوا يرونه من ألاعيبهم الكثير. مما لا يمكن تصديقه. فلما هاجر رسوله الله ﷺ الى المدينة قال الصحابة من أهل المدينة يا رسول الله: إن خرافة يحدثنا أحاديث عجب. فماذا نفعل بها أنصدقها أم نكذب بها؟ قال ﷺ لا تصدقوا خرافة، حيث كان يؤذى الجن فغربته عاما، فكانت تريه من ألاعيبها ما يحدث لكم، فلما انتهت المدة عاد خرافة إلى عقله، ولم يقبل حكاية الخرافات، وفى الحديث الشريف: عن عائشة قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ذات ليلة حديثا فقالت امرأة منهن يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة فقال أتدرون ما خرافة إن خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهرا طويلا ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة . [الإمام أحمد بن حنبل — مسند أحمد ج٦ ص١٥٧ رقم: ٢٥٢٨٣ ، وراجع للهيثمى — مجمع الزوائد ج٤ ص٣١٥ — باب عشرة النساء]

(٣) الخرافة الكلام المستملح المكذوب، يقال هذا حديث خرافة. [أساس البلاغة — باب الخاء فصل الراء وما يثالثهما ص١٩٣]

(٤) الأسطورة : هى الحكاية التى ليس لها أصل، وإنما يخترعها صاحبها أو يرويها راو وقد لا يستخدم قدراته العقلية فى المسألة. [راجع قطر المحيط ، ومحيط المحيط باب الألف ص١٩٥، والمعجم الوجيز ص١٧] وبالتالى فالأسطورة والخرافة قد يتقاربان من بعض الوجوه، ويتخالفان من البعض الأخر.

ثم استقبل الناس هذه المعلومات الخاطئة أول الأمر، على أنها أنـــواع مـــن الدعابات، أو داخلة فى نطاق الملح والفكاهات، يقصد بها مجرد استهلاك الوقـــت، وشغله بدل أن يستمر المرء فى أحزانه يجترها، ويبكى على ما أضاعه فيها، أو يقصـد بحكايتها الإشفاق على من تحكى له[1]، مع التأكيد على أنه لا تأثير لها، ولا خـوف منها.

غير أن هذه الأفكار الموروثة قد تسرى فى الناس – سريان النار فى الفحـــم، أو النار فى الهشيم – حتى إذا طوى عليها الزمان صفحة، وصارت جزءا من الـتراث المحكى، فإن البعض يضغط على عقله وتأملاته؛ بغية قبول تلك الموروثات على أنـــه ميراث الأجداد تركوه للأبناء، ومن الواجب الاعتناء به وترديده، ثم المحافظة عليه.

وأصحاب هذا القول للأفكار الموروثة، لا ينظـــرون إلى صحيحـــها مـــن سقيمها، كما لا ينظرون إلى صدقها من كذبها، إنهم ينظرون من زاويـــة مختلفـــة، ويغمضون عيونهم العقلية عن التأمل فى تلك الموروثات، مادام قد تركها الأقدمـــون فمن الواجب الالتفات إليها والتمسك بها، وذلك هو لـــب المشـــكلة، وحقيقـــة المأساة[2]، كما أنها الطامة[3] الكبرى حين نقبل على موضوعات غـــير صحيحـــة وننتقل بين أعطاف أفكار فيها الوهن من كل ناحية.

---

(١) الشيخ على منصور الحيوان – الأسطورة وزمن قراءتها ص١٣ ط دار الهدى ١٣١٥هـ.

(٢) الدكتورة : هناء محمد بيومى – محاضرات فى الفلسفة العامة ص٦٧ .

(٣) الطامة : الداهية العظيمة ، من طم الماء ، إذا ارتفع .[الفائق ج٣ ص٤٢٥] ويقول ابن منظـور: « طمم طمم : طم الماء يطم طما و طموما : علا وغمر. وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم يطم. و طم الشيء يطمه طما : غمره. وأصله من طم الشيء إذا عظم. و طم الماء إذا كثر، وهو طام. والطامة: الداهية تغلب ما سواها. و طم الإناء طما : ملأه حتى علا الكيل أصباره. وقيل :وجاء السيل فطم كل شيء أي علاه. ومن ثم قيل : فوق كل شيء طامة، ومنه سميت القيامة طامة. وقال الفراء في قوله عز وجل: فإذا جاءت الطامة ؛ قال: هي القيامة تطم علىكل شيء، وقال الزجاج: الطامة هي الصيحة التي تطم على كل شيء. وفي حديث أبي بكر والنسابة: ما من طامة إلا وفوقها طامة أي ما من أمر عظيم إلا وفوقه ما هو أعظم منه، وما من داهية إلا فوقها. والطمة: الشيء من الكلإ، وأكثر ما يوصف به اليبيس. و الطم: الكبس . و طمة الناس: جماعتهم ووسطهم. ويقال: لقيته في طمة القوم أي في مجتمهم. و الطمة : الضلال والحيرة. و الطمة: القذر » [لسان العرب ج١٢ ص٣٧٠]

ومن المؤسف له أن بعض تلك الأفكار الموروثة الفاسدة، لا تخضع لنظـــام ثابت، أو قانون ضابط، إنما قد تجرى فى العلوم التطبيقية مستخدمة منهج البحث فى العلوم النظرية، والفرق بينها كبير، كما تجرى فى العلوم النظرية مستخدمة منـــهج البحث فى العلوم السلوكية، وربما جاء فى العقليات على وجه الســـرعة[١]، وقـــد تعتصم بأرحام الزمان غير مكترث حاكيها بشيء من القيم أو الأخلاق، فتجـــيء فى الفنون والآداب، واللغات وغيرها من العلوم التى يسعى الناس إليها.

والدراسات العلمية أثبتت أن الموروثات الفاسدة، لا تؤثر بالإيجاب فى شيء فلسفى، باعتبار أن حقيقة الفلسفة قائمة فى التأمل، وإنما تأثيرها يكون على العامـــة، الذين لا تستهويهم المباحث العقلية، بقدر ما يلذ لهم استظهار ما جاءهم من عادات مألوفة، وحكايات وخيالات لا تمت للواقع المعاش بأدق صفة

كما كان يظن البعض أن الأرض محمولة على قرن ثور، وأن الزلازل تحدث عندما يريد الثور الحامل للأرض استبدال قرن بآخر، نظرا لشعوره بالتعب، وكلمـــا كانت حركة الثور هادئة كانت الأرض ثابتة. أما إذا اهتزت رأس الثور فـإن الأرض تبعا لذلك يقع لها الاهتزاز[٢].

وكذلك شاع بين العوام أن المطر يمثل دموع السماء، أو أن البراكين إنما هى انفعال باطن الأرض، أو أن نهيق الحمار يتم عندما يرى الشيطان يخترق، وأن عـــواء الكلب يكون حينما يرى عزرائيل – ملك الموت – قد أقبل ليقبض روح أحد مـــن الناس، وقس على ذلك باقى الأفكار الفاسدة والعقائد الموروثة، التى يعشق البعـــض حكايتها، او يستعذب الحديث عنها وإذاعتها[٣].

---

(١) الأستاذ جمال محمد حبيب – الفلسفة العامة ص٦٥/٦٦ ط دار فؤاد ١٩٧٧م.
(٢) الأستاذ عبدالكريم محمد ظاظا – حكايات قديمة ص١٧٥ طبعة دار مروان ١٩٥٧م.
(٣) الأستاذ مرسى السيد – الأسطورة والخرافة ص٦٣ ط٣/١٩٤٦م.

كذلك نقل عن أرسطو[1] أنه كان يقول: إذا ألقينا بجسمين مختلفى الـوزن من مكان عال فى لحظة واحدة؛ فإن الأكثر ثقلا يهبط إلى الأرض قبـل الأخـف، اعتمادا على أن الأثقل يكون نزوله إلى الأرض أسرع، باعتبار أن مقاومة الهواء لـه تكون ضعيفة، بينما تكون مقاومة الهواء للثانى شديدة، وبناء على ذلـك التعليـل أقيمت الفكرة[2].

بيد أن هذه الفكرة الخاطئة ظلت سائدة فترة من الزمان، بزعم أن أرسطو لا يخطئ، ورغم أن التقدم العلمى أثبت أن للأرض جاذبية، وأن هذه الجاذبية هى الـتى تعمل على جذب الأجسام إليها، لكن لم يجرؤا أحد على رد هذه الفكرة.

حتى إذا جاء باحث متميز فى مجال العلوم الطبيعية، وأخذ يدلل على كـذب هذه الفكرة عمليا، حيث أخذ معه جماعة من الناس، وفيهم بعض العلماء، وصعـد إلى برج بيزا وألقى من فوق البرج بحجرين مختلفى الوزن دفعة واحـدة فى وقـت واحد، فوصلا معا إلى الأرض فى ذات الوقت[3].

وقد دلل بهذا على أن جاذبية الأرض للأجسام واحدة، فلا عبرة بالكبير ولا بالصغير، وإنما لابد من مراعاة النسبة والتناسب بينهما، وقد حضر تلك التجربـة العلمية جمع من الناس، وأثبت فى الوقت نفسه كذب الحكاية السابقة على مـرأى ومسمع منهم.

---

(١) أرسطو طاليس : ولد عام ٣٨٥ ق.م ، بأسطاغيرا إحدى مدن اليونان القديمة ، تقع على بحر إيجه فى الشمال الشرقى من شبه جزيرة خلفيدية فى تراقية على حدود مقدونيا ، وكانت أسرته معروفة بالطب ، وكان أبوه نيقوما خوس طبيب خاصا للملك ، دخل أرسطو أكاديمية أفلاطون ، فتميز على أقرانه ؛ فسماه أفلاطون العقل لذكائه الخارق ؛ مات عام ٣٢٢ ق.م ، وبسبب مرض فى معدته بعد أن ترك ثروة من المؤلفات العلمية – [راجع قصة الفلسفة اليونانية للأستاذ / أحمد أمين ، والدكتور زكى نجيب محمود ، وراجع تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم]

(٢) الأستاذ صبحى حسن الطويل – محاكم التفتيش ص١٥٢ طبعة دار الجيل ١٩٤٥م.

(٣) الشيخ محمد النادى يسرى – أخطاء العلم الأرسطى ص٥٧ ط٢/١٩٣٣م .

غير أن ذلك الباحث الذى دلل على نتائجه بالتجربة العلمية، كان مصـــيره الإحراق فى وضح النهار، بدعوى أنه خالف الموروث عن أرسطو، والـــذى ردده الأقدمون معه، القائل بأن سرعة النزول ترجع أولا وأخيرا إلى ثقـــل الحجـــر لا إلى شيء أخر، وكان ذلك الإحراق لذلك الباحث من الآثار العنيفة لمحاكم التفتيش الـتى فرضتها الكنيسة على الناس فى أوربا أبان العصور المظلمة والعصور الوسطى[١].

أجل تعددت الأساطير، وكثرت الخرافات، وكان من نتائج مقاومة سلطانها أن أحرق جاليليو[٢] وكوبر نيقوس[٣]، وأعدم الكثيرون الذين كانوا ضحايا إبانـــة بطلان التمسك بالموروث الباطل، والاعتقادات الفاسدة، ولكن ذلك كلـــه دفـــع العقلاء من المفكرين الأحرار إلى بذلك المزيد من التأمل، وبحث المسائل الفلسفية من

---

(١) راجع ملامح ذلك فى كتابنا: قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة، وكتابنا: خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة، وقصة النزاع بين الدين والفلسفة للدكتور توفيق الطويل.

(٢) جاليليو : أقام على دراسة الأجرام السماوية والعالم الطبيعى، من سدم ومجرات. حتى اكتشف مجموعة الكواكب، ومن ثم غضب رجال الكنيسة عليه، وأصدروا أمرا كهنوتيا بأن تتم محاكمة جاليليو فى روما؛ عساه يلقى مصير سابقيه، وبعد أن عذب فترة تراجع عن الآراء التى كان ينادى بها، وأعلن ذلك أمام جمع كبير من رجال الكنيسة. ولكن ذلك لم يشفع له. ولم يتم الإفراج عنه. وإنما ظل سجينا لا يعرف الحرية، ولا يتحدث معه أحد حتى مات سنة ١٦٤٢م. ويقال: إنه مات مسموما بيد رجال الكنيسة. [راجع للدكتور خيرى حسن صفوت – محاكم التفتيش ورجال العلم ص١٩٥، وتاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم]

(٣) كوبر نيقوسى: عاش داخل الكنيسة احتيالا على رجالها؛ لأنهم كانوا يحرمون البحث العلمى. الذى يعتقدون أنه يعارض تعاليم الكتاب المقدس، حتى يستطيع دراسة العلوم؛ لأن التعليم كان مقصورا على طبقة الكهان، وقد تفرغ لدراسة علم الفلك. حتى توصل إلى أن الأرض كروية. وأن حركة النجوم التى نراها من فوق الأرض هى حركة ظاهرية. يمكن تفسيرها بدوران الأرض حول محورها مرة كل يوم رغم أنه توصل إلى هذه الفكرة فى شبابه. إلا أنه خشى من الإعلان عنها خوفا من رجال الكنيسة، ثم أعلن عنها قبيل وفاته. وظلت الكنيسة تطارد كتبه وتصادرها، ومات فى عام ١٥٤٣م. [الدكتور أحمد عبدالخالق- الإسلام والفكر المنحرف ص١٠٤ – دار الهدى للطباعة – الطبعة الأولى ١٩٨٣م، وراجع تاريخ الفلسفة الحديثة].

جديد، وإعادة طرح نتاج العلم، بحيث يمكن التأكد من صدقها، فيقع التمسك بها، أو التأكد من كذبها، فتسقط من الحسبان، أو تحتاج فترة أخرى للتأكد من صحتها أو فسادها[١]، على ما تحكم به المناهج العلمية.

بدليل أن ألبرت أينشتاين[٢] نظر إلى الجاذبية وقرر أمرا جديدا في المسألة يقوم على ضرورة وجود علاقة النسبة والتناسب بين الأجسام التي يمكن الاستدلال بها على جاذبية الأرض، مما حدا به هو الآخر إلى استخراج نظرية النسبية الرياضية، ثم الجزء الثاني في نظرية التناسب، وكانت نتائج أبحاثه تمثل موقفا علميا في مواجهة الأفكار الموروثة الفاسدة، مما يعد بحق أحد البواعث الفنية لعمية التفلسف، التي يقوم بها العقل الإنساني في أعلى درجاته[٣].

* **ويقرر هانز ريشنباخ:** « أن مهمة الفيلسوف الشاقة هي: اليقين بأن النوايا والأماني وحدها لا تكفي لإنشاء فلسفة، ولا لإنجازها على الوجه المطلوب، وأن نجاحنا في بناء آية فلسفة لابد أن يعتمد أولا على إمكانياتنا، في أن نستحث النزعات الإنسانية وننعشها.

بل ويتحتم علينا الإحاطة أولا بأصل هذه النزعات، وطبيعتها وآلياتها وإمكانياتها، حتى يتسنى لنا اكتشاف الطريقة المثلى في تربية نشئ جديد تربية يتعودون من خلالها على أن يرغبوا المنطقى، لا أن يمنطقوا المرغوب، وأن يريدوا ما

---

(١) راجع كتابنا: الحثيث في المنطق الحديث أثناء الحديث عن التجربة العلمية.

(٢) ألبرت أينشتاين صاحب النسبية غير ألفرد أينشتاين الموسيقي، وكان كل منهما دوره الكبير في التخصص الذي تفرغ له.

(٣) العلوم النظرية تتعدد فيها الأساطير والخرافات، كأسطورة المعبد الحجري التي تحدد عمر الكون طبقا لمفهوم فكرة الأحجار الخمسة والأربعين. التي ظل الكهنة يرددونها فترة طويلة، ودفعت الكثيرين من أهل الفكر لإعادة النظر فيها وأمثالها، وعلاقتها بالزمان والمكان والحركة، حتى انكشف زيفها، وبان أنه لا علاقة لها بالعلم أبدا، بل تأكد الجميع أنها أفكار فاسدة، وتوهمات لعبت بها عقول أصحابها.

هو علمي واقعي محقق، لا أن يعقلوا ما هو مطمور سلفا فى جهازهم النفسى الرتيب من إرث قيمى بدائى عتيق »[١].

كذلك تعددت الأساطير، وكثرة الخرافات فى الأزمنة التى أمسك أهلها بزمام الخيالات، تاركين كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وقد حذر الرسول الكريم ﷺ من هذا الترك أو الإهمال لهما.

ففى الحديث الشريف عن الحارث[٢] : « قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي — كرم الله وجهه – فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث قال وقد فعلوها قلت نعم قال أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك »[٣].

---

(١) هانزرشنباخ — نشأة الفلسفة العلمية ص٩٧ ترجمة دكتور فؤاد زكريا — الموسوعة العربية للدراسات والنشر — بيروت ١٩٧٩م.

(٢) الحارث الأعور وهو بن عبد الله ويقال بن عبيد أبو زهير الهمداني الخارفي الكوفي روى عن علي وعبد الله بن مسعود، روى عنه عبد الله بن مرة وأبو إسحاق والضحاك بن مزاحم. [الجرح والتعديل ج٣ ص٧٨ ر قم:٣٦٣]

(٣) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج٥ ص١٧٢ – ١٤ باب ما جاء في فضل القرآن– الحديث:٢٩٠٦ وأخرجه الدارمى – سنن الدارمي ج٢ ص٥٢٦ رقم:٣٣٣١ ، والبزار – مسند البزار ج٣ ص٧١ رقم:٨٣٦ ، وأخرج مسلم « عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » [صحيح مسلم ج١ ص١١٠ ٥١ باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن– رقم:١١٨]

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ »[1]، فإن من تمسك بهما؛ أمكنه بتوفيق من الله تعالى النجاة فى الدنيا، والسلامة إن شاء الله تعالى فى دار الآخرة.

غير أن العقل المفكر راح ينظر للأساطير من حيث نشأتها، ويبحث عن أسباب النشأة، كما بحث عن العلاقات التى تربط بين هذه الأساطير، بغية العمل على إنزالها من عرشها الذى تربعت عليه فوق عقول الناس، وتخليصهم من أثارها.

واستبدال هذه الحكايات الخرافية بحكايات صحيحة تكون قائمة على الأسس العلمية المدروسة، والتأمل العقلى، والنتائج التى تقنع العقل البشرى، وتبعد عنه أوجه الخطأ، بحيث تكون نتائجه الصحيحة هى الفيصل، والقواعد السليمة هى المعيار الأساسى، وبالتالى تكون محاربة الموروثات الفاسدة من بواعث التفلسف ودوافعه فى نفس الوقت.

---

(١) الإمام الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابورى (٣٢١/٤٠٥)هـ – المستدرك على الصحيحين – طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١١/١٩٩٠م الأولى – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. جـ١ ص١٧١ – الحديث رقم: ٣١٨، وراجع سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ١١٤ – الحديث رقم: ٢٠١٢٣. وراجع للإمام مالك – موطأ مالك ج٢ ص ٨٩٩ رقم: ١٥٩٤، وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: « تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به. كتاب الله. وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون ؟" قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت » (راجع صحيح مسلم. – باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم – الحديث رقم: ١٤٧ – (١٢١٨) من رواية حاتم بن إسماعيل المدني عن جعفر بن محمد. عن أبيه. وأخرجه الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى [٢٠٧هـ/٢٧٥هـ] (ابن ماجه) فى سنن ابن باجه (طبعة دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) – باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. – الحديث رقم: ٣٠٧٤-،) . وعن جابر بن عبد الله قال: « "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس اني تركت فيكم من إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي" » [سنن الترمذي (وشرح العلل). – مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. في الحديث رقم: ٣٨٧٤]، وروى الترمذى أيضا من نفس الباب في الحديث رقم: ٣٨٧٦- عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « "اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

السابع : تعدد الغرائز(١) والنزعات

الغريزة هى الطبيعة واالسجية القائمة فى النفس، ولذا تعرف فى علم النفس بأنها « صورة من صور النشاط النفسى، وطراز من السلوك قائم على الفطرة والوراثة »(٢)

❊ **كما تعرف فى علم السلوك بأنها** « ما تقوم فى النفس فتحركها نحو أغراض معينة، بحيث تؤدى فى النهاية غاية ما »(٣)، وهذه الغرائز متعددة طبقا للأنشطة التى تقوم بها والمناهج التى تعتمد عليها.

أما النزعات فهى ما تسوق الفرد او الجماعة إلى غاية بعينها، أو تصرفه عنها، حتى لا يقدم عليها، وهى متعددة متنوعة، كل نوع منها يتطلب ضرورة التعبير عن احتياجاته الضرورية، وطرائق تلبيتها، وعوامل الانصراف عن هذه الاحتياجات عند الإهمال لها أو التخلى عنها.

وقد خلق الله تعالى فى الإنسان غرائز عديدة، منها غريزة حب البقاء، وغريزة حب التملك، وحب الذات، والدفاع عن النفس، وحب الاستطلاع، كما خلق الله تعالى ذات الإنسان محاطا بالعديد من الدوافع الفطرية والمكتسبة، أو الأصلية والثانوية كدافع مع الجنس، ودافع المقاتلة، ودافع الحرص(٤)، وكلها متعددة على طريقة من الطرق أو ناحية من النواحى، وكذلك الحال مع الغرائز.

---

(١) غرائز أي أخلاق وطبائع صالحة أو رديئة ، واحدتها :غريزة. [النهاية في غريب الحديث ج٣ ص٣٥٩]

(٢) الدكتورة هناء محمد طه – الغرائز والحياة الاجتماعية ص١٥٢ ط١ مطبعة سعد ١٩٥٧م. كما تعرف الغريزة بأنها المغرورة في النفس كطبيعة ثابتة نها. [القاموس المحيط – باب الزاى فصل الراء وما يثالثهما].

(٣) توناباك – علم النفس والغرائز ص١٧ – ترجمة حسان ميخائيل ط دار حسان ١٩٣١م.

(٤) الأستاذ جمعة عبدالباقى خليل – العالم والإنسان ص٣٧ ط المطبعة الخيرة ١٣١٥هـ.

ولما كان الإنسان مفطورا على حب المعرفة، والرغبة فى كشف المجهول، ورفع حجب الأستار، والتعرف على غوامض الأسرار، فإنه يعمل بكل طاقته على إدراك ما بين هذه الكائنات من علاقات، إن لم تكن فى شكلها الخاص ففى شكلها العام؛ بغية الوصول إلى الحق الذى ينشده، والحقيقة التى يجد فى طلبها، والبحث عنها، أو يعمل على الوصول إليها.

وكل غريزة من الغرائز المتعددة أو دافع من الدوافع التى تكمن فى ذات الإنسان تحاول أن تتجاوز حدودها، وتقفز فوق ركبان غيرها، حتى تكون هى القاضى على السلوك، والحكم عند التنازع والاختلاف، فإذا ما كانت لها السيادة على باقى الغرائز والدوافع، أمكن لها السيطرة وحدها، والقفز فوق الساحة، دون منازعة على الأقل خلال الموقف الحاصل، او الوقت الراهن[1].

فغريزة حب البقاء تدفع الإنسان إلى التعرف على أعدائه من قوى الطبيعة أولا، كما تسوقه إلى معرفة حقيقة هذه القوى، وبيان ما إذا كانت العداوات وليدة اللحظة الحالية، أم ضاربة فى أعماق الماضى، بحيث تكون هذه العدوات بمثابة رجع الصدى[2]، فإذا أمكنه التعرف على ذلك فى شيء فنى دقيق، صار فيلسوفا.

وكذلك غريزة حب الذات فإنها تقود صاحبها إلى محاولة التعرف على الذات نفسها، والعوامل التى تقوم عليها، وطرائق المحافظة على تلك الذات فى حدود ما تسمح به الفطرة الصحيحة، وتحكم به الضرورة العقلية السليمة، ولا يخالف

---

(١) الدكتورة هناء محمد طه — الغرائز والحياة الاجتماعية ص١٥٥ .

(٢) رجع الصدى عبارة عن أثر الصوت الذى ينطلق من فم صاحبه، أو صوت ما يصدر عن فعل من الأفعال، سواء أكانت فى مادة صوتية، أم ناتج عن مادة صوتية. حيث يقول العلامة الرازى : « الصدى ذكر اليوم والصدى أيضا الذي يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها وقد أصدى الجبل و التصدية التصفيق و تصدى له تعرض وهو الذي يستشرفه ناظرا اليه قلت وقيل أصله تصدد من الصدد وهو القرب فقلبت إحدى الدالات ياء كما قالوا تقضى وتظنى من تقضض وتظنن و الصدى أيضا العطش وقد صدي بالكسر صدى فهو صد و صاد و صديان وامرأة صديا » [مختار الصحاح ج١ ص١٥١ مادة: ص د ي]

قواعد الشرع، كما يصون القيم الراقية، وذلك مما يجعل العاقل يختط لنفسه بين هذه التراكمات طريقا، ويلتمس لنفس فى دياجير الظلام نورا.

كذلك الحال مع غريزة حب الاستطلاع تلك الغريزة التى تدع صاحبها إلى معرفة الأشياء، والبحث عنها، وعلاقتها بعضها بالبعض الآخر(١)، ولأن هذه الغريزة تجوس خلال حنايا صاحبها، فلابد أن يقع فيها شيء من التكامل(٢) الذى يتلاقى فيه الشعور والوجدان بالتروع فى الحالة الواحدة المطروحة للبحث والواقعة فى نطاق التأمل العقلى، وربما تسمى بالوجدان المحرك(٣).

وغريزة حب الاستطلاع نوعان:

☆ **الأول:** حب الاستطلاع العقلى، وهو الذى أثمر الفلسفة.

☆ **الثانى:** حب الاستطلاع العملى وهو الذى انتهى إلى العلم(٤).

وتاريخ العلم يؤكد أن غريزة حب الاستطلاع هى التى فتحت للعلم أفاقا جديدة، وكشفت عن نظريات علمية لم يكن لها فى الماضى أدنى وجود، أما كيف تم ذلك؟

فالجواب: أن حب الاستطلاع دفع بالبعض إلى مراقبة بعض الحفريات، التى كانت موجودة، ومحاولة التعرف عليها، فلما أمكنه معرفة أسرارها؛ أفضت إليه بوجود كائنات عاشت قبلنا بمليون سنة على الأقل(٥).

---

(١) الدكتور عوض الله جاد حجازى ، والدكتور محمد السيد نعيم – فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص٨ الثانية.

(٢) الدكتورة ناهد صبحى قنديل – الفلسفة وعلم النفس ص١٧٥ ط ١٩٦٧/١م.

(٣) الدكتور أحمد عبدالحليم – القيم فى الواقعة الجديدة ص٢٤٣ – طبعة دار الثقافة والنشر بالقاهرة ١٩٨٩م.

(٤) جيمس جينز – الفيزياء والفلسفة ص١٥ ترجمة جعفر رجب – دار المعارف.

(٥) ج. ج كراوتر – قصة العلم ص٢٢٤ ترجمة وتعليق د: يمنى طريف الخولى ، ودكتور بدوى عبدالفتاح – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

كذلك قاد حب الاستطلاع إلى اكتشاف نظريات فى الكهرباء، من خلال ما لاحظه الإغريق القدماء من أن الكهرباء[١] يكسبه خاصية جذب الريش، وكذلك ملاحظة نوع من الحجارة كان لها القدرة على اجتذاب قطع الحديد، كما أمكن معرفة أن الحديد الذى يدلك بذلك الحجر يكتسب نفس خاصية الجذب، كذلك لاحظوا أن السمك الرعاش يصيب من يلمسه بصدمة مؤلمة.

فى نفس الوقت؛ فإن حب الاستطلاع مكن العلماء من التعرف على ظاهرة البرق، التى كان يرتعد منها الإنسان البدائى، بمجرد أن يسطع أمرها عليه، وبناء على ذلك؛ أمكنه معرفة المواد ذات القوى الجاذبة فى الطبيعة على يد وليم جيلبرت (١٥٤٠/١٦٠٣) الذى استبعد صور الخرافة والأسطورة والقوى السحرية، معتبرا إياها قصصا وهمية لا طائل من ورائها[٢].

بل إن أغلب الاكتشافات العلمية نتجت عن حب الاستطلاع الذى تحيط به المغامرة أحيانا، والرغبة فى الكشف عن المجهول أحيانا أخرى، واقتران الشهرة وذيوع الصيت، بجانب ممارسة التجربة التى أوحت بها القراءة، ودفعت إليها غريزة حب الاستطلاع.

كالحال مع إديسون[٣] الذى قرأ بالمصادفة كتابا مبسطا فى الفيزياء والكيمياء، فأثار فيه حب الاستطلاع، ودفعه لإجراء بعض التجارب البسيطة، حيث سارع إلى صيدلية البلدة التى يقيم بها، واشترى مائتى زجاجة فارغة، وبعض المواد

---

(١) هو عبارة عن مادة صمغية متحجرة لها خاصية شمعية تعرف بالراتنج.

(٢) ج. ج كراوتر — قصة العلم ص٢٢٤ .

(٣) ولد إديسون فى ولاية أوهايو بقرية تسمى ميلان، تقع على القناة التى تربط الولاية الشرقية ببحيرة ايرى بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان أجداده من الهولنديين المهاجرين، الذين كونوا لأنفسهم قومية مستقلة، وبمرور الزمن تناثروا إلى عائلات متفرقة، وعندما قامت حرب الاستقلال انضم بعضهم إلى جانب الأمريكيين، بينما انضم البعض إلى الإنجليز، وكانت عائلة إديسون ممن انضم لصالح الإنجليز، ولما تطورت الحرب لصالح الأمريكان؛ هاجرت عائلة إديسون إلى نوفاسكوشيا، لكن والده غير اتجاهه فأعلن ولاءه للأمريكان، وانضم لحركة العصيان التى ظهرت ضد الإنجليز بزعامة ماكنزى عام ١٨٣٧م فاضطرت عائلة إديسون إلى الفرار لأمريكا والإقامة، بميلان. [راجع لهنرى كوك — علماء تحت المنظار ص١٤٧ — ترجمة زكى رزق]

الكيميائية المتنوعة، والمواد الأخرى اللازمة لصناعة بطارية من نوع بطارية فولتـــا، وكان سنه حينئذ لم يجاوز سن الصبية الصغار.

استطاع إديسون توفير مصروفه اليومى العائد إليه عن طريق القيام بأعمـــال بسيطة مؤقتة، كتوزيع الخضار، ثم تحول لبيع الصحف، حيث بلغ الثانيـــة عشـــرة، وكذلك بيع الحلوى داخل محطات السكك الحديدية، بل وداخل القطارات نفسـها، وكان يشترى من حصيلة ذلك أجهزة ومواد كيميائية، ويقوم بعمل بعض التجارب على التحليل الكيميائى مطبقا القراءة التى عرفها فى الواقع العملى.

وقد دفعه حب الاستطلاع إلى إنشاء صحيفة متواضعة، يكون هو محررهـــا وطابعها وبائعها، ودفعه طموحه الشخصى لممارسة أعمال البرق التى أجادها، حـــتى أمكنه تطوير نظام التشغيل البرقى، وبعد بلوغه السادسة عشرة من عمره؛ اســـتطاع اختراع جهاز للتوقيت الآلى، يجيب على الإشارات الدورية لعمال النوبات الليليـــة، للتأكد من يقظتهم.

وحين بلغ الحادية والعشرين اخترع جهازا لتســـجيل التقـــارير الصحفيـــة السريعة، كما اخترع جهاز التلغراف الرباعى، ثم اخترع التلغـــراف الكـــاتب[١]، وهكذا ظل أمر الفتى فى الصعود مستمر، ليساهم فى بناء نوع من الحضارة أو المعرفة الإنسانية.

كما كان حب الاستطلاع دافعا لإديسون، على استخدام المنهج الســـليم، والدراسة الفنية الدقيقة، فى تطوير المصباح الكهربى[٢]، وهكذا؛ فإن أغلب النتـــائج

---

(١) عبارة عن جهاز تمثله آلة كاتبة كهربائية، يمكنها ترجمة الإشارات التى تتلقاها إلى حروف وأرقام وعبارات عادية. وكان هويجنز (١٨٣١/١٩٠٠م) قد سبقه إلى ذات الاختراع، ولكن إديسون أدخل عليه من التعديلات التي جعلته أكثر فائدة على الناحية العملية.

(٢) كان سوان J.W.SWAN ١٨٢٨/١٩١٧م قد صنع فى نيوكاسل مصباحا كهربيا كربونيا عام ١٨٦٠م، ولكنه كان سريع الاحتراق، ثم قام سير نجل بتطوير جديد، فقدم مصباحه الزئبقى المفرغ عام ١٨٦٥م، لكن سوان واصل أبحاثه حتى أمكنه تسجيل براءة مصباحه الجديد ١٨٧٧م الذى يقوم على تفريغ الانتفاخ الزجاجى من الغازات الناتجة عن اشتعال فتيلة الفحم. [راجع علماء تحت المنظار ص١٥٠/١٦٠]

العلمية والاكتشافات الحديثة، تقوم فى أغلبها على حب الاستطلاع[١]، والرغبة فى التعرف على ما يخفيه الغيب، أو يعتصم بأرحام المجهول.

فى نفس الوقت؛ فقد دلت الحركة العلمية على أن حب الاستطلاع كان حافزا لعلماء الحياة، فى اكتشاف الطبيعة الذرية للعوامل الوراثية، وأنها حقيقة مستقرة[٢]، مما دفع بعلماء الحياة لبذل الجهود المتواصلة؛ بغية معرفة الأساس الذى تقوم عليه، حيث اتضح لهم أن العوامل الوراثية، ما هى إلا جسيمات ملونة توجد على هيئة خيوط فى أنوية الخلايا الحية التى تسمى بالكروموزومات، وهى بحكم بنيتها العضوية الخاصة تقوم بالوظيفة التوريثية للصفات[٣].

على كل؛ فقد كانت غريزة حب الاستطلاع بمثابة الحافز القوى، والعامل النشط فى بناء المنهج الفلسفى، والتحرك السريع نحو التأمل العقلى، أسوة بالعوامل الأخرى، بحيث يمكن القول بأن بواعث التفلسف تتآزر فيما بينها وتتلاقى، حتى ترسم صورة الحياة فى أرقى مظاهرها، طبقا للقدرات العقلية.

ومن المؤكد القول بأن البحث العلمى القائم على التأمل العقلى، يجب أن يخضع فى كل خطواته للشريعة الإسلامية، حتى يحقق المصالح المرجوة، ويتمكن من اجتياز همزات الشيطان المتوالية، وأنات النفس الحائرة، وتكون لأبحاثه العلمية قيمة إيجابية، تخدم الإنسانية على وجه العموم.

أما إذا انطلقت غريزة حب الاستطلاع من غير مراقبة الشرع، فقد تتحول إلى صورة من صور التجسس، سواء أكانت باعتبار الآلات التى تقوم بها، أم باعتبار

---

(١) راجع لكراوتر – قصة العلم ص٢٦٥ وما بعدها، ففيها تفاصيل دقيقة وتداخلات كثيرة كلها تنبئ عن أن حب الاستطلاع والرغبة فى الكشف عن المجهول كان لها دور كبير فى المسألة .

(٢) توماس هنرى توباك – علماء الحياة ص٢٣٥ – ترجمة هانى رزق إسكندر ١٩٨٧م.

(٣) ج.ح كراوتر – قصة العلم ص٢٩١ وما بعدها، فقد تعرض لصور كثيرة فى عالم النبات والحيوان والوراثة، ومحاولة تطبيق كل واحد منها على غيره؛ بغية إيجاد علاقة تلقيحية تصلح لاستخدامها كقواعد مستجدة.

ذوات القائمين عليها، وذلك مما هو منهى عنه شرعا؛ لأنه يهتك حرمات النـــاس، ويقضى على خصوصاتهم، والله سبحانه وتعالى قد نهى عن ذلك كله.

ﷻ قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثـــم[١] ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا[٢] أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيـــه ميتا فكرهتموه[٣] واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾[٤]. « أي لا تظنوا بـــأهل الخير سوءا إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير الثانية »[٥].

فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا »[٦].

---

(١) للظن حالتان حالة تعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة فيجوز الحكم بها وأكثر أحكـام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات وأروش الجنايات والحالـة الثانية أن يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون ذلك أولى من ضده فهذا هو الشك فـلا يجـوز الحكم به وهو المنهي عنـه علـى. [الإمام القرطبـى -- الجـامع لأحكـام القـرآن الكريـم - تفسـير القرطبي ج١٦ ص٣٣٢]

(٢) وهذا نهى عز وجل عن الغيبة وهي أن تذكر الرجل بما فيه فإن ذكرته بما ليس فيه فهو البـهتان ثبت معناه في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون مـا الغيبـة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي مـا أقـول قـال إن كـان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته يقال اغتابه اغتيابا إذا وقع فيه والاسـم الغيبـة وهي ذكر العيب بظهر الغيب قـال الحسـن الغيبـة ثلاثـة أوجـه كلـها في كتـاب الله تعـالى الغيبـة والإفك والبهتان فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه وأما الإفك فـإن تقـول فيـه مـا بلغـك عنه وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه. [الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٣٤]

(٣) مثل الله الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كمـا أن الحـي لا يعلـم بغيبـة مـن اغتابـه وقال ابن عباس إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس. [الجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٣٥].

(٤) سورة الحجرات - الآية ١٢ . ويقول العلامة الطبرى: « قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثـيرا من الظن يقول نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا. وقوله إن بعض الظـن إثـم يقـول إن ظـن المؤمـن بالمؤمن الشر لا الخير إثم لأن الله قد نهاه عنه ففعل ما نهى الله عنه إثم. وقوله ولا تجسسوا يقـول ولا يتتبع بعضكم عورة بعض ولا يبحث عن سرائره يبتغي بذلك الظهور على عيوبه ولكن اقنعـوا بما ظهر لكم من أمره وبه فاحمدوا أو ذموا لا على ما لا تعلمونه من سرائره » [الإمام ابن جريـر الطبرى - جامع البيان ج٢٦ ص١٣٥].

(٥) الإمام القرطبى - الجامع لأحكام القرآن الكريم - تفسير القرطبي ج١٦ ص٣٣١ .

(٦) الإمام البخارى - صحيح البخاري ج٥ ص٢٢٥٣ - ٥٧ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر وقولـه تعالى ومن شر حاسد إذا حسد - الحديث: ٥٧١٧ ، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم ج٤ ص١٩٨٣ - ٧ باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر - رقم: ٢٥٥٩.

فالظن هنا في الآية هو « التهمة ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها كمن يتهم بالفاحشة، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد به والخيانة محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث »[١].

أضف إلى ما سبق؛ أن غريزة حب الاستطلاع ما خلت منها نفس من النفوس، أو انصرف عنها عقل من العقول، فإذا أمكن توجيهها إلى النواحى المشروعة؛ كان الخير محققا، والشر متروكا، أما إذا لم يمكن ضبطها على الشرع وموازينه؛ فإنها تتحول إلى صورة تدميرية تصيب الأمم والجماعات، كما تصيب الأفراد والهيئات، وحينئذ يكون ذلك النوع من التفلسف جريمة ترتكب فى حق الإنسانية جمعاء.

أما غريزة حب البقاء النوعى، فهى تدفع إلى احتمال كل من طرف العلاقة الزوجية للثانى، والتزام كل منهما بدوره فى النظام الأسرى، والترتيب الاجتماعى، مع أن كلا منهما قائم فى سلوكياته على رغبة طموح، باعتبار أن بقاء النوع لا تستلزمه التناسبات وحدها، وإنما يحتاج إلى الغذاء والدواء والكساء، كما يحتاج المسكن، وما يخفف من ضغوط الحياة، ويمهد لأسباب الرفاهية.

وتلك الغريزة تدفع كلا من أطرافها إلى انتقاء الوسائل النافعة، واختيار العناصر الإيجابية، مع الالتزام بمجموعة المعايير، التى تحقق استمرار النوع وتصون ذلك البقاء، على سبيل المعارضة حينا، والمعاوضة أخرى فى المهن والحرف والصناعات، ومحاولة تفهم المواقف التى تصادف طريق البحث، أو تعترض عمليات الإنجاز للوسائل والأسباب على ناحية الدقة والإتقان.

من ثم؛ فإن هذه العوائق تكون بحاجة إلى إزالتها، كما أن تلك الصعوبات تحتاج نوعا من التذليل ، وهو دور العقل المفكر، أو الفيلسوف المنظم، باعتبار أن الجسد البشرى هو مجموعة ضخمة من الخلايا[٢]، كلها تنحدر من سلف واحد، هو البويضة المخصبة[٣]، التى دارت فيها الأمشاج دورة قدرها لها الخالق العظيم جل

(١) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن الكريم – تفسير القرطبي ج١٦ ص٣٣٢ .
(٢) ريتشارد روكنز – الجديد فى الانتخاب الطبيعى ص٢٤١ .
(٣) يذكر الإحيائيون: أن بالجسم الإنسانى ثلاثيين تريليون خلية جسدية، وأن كل خلية منها بها ستة وأربعون كروموسوما، وبكل كروموسوم مائة ألف جين وراثى، وكل جين وراثى به مجموعة هائلة من الأحماض الأمينية والبروتينية والنووية، كما أن به خلايا عصبية، وبناء عليه: فالجسم الإنسانى عالم واسع كبير، وسبحان الله الخالق العظيم. قال تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [سورة الذاريات – الآية ٢١]

علاه فى الإنسان. قال تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾[١].

لكن من المفيد القول: بأن بواعث التفلسف فى جملتها تكون واقعة فى نطاق الوعى العام، والشعور بأن موضوعات البحث تتطلب نوعا من التركيز، والكثير من البحث المتجرد، حتى تكون النتيجة قائمة فى نوع من الاتحاد بين ما هو ذاتى، وما

(١) سورة الإنسان – الآية ٢. يقول الإمام القرطبى : « قوله تعالى إنا خلقنا الإنسان أي ابن آدم من غير خلاف من نطفة أي من ماء يقطر وهو المني وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة ، ونطفة جمعها نطف ونطاف. أمشاج: أخلاط مفردها مشج ومشيج، ، وأمشاج: أخلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال للشيء من هذا إذا خلط مشيج وقال ابن عباس : الأمشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة ، ويختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل. وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة. وعن ابن مسعود أمشاجها: عروق المضغة وعنه ماء الرجل وماء المرأة. وهما لونان وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء وقال ابن عباس خلق من ألوان خلق من تراب ثم من ماء الفرج والرّحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم ونحوه قال قتادة هي أطوار الخلق طور وطور عاقة وطور مضغة عظام ثم يكسو العظام لحما كما قال في سورة المؤمنون ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية. وعن أبي أيوب الأنصاري قال جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة فقال ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فإذا علا ماء المرأة آنثت وإذا علا ماء الرجل أذكرت فقال الحبر أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وقد مضى هذا القول مستوفى في سورة البقرة نبتليه أي نختبره وقيل نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار وفيما يختبر به وجهان أحدهما نختبره بالخير والشر قاله الكلبي الثاني نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء قاله الحسن وقيل نبتليه نكلفه وفيه أيضا وجهان أحدهما بالعمل بعد الخلق قاله مقاتل الثاني بالدين ليكون مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي وروي عن ابن عباس نبتليه نصرفه خلقا بعد خلق لنبتليه بالخير والشر وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال المعنى والله أعلم فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهي مقدمة معناها التأخير قلت لأن الابتلاء لايقع إلا بعد تمام الخلقة وقيل جعلناه سميعا بصيرا يعني جعلنا له سمعا يسمع به الهدى وبصرا يبصر به الهدى » [الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج١٩ ص١٢٠/١٢١]

هو موضوعى،وارتباط وثيق بين أفعال الوعى والشخص ذاته[١]، وهذا يؤكد وجود العلاقة القائمة على سبيل التبادل بين الإنسان والعالم الذى يعيش فيه، ويتأثر بمجريات الأمور معه.

❁ **وفى تقديرى:** أن دوافع التفلسف وإن اختلفت صورها، إلا أن التكامل يقع بينها، وأن الذى يقف على واحد منها لا يبرحه يكون جزءا من الفيلسوف لا كل الفيلسوف.

❁ **يقول الدكتور عبدالحليم محمود:** « إن الفلاسفة العقليين، وزعيمهم أرسطو يصدق عليهم التعبير بأنهم أنصاف فلاسفة، إذ أنهم لم يقطعوا إلا نصف الطريف الفلسفى وهو الجانب العقلى »[٢].

ولما كانت الأبحاث الفلسفية تمثل نوعا من العلم، الذى يجمع بين جنباته فروعا عديدة؛ فإن البحوث فى موضوعاتها لن تنقطع، كما أن الدراسات العلمية بخصوص الوسائل التى تقوم عليها لا تتوقف هى الأخرى بناء على أن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة.

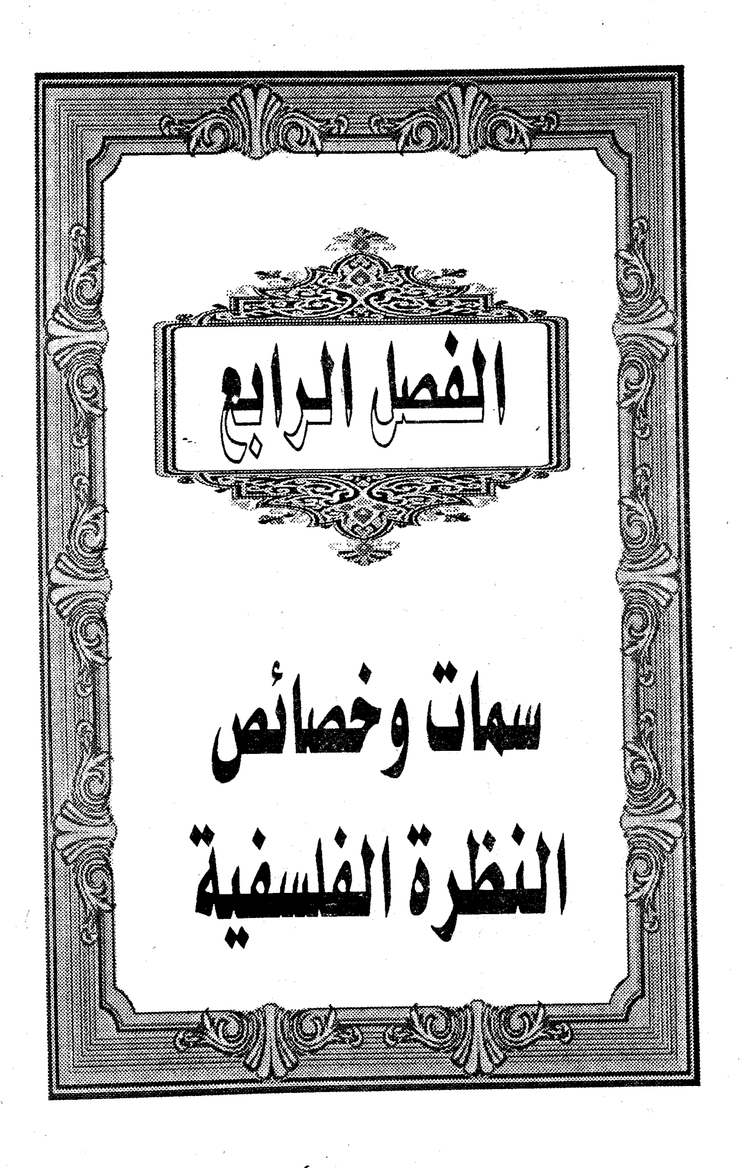
والعالم الباحث يجتهد فى سبيل تحصيل علومه ومعارفه، وذلك يوجب عليه التمسك ببواعث التفلسف كلها، والأخذ بالدوافع على كل النواحى التى يمكنه ارتيادها، سواء أكانت تلك التى أشرت إليها، أم الأخرى التى اجتهد غيرى فى الوقوف عليها. أما لماذا؟

فلما هو معروف لدى الدارسين الموضوعيين: من أن العلم الإنسانى حلقات يغذى بعضها البعض الأخر، ويأخذ بعضها بعناق البعض الآخر، كما يلقح بعضها ببعض، وذلك مما يستلزم تضافر جهود الباحثين، فى كل فروع المعرفة الإنسانية، كما يوجب عليهم اعتبار أن الشرع هو الهادى والمنظم؛ لأنه معصوم من جهة كون الباعث به هو الله، ومفيد من ناحية أن الذى بعث به هو العالم بالعلل والأدواء التى تصلح لها، فما هى سمات خصائص النظرة الفلسفية.

---

(١) الإنسان والتطور العلمى — مجلة علمية ثقافية ص١١ — إصدار جمعية الطب النفسى — السنة الثالثة يوليو ١٩٨٢م طبعة دار المقطم للصحة النفسية بالقاهرة.

(٢) الدكتور عبدالحليم محمود — الفكر الفلسفى ص١٧٨ .



الفصل الرابع

سمات وخصائص النظرة الفلسفية

لكل علم من العلوم أو فن من الفنون ما يتميز به عن غيره، ويختص به دون سواه، وهذه التمايزات تقع فى العلوم كما تقع فى الأفكار والموضوعات ، ولـذا؛ يقال: خصيصة كل شيء هى الصفة التى تميزه عن غيره، وتجعله واضحا، حتى تكون تلك الخصوصية بمثابة المميز الدقيق[١].

وطبيعة البحث فى العلوم النظرية غير طبيعة البحث فى العلوم السلوكية والعلوم التجريبية أو العلوم التطبيقية، وغيرها من العلوم التى قد تتفق فى بعض المناهج، وطرائق المعالجة، لكنها تختلف فى أصل الموضوعات، وهذا الاختلاف فى الموضوعات يستتبعه اختلاف أخر فى النتائج، يقوم فى النظرة الفنية أو النظرة الموضوعية[٢] للعلم الذى يتم البحث فيه.

والفلسفة علم معيارى فى موضوعاته، لكنه ليس معياريا فى نتائجه، باعتبار أن طبيعة الفلسفة هى بحث الموضوعات الغنية، ومحاولة الإجابة على التساؤلات المطروحة، وفتح طرائق أو ممرات جديدة، تقدم من خلالها أيضا أسئلة مستجدة، تكون بحاجة إلى إجابات مقترحة أو مفترضة، لكن يطلب البرهنة عليها.

وما كان من هذا القبيل إنما مرجعه إلى الاختلاف فى الموضوعات التى هى أساس كل علم من العلوم، بحيث يمكن القول بأن طبيعة الموضوعات فى العلوم المختلفة هى التى تفرض على الباحثين اصطناع مناهج وطرق دراسية، وصياغة لغوية فنية بما يناسب كل علم منها مستقلا[٣]، بجانب دلالة موضوعة على وجه التمايز.

والميتافيزيقا هى الأخرى كعلم قائم على التوجهات الفكرية والتأملات العقلية من حيث إثبات عقيدة الألوهية، له منحى خاص[٤]، واتجاه تقف فيه النظرة الفلسفية بين أترابها الكواعب يرقفها بعين فاحصة، ويترقبن ما يصدر عنها بعين العقل الواعية، حتى تكون بين الجميع كدرة العلاء فى مفرق الرأس، بل إنهن يتمنين

---

(١) العلامة الزمخشرى – أساس البلاغة – باب الخاء ص١٩٧ ، والمنجد فى اللغة والآداب والأعلام للويس معلوف – مادة خصص ج٢ ص٥٣، والمعجم الوجيز باب الخاء ص١٩٩.

(٢) أ.ب تاتيهوم – معالم الفلسفة ص١٣ ترجمة ناهد فؤاد ط٢ ص١٩٥٧م.

(٣) راجع كتابنا: رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٣١ .

(٤) الميتافيزيقا هى العلم الباحث فيما وراء الطبيعة، على نحو يقتضى إثبات الواجب ودلائل ذلك الإثبات، بجانب ما له من سائر الكمالات، فهى تمثل الجانب الإلهى من التفكير فى مستوياته الإنسانية. [راجع للدكتور السيد محمد نصر – الميتافيزيقا التأملية والنقدية ص١٥٣ طبعة دار الهدى مراكش ١٩٥٥م].

أن ينلن حسنها، فيكون لهن شيء من حظها، مما يرفض لهن الأقـــدار، ويدفـــع إلى التطلع؛ بغية أن يكون لهن من المجد ذراه، وينلن من العز منتهاه[١].

ولكون الميتافيزيقا أقرب العلوم إلى المباحث الفلسفية، أو هى الأقـــرب إلى حضن الأم — الفلسفة — فقد صارت خصائص النظرة الفلسفية تقترب كثيرا منـــها خصائص الميتافيزيقا[٢]، وبالتالى؛ يمكن القول بأن خصائصهما متقاربة.

لكن للنظرة الفلسفية سمات وخصائص تتميز بما يلى:ـ

الأولى: القلق والشك

والقلق: عبارة عن مؤثر داخلى، تصدر عنه تصرفات خارجية فى حركة غير مستقرة، وحال غير ثابتة، وانفعال متميز مع ترقب المستقبل، وانتظار ما سيحدث فى الغد المجهول.

والقلق الذى يبدو على الإنسان أثره نوعان:ـ

الأول: القلق الصحى:

وهو الذى يقود صاحبه لفعل شيء، أو الكف عنه تحقيقا لمصالح تقـــع للناس فى الدنيا والآخرة، كالجهاد فى سبيل الله، والســـعى فى تحصيـــل العلـــم، والإقبال عليه بهمة ونشاط، والحركة المتواصلة داخل المجتمعات الإنسانية بغـــرض تعميرها[٣].

---

(١) الدكتورة تهانى محمد علوى — محاضرات فى الفلسفة العامة ص٧٢، وكتابنا: رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٣١ .

(٢) سوف أتعرض لذكر خصائص الميتافيزيقا فى فصل أخر أو كتاب أخر متى يسر الله الأسباب.

(٣) فطالب العلم الذى يذهب مبكراً لتلقى العلم يكون لديه قدر من القلق، لكنه مؤقت وصحى فى نفس الوقت؛ لأنه يدفع صاحبه إلى فعل أمر خير. أو الكف عن أمر من شأنه أن يحقق مصلحة، ومن شأن الثانى أن يدفع إلى مضرة ناجزة أو أجله.

(٤) العلامة المناوى – التعاريف ج١ ص٤٣٦ .

وهو الذى لا يقود صاحبه إلى فعل خير، وإنما يغلب على صاحبه التردد، وانعدام المستوى والأداء السوى، وفقدان الرغبة فى المشاركة للناس أنماط حياتهم المختلفة، وهذا النوع من القلق خطر يتهدد صاحبه، كما يتهدد أمن المجتمع الذى يعيش فيه، كذلك يهدد الحياة بأكملها؛ لأنه إن مارس شيئا قام به على غير الوجهة الصحيحة، ولذلك تنشأ عن هذا القلق أمراض كثيرة، منها: الوسواس القهرى، والاكتئاب، والمانخوليا، والأمراض السيكوسوماتيك، بل والأخرى السيكوتارية والسيكولوجية أيضا.

أما الشك أيضا فهو تأرجح المرء بين رأيين أيهما يقبل، وأيهما يرفض، ويظل على ذلك الحال، فإن غلب شكه أحد الطريقين فهو الشك الراجح، وقيل: الشك الوقوف بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، وهو من شك العود فيما ينفذ فيه؛ لأنه يقف بذلك الشك بين جهتيه[٤].

* **ويعرف الشك بأنه** « ما استوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما فإذا ترجح أحدهما و لم يطرح الآخر فهو ظن فإذا طرحه فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين »[١].

* **وقال الراغب:** « اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده في النقيضين أو لعدم الأمارة، والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أم لا وربما كان في جنسه من أي جنس هو وربما كان في الغرض الذي لأجله وجد والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا فكل شك جهل ولا عكس، والشك خرق الشيء وشككته خرقته وكأنه بحيث لا يجد الرأي مستقرا يثبت فيه ويعتمد عليه»[٢].

---

(١) العلامة الجرجاني – التعريفات ج١ ص١٦٨ رقم: ٨٣٥.

(٢) العلامة المناوى – التعاريف ج١ ص٤٣٧ . ويجوز كونه مستعارا من الشك وهو لصوق العضد بالجنب وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للفهم والرأي لتخلل ما بينهما ويشهد له قولهم التبس الأمر واختلط وأشكل ونحو ذلك من الاستعارات. [نفس المصدر]

وطبيعة النظرة الفلسفية فى مراحلها الأولى: أنها تقف بصاحبها عند شواطئ القلق، وفوق لجات الشك، فإذا تركته أو تخلت عنه؛ فإن لجج الشك تتقاذفه، ومعالم اليقين تنفلت من بين يديه[(١)]، ويظل على ذلك الحال، حتى يصطفى لنفسه مشكلة من المشكلات العارضة تفرض نفسها على تفكيره، وتأخذ زمامه رغبة فى البحث عن حل.

إذن وجود المشكلة هو الأمر الذى جعل العقل يخرج عن صمته بعد هدوئه، بغرض إعادة المفكر أوراق نفسه، فيقف الفيلسوف من ذات المشكلة موقف الشك والقلق فى وجودها كمشكلة تارة، وفى قدراته على إمكانية حلها تارة أخرى[(٢)].

بل ربما سولت له نفسه أن يتساءل عن هذا الوجود للمشكلة، وهل هو وجود حقيقى يمكن التعامل معه، والبحث له عن حل، أم هو وجود خيالى أو متوهم لا وجود له على الحقيقة، وبالتالى فلا يمكن البحث له عن حل.

بيد أن غريزة حب الاستطلاع تفرض على الفيلسوف التعلق بالواقع، ومن ثم يلجأ إلى إعادة النظر فى المشكلة التى تواجهه، كما يحاول إعادة النظر فى مدى إمكانية اعتبارها مشكلة من عدمه.

فمسألة خلق الكائنات، وكيف ظهرت الكثرة عن الواحد، بل مشكلة نشأة الكون هى الأخرى مازالت بحاجة إلى بحثها من جديد، ومن ثم بدأت التساؤلات العديدة تطل برأسها حينا بعد آخر فى أشكال مختلفة[(٣)].

متى نشأ الكون؟ مم نشأ؟ إلى أين يسير؟ وما هى الخطة التى يمر بها، ما الغاية التى يسعى إليها، بل ما الغاية من نشأته؟ وظهرت أسئلة أخرى: هل توجد عوالم

---

(١) الأستاذ مرسى السيد – الأسطورة والخرافة ص٧٥ .

(٢) الدكتور عبدالعظيم توفيق زكى – الفلسفة ومشكلاتها ص١٣٢ ط أولى ١٩٥١م.

(٣) الأستاذ جمعة عبدالباقى خليل – العالم والإنسان ص٧٤ ط الدار المنيرة ١٩٤٣م.

أخرى غير هذا العالم الذى نعرفه؟ هل يمكن أن ينقل الله العالم من الصورة التى هو عليها إلى صورة أخرى تكون فيها حياة شبيهة بحياتنا[(١)]؟

كذلك ظهرت مشكلات ظاهرها الغاية البحثية، وحقيقتها الانطلاق إلى داخل القاعدة الإيمانية فى العقل نفسه، بغية التعرف على إجابات واضحة، لأسئلة فيها الكثير من الالتفات حولها بطرائق قد تكون مقبولة، وقد لا تكون مقبولة.

كالحال فى سؤال من قال: هل يستطيع ربنا أن ينقلنى من العالم؟ فإن كان يقدر؛ فإلى أين ينقلنى؟ وإن كان لا يقدر؛ فقد وقع العجز، والله منزه عن العجز؟

والجواب: أن الله تعالى يقدر أن ينقل السائل وغيره من العالم الذى نعرفه نحن إلى عالم آخر، لا نعرفه ولا يستحيل على الله تعالى شيء أبدا[(٢)].

لكن هذه المشكلات الفكرية على الناحية الفيزيائية والميتافيزيقية، حدت بالفيلسوف حتى يعمل عقله أكثر من ذى قبل، وبذل المجهود الفكرى، الذى يتاح له، بغية التمكن من تقديم حلول لما رآه من مشكلات، أو ما اعترضه من قضايا طافت بوجدانه، أو انطلقت من كل ناحية تهب أعاصيرها عليه[(٣)].

بل إن هذه المشكلات ربما أخذت الفيلسوف من تلابيب عقله، وأعماق فكره، ربما أقامت بداخله شيطان شكه، بحيث لا يستطيع الانفلات منها، وبالتالى تسمه إلى قلق لا يهدأ، وشك لم ينقطع، ومن ثم تقض مضجعه، وما مرجع ذلك إلا لما وقع فيه من قلق عنيف وشك قاتل.

---

(١) الدكتور عبدالعظيم توفيق زكى — الفلسفة ومشكلاتها ص١٥٧ .

(٢) هذه الأسئلة مما يلقى به الشيطان فى نفوس البعض. بغرض زلزلتهم عن صحيح عقيدتهم. وإسقاطهم فى حبائله الشيطانية. والبعض يعتبرها فذلكة، أو حيلة إبداعية، بغرض الإبانة عن القدرات العقلية التى يبذلها صاحبها فى الاستدلال على وجود رب البرية، ولكل وجهة هو موليها. نسأل الله السلامة فى الدنيا، والنجاة والسلامة فى الآخرة.

(٣) الأستاذ مرسى السيد — الأسطورة والخرافة ص٨١.

فكان البحث عن حلول لهذه المسائل وللمشكلات من خصائص النظـــرة الفلسفية، لكنها قائمة على أسبابها، وهى الشك والقلق، الداعية إلى إيجاد حلـــول، تكون بمثابة عناصر الإنقاذ للفرد نفسه والمجتمع الذى يعيش فيه مما يعتريه.

الثانية: التسامح الفكرى

بعض الناس تغلب عليهم سمة التعصب للجنس تـــارة، وللبـــاطل أخـــرى، وللرأى الخطل ثالثة، وهؤلاء المتعصبون يفقدون أهم خصائص البـــاحث العلمـــى، الذى لا تكون له من غاية إلا بلوغ الحق والاستمساك بالصواب، مادام ذلـــك فى رضوان الله تعالى[١].

غير أن بعض العلوم قد يتعصب لها بعض الدارسين، حيث يعتقدون صحتها وصدقها، وسلامة أدلتها مهما كانت، وربما أسرف هؤلاء، فأعلنوا أن هذه العلـــوم سالمة على كل ناحية، صحيحة على كل وجهة، مع أنها أفكار بشرية لم تخرج عـــن كونها أفكاراً ترددت على ألسنة الناقلين لها — غير المعصومين من الخطأ[٢] —.

كما أن قضاياها ما تزال قائمة على مائدة المفاوضات العلميـــة مطروحـــة للبحث العلمى، لم يقف الأمر بها عند حد البدهيات فى النتـــائج، أو البرهـــان فى الاستدلال، إذ أن الاستدلال العلمى يعطى اليقين، متى كـــانت نتائجـــه برهانيـــة، كالحال مع علم الحساب بعلاقاته الأربع[٣].

---

(١) تلك طبيعة المفكر المسلم؛ لأن الله تعالى أمر بالعدل، فقال تعالى: ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَـوْمٍ عَلَـى أَلا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.[سورة المـائدة — الآيـة ٨]

(٢) أ.ب تاتيهوم — معالم الفلسفة ص٤٥ ترجمة ناهد فؤاد.

(٣) علاقات علم الحساب هى: الجمع ، والطرح، ثم الضرب والقسمة، وهذه العلاقات تجرى فى كـل من علم الحساب والجبر فى الغالب، كما تجرى فى العلوم الكميـة والمقداريـة علـى درجـات فيـها بعض الاختلاف حينا والاتفاق فى حين آخر.

أما علم الجغرافيا والتاريخ وطبقات الأرض، بل والجيولوجيا، وعلم النفس وأمثالها، فكلها علوم ليست يقينية النتائج فى الأغلب الأعم، وبالتالى فالتمسك بكل قضاياها ينتهى إلى الإدعاء بأنها خالية من كل نقص، سالمة عن كل عجز[١]، ومثل ذلك لا يسمح لأحد حتى يتناولها بالدراسة، لا فى المقدمات، ولا فى النتائج، وهو المعروف بالتعصب للرأى.

كما أن علم الفسيولوجيا وعلم التشريح، وكذلك علم الأدوية والعقاقير والطب النفسى وغيرها، كلها علوم فيها التجربة جارية بين أعطاف البعض، ذلك ذات التجربة حاكمة بأن النتائج لم تتوقف، والأبحاث لم تنقطع، فإمساكهم بالنتائج التى بين أيديهم ليس تعصبا للرأى؛ بدليل أنهم لا يقولون: إن البحث العلمى قد انتهى، وإنما يقولون: إن البحث العلمى قد ابتدأ، وهو لا يعرف الكلمة الأخيرة[٢].

وكلما تقدمت الأبحاث العلمية فى المجالات المختلفة، فإنها تدفع أصحابها إلى المزيد من التسامح الفكرى، إيمانا منهم بأن البحث العلمى لم يتوقف، وأن العقل البشرى لم ينضب معينه، كما أن التفاوت فى العقول والتجديد فى تبدل الموضوعات يساعد ذلك كله على عدم التعصب للرأى.

وقد أنبأت الأيام حاضرها والغابر، أن أقواما كثيرين لم يعرفوا التسامح الفكرى، فضاقت نفوسهم بالرأى الآخر، مهما كانت أدلته من الوضوح أو القوة، أو هما معا واقتيد أصحاب الرأى الآخر الصحيح إلى الأغلال، يقضون فى سجونهم ما بقى لهم من أجل فى أشكال مهينة، لا تليق بالآدمى، بل إن بعضهم تجرع السم إلزاما وإكراها، كالحال مع سقراط[٣]، أو سجن طويل كالحال مع جاليليو، أو ألقى

---

(١) أ.ب تاتيهوم - معالم الفلسفة ص٥١ ، وكذلك ص٦٣/٥٧ ففيها تأكيدات على هذا الجانب.
(٢) الأستاذ التهامى محمد الخواص – العقل وغروره ص٧٣ – ط١ دار برهان ١٩٥٣م.
(٣) سقراط : هو واحد من أشهر فلاسفة اليونان ٣٩٩/٤٦٩ ق.م : ولد فى أثينا من أم كانت تعمل قابلة ، ،اب يحترف صناعة التماثيل ، وقد أحترف سقراط صناعة أبيه أول أمره ؛ لكنه ما لبث أن تحول عن هذه الصنعة إلى البحث فى الحكمة ، والتفكير فيها فى سن مبكرة ، ثُمَّ أخذ يغذى عقله علميا ، ويهذب نفسه عمليا ، وكان يعتقد أن الغاية من العلم هو العمل ؛ أتهم بإنكار آلهة المدينة والدعوة لآلهة جديدة، أو فساد عقول الشباب ؛ حكم عليه بالإعدام ، وشرب سم الإعدام وهو راض ؛ وقد مات بعد بلوغه سن السبعين –[راجع فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص٩٨/٩٢]

فى النار حتى يذوب شحمه فى لحمه، ثم تقدم بقاياه للحيوانات الضالة، كالحال مع ألبرت توهامى[١] وبرونو[٢].

كما أنبأ تاريخ الفكر الإنسانى بأن بعض رجال اللاهوت الكنسى قد سلقوا مفكريهم إلى نفس المصير، وجعلوا من القسس والشمامسة خصوما وشهودا، وحكاما، حتى كان الواحد منهم هو المدعى والشاهد والقاضى والجلاد.

وما حدث لبلتو وبرونو وجاليليو وكوبرنيقوس وغيرهم كم الشواهد على ذلك، بل ما تزال آثاره عالقة بالأذهان، حافرة لنفسها العديد من الصور فى الأفهام[٣]، التى تحمل صور العنف والإكراه، بجانب ضيق الأفق، ورفض التسامح الفكرى والإرهاب فى أشكاله المختلفة.

كذلك ساد بين بعض أصحاب النظرة العلمية شعور غير مقبول بأن مسايرة القاعدة العلمية يعتبر عملية ناجحة فكريا؛ لأنها لا تسمح لأحد بأن يمارس لونا من ألوان الخروج على القاعدة العامة التى توفر الحماية لعمليات التفكير العقلى المنظم[٤].

---

(١) سبنسر ، تشارلز بيروس – التعصب وأخطاره ص٨٣ – ترجمة فؤاد رمسيس – نشرة المعهد العلمى ١٩٨٣م.

(٢) برونو : ذلك الراهب أدى دورا فى دراسة علم الفلك. انتحى جانبا فى صومعة يتعامل مع علم الفلك، ويدون أبحاثه فى سرية تامة. وحذر من أن تصل أخباره رجال الدين، لكن ما ظنه خافيا لم يلبس أن بلغ إلى رؤسائه فما كان منهم إلا أن هددوه بإنزال أشد العقاب به. وفر من وطنه إيطاليا إلى بلد آخر يضمن فيه السلامة، ويطمئن على ممارسة أبحاثه. ورغم أنه فى بلد آخر، إلا أن الكنيسة أصدرت أحكامها عليه واعتباره عدوها الأول، ومن ثم؛ ظلت تطارده برجالها من كل ناحية، حتى تم القبض عليه وأودع السجن مدة ثمانى سنوات، فلما لم يرجع عن رأيه قررت الكنيسة إعدامه، وفى صباح الثانى عشر من يناير ١٦٠٠م ثم تنفيذ حكم الإعدام فيه حرقا. [راجع للدكتور حسن محمد مرسى: أحرار الفكر الإنسانى ص١٤٥]

(٣) الدكتور حسن رمزى يعقوب – صراع العصور الوسطى بين الكنيسة والمفكرين (دراسة وثائقية) ص١٩٥ ط أم درمان ١٩٧٥م.

(٤) هذا التصور يمثل نوعا من التعصب للرأى؛ لأن القاعدة العلمية لا تفرض بحكم قانونى، وإنما تفرض نفسها على الجميع، متى كانت أدلتها من البرهان العلمى، وتحوز اليقين ذاته، متى أمكن التجريب عليها من جديد، ومع هذا فكل قاعدة علمية فى الماضى يمكن نقضها كلها أو بعضها بقاعدة علمية فى الحاضر، طبقا لتقدم الآلات، واستحداث طرائق جديدة فى تناول الموضوعات ومعالجتها أيضا.

وهى فى ذات تفتح الباب للاجتهادات العلمية، حتى تسمو بالقضايا المطروحة، والعلوم المختلفة، كما يمكنها أن تحلق بها فوق السحاب[1].

لكن الفيلسوف الناجح والمفكر الأصيل لا يتعصب لرأى من الآراء المطروحة أبداً، إنه يبدأ فى تناول أدلتها، الواحد تلو الآخر، وبالتالى فنظرته تقوم على الحيدة والموضوعية، وهو ما يميز النظرة الفلسفية عن غيرها فى كثير من العلوم التى تعتمد على المنتج العقلى..

باعتبار أن الآراء المطروحة والقضايا المتداولة، لا تمثل سوى بعض وجهات النظر فى الفيزيقا تارة، والميتافيزيقا تارات عديدة[2]، وبناء عليه؛ فكل متعصب لمسألة أو قضية ما فى فن من الفنون، لا ينطبق عليه الوصف بأنه فيلسوف أو مفكر أصيل، بقدر ما ينطبق عليه القول بأنه صاحب رأى يتعصب له.

أضف إلى ما سبق أن التسامح الفكرى، يفسح لكل صاحب رأى مكانا، ويمنحه الفرص المتوالية، حتى يعرض رأيه، ويقدم الصور الفكرية والعلمية، بل والخيالية أحيانا، بغرض استنفاد ما لديه من مدعمات لرأيه، ومؤكدات على وجهة نظره، وذلك يعكس صورة مضيئة للحرية الفكرية، ورسم أصحابه بالتسامح الفكرى أيضا.

فإذا تمت المقابلة بين التسامح الفكرى والتعصب للرأى، فإن النتيجة الإيجابية تكون لصالح التسامح الفكرى، بينما تكون النتائج السلبية الضارة بالأفراد والمجتمعات – كما هى ضارة أيضا بالكائنات التى جعل الله الإنسان مستخلفا – فيها من نصيب التعصب للرأى[3].

---

(١) سبنسر كولز – تشارلز بيرس – التعصب وأخطاره ص٩٢ .

(٢) الدكتور منصور محمد جميل – المعرفة الإنسانية أصولها وأنواعها ص١٣٥– ط دار فؤاد ١٩٦٢م.

(٣) ذكر الإمام الغزالى فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد: « أن التعصب للرأى هو الذى أفسد على اغلب الفرق الإسلامية الاستمتاع الجيد بالتراث العلمى الإسلامى. ويضرب أمثلة عديدة لذلك. » [راجع الاقتصاد فى الاعتقاد (القطب الثالث) . وكتابنا حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد – الأفعال الإلهية ج٣ ص٨٥]

وكم من أفراد كانت لهم اتجاهات علمية متميزة، قائمة على الدليل الصحيح في العلوم التجريبية، حتى عرفوا باسم الحكماء في الإسلام[١]، كما عرفوا باسم الفلاسفة لدى أهل الإسلام حينا، ولدى غير أهل الإسلام من المنصفين حينا أخر، وكان لهؤلاء جميعا العديد من الجولات العلمية والصولات الفلسفية، ومع هذا فمن خالفهم الرأى بدليله لم يهاجموه، كما لم يعملوا على النيل منه[٢].

كما كان لبعض آرائهم الكثير من القبول، ومع هذا ربما يلجأ إلى إصلاح أوجه القصور فيه، ويقوم على ترميم الفكرة التي وقف عندها، كما يلجأ إلى تقديم المزيد من الأدلة المستجدة التي رآها ضرورية، وتدعم موقفه من ذات الفكرة المعروضة[٣].

❁ **وفى تقديرى**: أن فقهاء أهل الإسلام كانوا حكماء على لغة أهل الإسلام، وكانوا فلاسفة على لغة غيرهم؛ لأن الواحد فيهم كان لا يتعصب لرأيه، وإنما كان يقول: رأى خطأ يحتمل الصواب، ورأى غيرى صواب يحتمل الخطأ[٤].

وما كان سعيهم لذلك إلا تمسكا بكتاب الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ[٥] قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٧].

---

(١) أمثال الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد وابن باجة وابن طفيل وغيرهم من حكماء الإسلام فى المشرق والمغرب على السواء.

(٢) الدكتور فوزى السيد عز الدين – الفلسفة رؤية موضوعية ص١١٥ ط١/١٩٦٥ دار منال.

(٣) وكان مفكرو الأشاعرة من أكثر المفكرين حرصا على ذلك المبدأ، ومن يطالع المواقف للإمام الإيجى. وعليه حاشية الشيخ حسن جلبى وحاشية العلامة التفتازانى، يجد ذلك واضحا فى الشروح والحواشى، مما يؤكد أن مفكرى الإسلام تميزوا بالتسامح الفكرى، والتزام الموضوعية بجانب الحيدة.

(٤) وقد نسب هذا القول للإمام مالك بن أنس ﷺ، كما نسب لكل من الإمام الشافعى والإمام أبى حنيفة رضى الله عنهم أجمعين فى دراسات فى الفكر الإسلامى ص٢٧ للدكتور محمد زعرب.

(٥) الشنآن هو البغض قاله ابن عباس وغيره وهو مصدر من شنأته أشنؤه شنآنا بالتحريك مثل قولهم جمزان ودرجان ورفلان من جمز ودرج ورفل. [ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٧]

(٦) سورة المائدة – الآية ٨. يقول العلامة ابن كثير : « قوله تعالى ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ﴾ أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان أو عدوا ولهذا قال اعدلوا هو أقرب للتقوى أي عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه ودل الفعل على المصدر الذي عاد الضمير عليه كما في نظائره من القرآن وغيره كما في قوله وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم وقوله هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » [تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٠/٣١]

(٧) سورة النجم – من الآية ٣٢ .

إذن فكرة التسامح الفكرى سمة من سمات مفكرى أهل الإسلام، بجـــانب الاعتداد بالذات، مع المحافظة على القيم والأخلاق السليمة من غير تكبر على أحـــد أو إنقاص لقدره، أو محاولة التعامل مع الآخرين، فى غير حيدة أو موضوعية.

فإذا كان فلاسفة اليونان الأوائل من الطبيعيين الأولين، الذين اختلفـــوا فى تفسير أصل الكون، قد وقع بينهم شيء من التسامح الفكرى، فإن أهـــل الإســـلام كانوا الأكثر فى الاستمساك بهذه الفكرة إلى أبعد مدى، تحت قاعدة الاجتهاد مـــن ناحية، وقاعدة الالتزام بالثوابت الشرعية من ناحية أخرى(١).

وآية ذلك أن كل مذهب فقهى كان له واضعون هم رؤساء المذهـــب، ثم جاء خلفهم الذين اجتهدوا فيه، وشرحوا الأسس التى قام عليها المذهب، فـــإذا رأوا فى المذهب الذى يعملون به ما يحتاج نوعاً من بسط المزيد من الأدلة، أو التوســـع فى شرح دليل منها(٢)، فإنهم يسارعون إلى ذلك، دون تجريح لأحد؛ لأنهـــم تمســـكوا بقاعدة أخلاقية عمادها نحن يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

ويمكن القول بأن من خصائص النظرة الفلسفية التزام الموضوعية مع التسامح الفكرى، وعدم التعصب للرأى؛ والوقوف عند الأدلة البرهانية، بغض النظر عـــن قائليها، أو من تنسب إليهم؛ لأن التماس الحق أمر مشروع.

---

(١) الدكتور فوزى السيد عز الدين — الفلسفة رؤية موضوعية ص١٢٣ .

(٢) المذاهب الفقهية عند أهل السنة والجماعة أربعة. هى: ١- المذهب الحنفى. ٢- المذهب المالكى. ٣- المذهب الشافعى. ٤- المذهب الحنبلى. أما المذاهب الفقهية عند الشيعة فهى الأخرى أربعة: ١- المذهب الزيدى. ٢- المذهب الجعفرى. ٣- المذهب الإباضى. ٤- المذهب الإمامى الإثنا عشرى. [راجع للدكتور: محمد مصطفى إمبابى — الحركة الفقهية الإسلامية دراسة تحليلية تاريخية ج١ مطبعة الساعى بالقاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، وراجع للدكتور على أحمد السالوسى: أثـر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م]

كما أن طلب الحقيقة هو عين الحكمة، وفى الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة[١] ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »[٢]، وفى الحديث الشريف أيضا: الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها لا يبالى من أين جاءت.

الثالثة: التأمل الجاد مع المرونة

من المعروف أن الحكماء هم أكثر الناس تأملا للمواقف التى تعرض لهم، والمشكلات التى تواجههم، إذ ليس من المعقول التعامل مع المشكلات كلها فى نوع من العجلة، أو شيء من التسرع؛ لأن ذلك من سمات العجلى، كما أنه ليس من المعقول أيضا أن يكون مجرد وقوف المرء العاقل أمام مشكلة ما تحتاج منه المواجهة، تصنع منه فيلسوفا أو ينتج عنها موقف تفلسف[٣].

وإنما لابد أن تكون هذه المشكلة ذات حجم وتأثير، بحيث تدفع المتأمل إلى التفكير الهادئ المتأمل فيها تفهما دقيقاً لأجزائها، وبحثا عن حلول حاسمة حقيقية لها،

---

(١) الحكمة: هى استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصريف بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسانية، وأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان بتحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه وما عليه الواجب لتشرف بذلك نفسه، وتستكمل وتصير عالماً معقولا مضاهيا للعالم الموجود، وتستعد للسعادةو القصوى بالاخرة، وذلك بحبس الطاقة الإنسانية. [راجع كتاب تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات للشيخ الرئيس ابن سينا ص٣٠٢]. كما عرفها ابن مسكويه بانه وضع الشيء فى موضعه، كما أنها فضيلة النفس الناطقة المميزة. [راجع تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص٣٦].

(٢) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج:٥ ص:٥١ – الحديث:٢٦٨٧، وأخرجه الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج:٢ ص١٣٩٥ – باب الحكمة – الحديث:٤١٦٩ .

(٣) الدكتور عبدالعظيم توفيق زكى – الفلسفة ومشكلاتها ص١٧٧ .

ومن ثم؛ فلابد أن تثير المشكلة تفكير الإنسان، وتخضع لتأملاته التي تستهدف وضع حل لها[١] من جانب المتأمل نفسه.

بناء عليه؛ فلابد للفيلسوف أو المفكر من التأمل الجاد أولا في المشكلة، ثم النظر إليها ثانيا بموضوعية تامة، وفصل بعض المسببات لها عن بعض، حتى يتم التأكد من معرفة السبب الحقيقي لها، وكيفية التعامل مع ذات السبب، ولا يتم ذلك إلا من خلال التأمل الجاد الذي يركز فيه الإنسان على كل ناحية من نواحيها، ويعمل عقله بكل طاقة ممكنة، مع عدم التهاون في شيء مهما كان قليلاً.

كما أن ظهور مشكلة ما في حد ذاته لا يصنع فيلسوفا، وفي نفس الوقت فليس بمجرد بروز مشكلة ما إلى سطح الأحداث يمثل خبرة ورصيداً ينشأ عنهما اتجاه فكري، أو موقف فلسفي، وإنما لابد مع ذلك من قدرات عقلية عالية، وتأملات دقيقة وموضوعات تستحق الدراسة، ثم تفاعل ذلك كله، وأعني به المواقف المشتركة[٢] المتمثل في:

[أ] وجود مشكلة في حد ذاتها، تحتاج نوعا من الحسم، أو تبحث عن حلول.

[ب] الرغبة في البحث عن حلول حقيقية لذات المشكلة.

[ج] ممارسة البحث الفني الجاد أثناء البحث عن حلول.

[د] وجود موقف وسط بين المشكلة والحلول، وهو المعروف باسم التأمل الجاد والتفكير المنظم.

إذن التأمل الجاد والفكر المنظم يمثلان صلب المسألة ولب النظرية الفلسفية، بل يعتبران من خصائصها المتميزة، وكل مشكلة خارجة عن نطاق المواقف المشتركة، ليس من اليسير الحكم عليها بأنها مشكلة فلسفية[٣]، أو اعتبارها من قبيل ما يخضع للنظرة الفلسفية.

---

(١) الدكتور توفيق الطويل – أسس الفلسفة ص٢١٦ ط دار النهضة العربية.

(٢) هانزر يشنباخ – نشأة الفلسفة العلمية ص١١٣ .

(٣) الدكتور فوزى السيد عز الدين – الفلسفة رؤية موضوعية ١٣٥.

فإذا عنّت للعقل مشكلة نشأة الكون مثلا، كموضوع ميتافيزيقى، أو أصل النشأة كموضوع معرفى، أو كيفية النشأة كمادة بحثية، فإنه يقف حيالها متأملا فيها[١]، محاولاً استرجاع إمكانياته ومعارفه بالنسبة لها، وهو موقف المتأمل الجاد الهادف فى نفس الوقت.

فإذا لم تسعفه معلوماته ولا خبراته فى الوقوف على حلول لها، فقد يلجأ إلى الخرافات والأساطير، أو إلى النقل الغير مترل، وحينئذ لا يتسم فعله بالحكمة، كما يوصف بأنه فيلسوف[٢]؛ لأن الأسس التى اعتمد عليها تترع به إلى الأوهام والخرافات، وكلها لا أساس لها، وما بنى عليها أو نشأ عنها، إنما يحكم عليه بحكمها والأوصاف التى تجىء معها.

أما إذا ابتلى إمكانياته، وشحذ قدراته وملكاته، وبادر إلى رصيده فلم يسعفه ذلك كله فى إيجاد حلول للمشكلة التى تعترضه، ثم أعاد التأمل الجاد مرات،ومع ذلك لم يتقدم أمره، فإذا لجأ للشرع الشريف يأخذ من، ويعتمد عليه، ويستدل به ، فحينئذ يكون قد بلغ الحقيقة التى يبحث عنها.

وقد أمده الشرع الشريف بها؛ لأنها أعلى من إمكانياته، والبحث فيها فوق طاقته[٣]، من ثم فإن القرآن الكريم يحسم ذلك الأمر، ويؤكد على أن البحث فى هذه المشكلة ليس مما فى مقدورات العقول البشرية؛ لأنها لم تكن موجودة منذ الخلق، فكيف يتولى ذلك العقل تقديم شهادة له عليها، مع أنه لم يكن حاضراً عند خلقها.

---

(١) هناك فرق باعتبار الدراسة بين الموضوعات التى تتعلق بالنواحى المعرفية، والأخرى الميتافيزيقية، وكل منهما تختلف عن الأخرى باعتبارات متعددة. ولكل منها مناهجها الخاصة التى تدرس من خلالها.

(٢) الدكتور عبدالعظيم توفيق زكى — الفلسفة ومشكلاتها ص٢٢١.

(٣) الدكتورة هناء محمد بدوى — محاضرات فى الفلسفة العامة ص٦٥.

ﷻ قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(١).

وكذلك مشكلة حقيقة الروح الكلى العام، أو روح كل كائن مخلوق حى، وهل هى النفس أم غيرها؟! فقد واجهت العقل البشرى، وحاول التأمل فيها، والإمساك بها، والبحث عن حلول لها، ولأنها أعلى من قدرات العقول، وفوق إمكانياتها.

من ثم فالقرآن الكريم قد أشار إلى أنها من حيث الحقيقة الذاتية مجهولة بالنسبة للكائن العاقل، وهى سر من أسرار الله تعالى، ولكن من المباح البحث فى نتائجها وآثارها، بل من الممكن أن يكون هو الممثل لذات المشكلة الفلسفية، أو هو المعبر عنها.

ﷻ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾(٢).

❁ **يقول الإمام القرطبى:** « وقد اختلف الناس في الروح المسئول عنه، أي الروح هو؟ فقيل هو: جبريل، وقيل هو عيسى، وقيل: القرآن، وقال علي بن أبي طالب:

---

(١) سورة الكهف – الآية ٥١ . ويقول العلامة الطبرى : « يقول عز ذكره: ما أشهدت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض يقول ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها ولا خلق أنفسهم. ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم فأستعين به على خلقه بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني وهم خلق من خلق أمثالهم وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير. وما كنت متخذ من لا يهدى إلى الحق ولكنه يضل فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا وهو من قولهم فلان يعضد فلانا إذا كان يقويه ويعينه » [الإمام ابن جرير الطبرى – جامع البيان ج١٥ ص٢٦٣]

(٢) سورة الإسراء – الآية ٨٥ . وفى الحديث الشريف عن عبد الله قال: « بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت إنه يوحى إليه فقمت فلما انجلى عنه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتوا من العلم إلا قليلا » [الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص٥٨ – ٤٧ باب قول الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا – الحديث: ١٢٥. وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج٤ ص٢١٥٢ – ٤ باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وقوله تعالى يسألونك عن الروح الآية– الحديث: ٢٧٩٤]

هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان في كل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بكل بكل تلك اللغات يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة»[١].

وعن ابن عباس قال: « الروح ملك له أحد عشر ألف جناح وألف وجه يسبح الله إلى يوم القيامة ذكره النحاس وعنه جند من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام، وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد، وقال أهل النظر منهم إنما سألوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به وهذا شيء لايعلمه إلا الله عز وجل، وقيل: الروح خلق كخلق بني آدم وليسوا ببني آدم لهم أيد وأرجل »[٢].

والصحيح الإبهام لقوله قل الروح من أمر ربي أي هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى مبهما له وتاركا تفصيله ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز قوله تعالى[٣].

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا اختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السائلون فقط وقال قوم المراد اليهود بجملتهم، وقيل: المراد العالم كله - وهو الصحيح - وما أوتيتم وقد قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لم نؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فعارضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم الله فغلبوا وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في بعض الأحاديث كلا يعني أن المراد بقوله: ما أوتيتم جميع، وقد قيل: إن السائلين عن الروح هم قريش، حين قالت

(١) الإمام القرطبى — الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٢٣ .

(٢) الإمام ابن جرير الطبرى — جامع البيان ج١٥ ص٢٠٠ .

(٣) الإمام القرطبى — الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٢٤ .

لهم اليهود: سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة فهو نبي فأخبرهم خبر أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين، وقال في الروح قل الروح من أمر ربي أي من الأمر الذي لايعلمه إلا الله »[١].

لكن لما كانت النظرة الفلسفية أو الرؤية العلمية تتسم بالتأمل الفكرى الجاد، فإنها كذلك لا تنطلق فى قوالب صماء جامدة، وإنما تجرى فيها المرونة المتأنية، فالعلوم التى خرجت من أرحام عجلى بعد ملاحظة عابرة، أو نتجت عن تأملات فجة[٢]،وكذلك القوانين التى نادى بها أصحابها، على أنها علمية بمجرد ملاحظة عابرة، أو تجربة عشوائية، تنكبت الطريق، وحكمت عن نفسها بالوفاة عقب الميلاد؛ لأنها لم تدر بخلد أصحابها كمشكلات، كما أنها لم يقع فيها التأنى المرن، وإنما اندفع أصحابها إلى الإعلان عنها باعتبارها فتحا علميا، وما هى فى شيء من ذلك.

أما النظرة الفلسفية؛ فإنها لا تقوم على القوالب الجامدة، ولا الأفكار المعبأة، كما لا تعترف بالأحلام الوردية الخيالية، ولا بالأحكام المسبقة؛ لأن ذلك يودي بالنتائج، ثم يوقف سيرها الزاحف الهزيل على شفا جرف هار، ما أن تحاول الاستقرار عليه ألا يقع لها السقوط السريع من فوق[٣].

كما أن النظرة الفلسفية تجرى فى عالم الماوراء الحس – الغيبيات – وهذا العالم ليس من السهل الوصول إليه بأفكار مسبقة، أو نظرة خافتة، أو عقل متحجر، وإنما لابد من يسلك طريقه من التأمل الجاد الهادف المرن مع حكمة عالية.

وفى ذات الوقت؛ فإن المشكلات التى تجرى فيه إنما هى مشكلات ذات خصوصية، فليس من اليسير التعامل معها على أساس ما يتم به التعامل مع غيرها، للفرق الهائل بين هذه وتلك.

---

(١) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٢٣/٣٢٥.

(٢) راجع للدكتور محمود قاسم: المنطق الحديث ومناهج البحث أثناء الحديث عن الملاحظة والتجربة وأنواع كل منهما.

(٣) راجع كتابنا: رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٣٧ .

كما لابد فيها من معالجة خاصة، وتعامل أكثر خصوصية، يتسم كل منها بالتأمل الفكرى المتواصل، والتعامل مع كل مشكلة تطرح فى شيء من الدقة، مع الحرص الشديد، وإعادة الحسابات، واتخاذ المواقف التى تناسب كل مشكلة على حده، وكل جزء من المشكلة فى حدوده وحده، ولا يتحقق ذلك إلا بالتأنى وعدم التسرع[١]، إذ الرعونة تلقى بأصحابها فى مراتع الهلاك، إذا لم توقفهم فقط على شواطئ الندم.

ولما كانت النظرة الفلسفية تعرف التسامح الفكرى، ورفض التعصب للرأى، فإن صاحبها لا يبرم بالآراء الأخرى – حتى لو كانت عنيفة فى المخالفة، حادة فى التعبير عنها – وإنما يلجأ الحكيم والفيلسوف إلى اصطناع اللولبية، حين يستقبل آراء الآخرين بجانب المرونة، مع سعة الصدر والتسامح.

وحينئذ ينظر لكافة الآراء بمنظار واحد، ويضعها كلها فى دائرة واحدة[٢]، لا يقدم رأيا على غيره، بناء على قائله، وإنما يقدم الآراء طبقا لأهميتها الذاتية، ونتائجها التى جاءت عليها، ثم الموضوعات التى تعالجها.

إذ ليس من المعقول أن يترك المفكر مشكلة رئيسية، ثم ينهض لمعالجة أخرى تابعة لها، أو لاحقة لبعض من العرضيات، أو الثانويات؛ لأنه إذا التفت إلى الثانوية، وترك الأصلية؛ فإن النتائج ستكون متضاربة، باعتبار أن معالجة الأصول تسبق معالجة الفروع.

كما أن الأصول هى الأسس وشأن المفكر الالتزام بها والدقة فى معالجتها، لكن لا يتم ذلك كله إلا من خلال نظرة موضوعية فيها التأمل المتواصل، والمرونة الفكرية مع الموضوعات المبحوثة، وعدم إهمال شيء من الآراء المتخالفة أيضا[٣].

---

(١) هانزريشتباخ – نشأة الفلسفة العلمية ص٨١.

(٢) الدكتور فوزى السيد عز الدين – الفلسفة رؤية موضوعية ص١٦٥.

(٣) الأستاذ التهامى محمد الخواص – العقل وغروره ص٧٧ .

◈ **وربما يتساءل المرء:** لماذا التأكيد على ضرورة استعمال التـــودة والمرونـــة مــع المخالفين فى الرأى، بالنسبة للمفكر الفيلسوف، أليس من الأجـــدر أن يواجـــه المخالفين له بالشدة، حتى يرتدعوا، طالما كانت الأدلة لصالحه، والنتائج تنـــهض لدعواه[(١)]؟

والجواب: أن النظرة العاقلة تفرض على صاحبها مراعاة الاعتبارات الفكرية لـدى الآخرين، باعتبار أن كل رأى صحيح يمثل لصاحبه حقيقة فكرية، كمـــا تمثـل رصيداً علميا قام على أسس سليمة، وبالتالى فكل صاحب رأى – إن لم ينـــل حظه من المرونة والتؤدة، سيتمسك برأيه، ويتحول من متســـامح فكـــرى إلى متعصب بغيض، لا يمت للبحث العلمى الموضوعى بصلة.

ليس معنى هذا أن كل الأفكار الصحيحة مقدسة معصومـــة، أو أن كـــل الأفكار الهزيلة نالت شرف الالتزام بها، إذ فى الأفكار ما هو صحيح فى غالبه الأعم، وفى بعضها ما هو فاسد فى غالبه الأعم، بل فيها ما هو صحيح كله لقيام البرهـــان عليه، وفيها ما هو فاسد كله لقيام الدليل على بطلانه، والذى يميز بين هذه الأنـواع كلها لابد أن يلتزم الموضوعية، ويمارس الفكر المتأنى، ويصطنع الروية بجانب المزيـــد من التأنى والمرونة المتواصلة[(٢)].

إذ من ذا الذى يملك الحكم على الآراء المطروحة بأنها سطحية أو جيـدة، أو يقرر أنها ساذجة، أو هزيلة من غير فحص لها، أو تعرف على جزئياتها، ثم وزنها بدقة شديدة، حتى لو كانت مخالفة له فى الرأى، إلا إذا كان موسوما بالتسرع، أو تنطوى داخل فؤاده الرغبة فى إدانة الآخرين.

---

(١) البعض يزعم أن كثرة التأكيد على شيء، تدل على فقدان الثقة فيـه، أو افتقـاد الأسس التـى قـام عليها، ولست أوافقهم هذه المزاعم.

(٢) يستوى فى ذلك أن يكون المميز بينها هو الموضوع أو المفكر. المهم أن تكون النتائج لصالح الصواب، حتى لو تم ذلك عن طريق الاندفاع إليه.

ومثله لا يكون صاحب تفكير منظم، بل ولا عقلية تستوجب احترام ما يصدر عنها، ناهيك عن السوءات التي ستنكشف بالنسبة لذلك المتسرع نفسه، أما إذا تعرض لها بتؤدة وموضوعية، وعالج مسائلها في حكمه مع الدقة، فإن حكمه يكون مقبولا على ناحية علمية[١].

وقد أثبتت الأيام أنه إذا اختلف عاقلان في تناول موضوع واحد، كان لكل منهما ما يمكن أن يستفيد منه قرينه، باعتبار أن كلا منهما يمكن أن يكون قد تناول الموضوع المطروح من زاوية غير التي تناوله منها زميله، زبرصيد معرفي مخالف للرصيد المعرفي بالنسبة للآخر، وبالتالي فاختلافهما يكون اختلاف التكامل والبناء، لا اختلاف التناقض والهدم[٢].

ومتى أمكن ضبط الإنسان على قاعدة التأمل الفكرى، والتأني مع المرونة؛ استطاع الوصول إلى نتائج متميزة على النواحي الإيجابية، ولذا كان توجيه القرآن الكريم بالنعي على أولئك العجلى الذين يغفلون عمدا قاعدة التأمل الفكرى.

ﷻ قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[٣].

---

(١) الدكتور فوزى السيد عز الدين — الفلسفة رؤية موضوعية ص١٧٧ .

(٢) ولذا فالفلسفة تعتبر بناءه من هذه الناحية، كما يعتبر الفلاسفة من معلى البناء الفلسفي. مادام أمر التناول للمسائل العلمية يقوم عندهم على ناحية موضوعية. ولذا فالفلسفة والفلاسفة أو الحكمة والحكماء هم الصفوة على الناحية العقلية، متى كان التزامهم العقلى وتأملاتهم الفكرية منطقية من الأسس الشرعية أو قائمة عليها.

(٣) سورة محمد — الآية ٢٤ . يقول الطبري : « يقول تعالى ذكره أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون أم على قلوب أقفالها يقول أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر » [جامع البيان ج٢٦ ص٥٧]ويقول الحافظ ابن كثير : « يقول تعالى آمرا بتدبر القرآن وتفهمه وناهيا عن الإعراض عنه فقال أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها. أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء » [تفسير القرآن العظيم] وفى السنة هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال« تلا رسول الله صلي الله عليه وسلم يوما أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به ثم » [تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص١٨١، وجامع البيان للطبرى ج٢٦ ص٢٨]

﴿١٧٩﴾

ﷻ وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

۞ **يقول الإمام الطبري:** « معناه لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ولا يعتبرون بها حججه لرسله فيعلموا توحيد ربهم ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر، ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته فيتأملوها ويتفكروا فيها فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها، آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها ولكنهم يعرضون عنها ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون.

وقد وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له. و قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون يعني جل ثناؤه بقوله أولئك كالأنعام هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأنعام وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح وما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما فشبههم الله بها إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه، ثم قال بل هم أضل يقول هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد ذهابا عن الحق وألزم لطريق الباطل من البهائم لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضار وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح، والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية مع ما أعطوا من الأفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارها فالبهائم منها أسد وهي منها أضل كما وصفها به

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٧٩ .

ربنا جل ثناؤه، وقوله أولئك هم الغافلون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفـــت صفتهم القوم الذين غفلوا يعني سهوا عن آياتي وحججي وتركوا تدبرها والاعتبـــار بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها لا البهائم التي قد عرفها ربها مـــا سخرها له «[١].

أضف إلى ما سبق أن التأمل الفكرى مع المرونة لابد منهما للنظرة الفلسفية؛ لأنها تقوم على الموضوعية المتحررة البعيدة عن العواطـــف الغـــائرة وأحكامـــها، والانفعالات المندفعة وسلطاناتها، والغرائز المندفعة وثوراتها، وما كان من هذا القبيـل الذى يشوه جمال الحقيقة، ويطمس معالم البرهان.

ومتى أمكن معايشة الوقائع فى هدوء وعقلانية، مع الاتزان والبحث الهـادف المتوازن؛ أمكن الوصول إلى نتائج صحيحة، وهو شأن المفكر المتأمل، وطبيعة العقلية المتأنية المرنة، إنها ترتفع بعقل صاحبها فوق الوله وعبادة الأشخاص، وتسبح به بـين طبقات الحقيقة، حتى يجاوز مؤثرات هذه وتلك[٢]،وكثير من الناس الذين يزعمـون قدرتهم على التفلسف لا يستطيعون التخلص من سيطرة غرائزهم عليهم، وكبـــح سلطان عواطفهم أثناء إصدار الأحكام التى يعلنون عنها.

بل إن الغالبية العظمى ممن يدعون التفلسف، أو ينسبون أنفسهم إلى الفلسفة يسقطون ضحايا هيمنة مشاعرهم عليهم، وفرض انفعالات سلطانها حولهم، وأمثـال هؤلاء لا يمكن الحكم عليهم بأنهم فلاسفة، أو فى طريق التفلسف يسيرون، ولا يمكن قبول أفكارهم كموضوعات تستحق الدراسة، أو أن توضـــع فى ميـــدان النظـــرة الفلسفية؛ لأنها تفتقد التفكير الموضوعى، وليس لها رصيد من المرونة المتأنية[٣].

۞ **وفى تقديرى**: أن أى موقف ينحاز بصاحبه إلى التسرع، أو يفضى به إلى بعـــض النتائج الصحيحة، أو ينقلب معه إلى معادة الحقائق، لهو موقف غير مقبول، بـــل

---

(١) الإمام الطبرى – جامع البيان ج٩ ص١٣٠/١٣٣.

(٢) الدكتورة هناء محمد بدوى – محاضرات فى الفلسفة العامة ص٧٣ .

(٣) راجع فى ذلك كتابنا : رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٣٧ وما بعدها.

إن شئت قلت: هو لا يمثل سوى جزء من موقف لا حسبان له، ولا اعتداد بـــه، وإنما يمكن التعامل مع صاحبه على أنه ضعيف العقل، ناقص الأهليــــة، يحتـــاج تحريك عقله إلى البدهيات من جديد.

وآية ذلك ما حدث عنه القرآن الكريم في كثير من القصص القرآني، مـــن ذلك قوله تعالى عن الخليل إبراهيم[1] عليه السلام: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إلا كَبِــــيرًا لَّــهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا

---

(١) ذهب قاموس الكتاب المقدس إلى أن اسم إبراهيم معناه إبرام بورهام أى جمهور وهو ابن تارح مـن نسـل سـام بـن نـوح، وقـد عـاش إبراهيـم الجـزء الأول مـن حياتـه مـع أبيـه واخوتـه فـي (أور) الكلدانيين. وقد تزوج من ساراى. وكانت أخته بنت أبيه وليست بنـت أمـه. وبعـد مـوت أخيـه هاران رحل مع زوجته وتارح أبو لوط ابن أخيه من أور ليذهبوا إلى أرض كنعان. [راجـع قـاموس الكتاب المقدس ص١٠/٩] . وفي السنة النبوية المطهرة عن أبي هريـرة رضـى الله عنـه عـن النـبي صلى الله عليه وسـلم قـال: « يلقى إبراهيـم يـوم القيامـة أبـاه عليـه الغـبرة والقـترة » [الإمـام البخـارى – صحيـح البخـاري ج: ٤ ص: ١٧٨٧ [٢٥٩] بـاب ولا تخزنـــي يـــوم يبعثـــون – الحديث: ٤٤٩٠]. وعن أبي هريرة عن النبي صلـى الله عليـه وسـلم قـال: « يلقى إبراهيـم أبـاه فيقول يارب أنك وعدتـني أن لا تخزنـي يـوم يبعثـون فيقـول الله تعـالى أنـي حرمـت الجنـة علـى الكافرين » [الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٧٨٧ [٢٥٩] بـاب ولا تخزنـي يـوم يبعثون – الحديث: ٤٤٩١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلـى الله عليـه وسـلم قـال « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيـم ألم أقـل لـك لا تعصيني فيقول أبوه فـاليوم لا أعصيك فيقـول إبراهيـم يـا رب إنـك وعدتـني أن لا تخزيـني يـوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقـال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقـى في النـار » [الإمـام البخارى – صحيح البخـاري ج٣ ص١٢٢٣ – الحديـث: ٣١٧٢] وهـو خليـل الرحمـن حيـث قـال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾ [سـورة النسـاء – مـن الآيـة ١٢٥] والخليـل أقـرب أحبتـك إليك الذى تخصه بألفتك ويخصك بمثلها، والمعنى أى جعله صفوة لـه وخصـه بكراماتـه. [راجـع محمد سليمان عبـدالله الأشـقر – زبـدة التفسـير مـن فتـح القديـر ص١٢٣ – ط٣ طبعـة شـركة ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٨م]

أأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـــذَا فَاسْـــأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾(١).

فهم أصحاب عقائد(٢) فاسدة، وعبادة باطلة، ويدعون أنهم أصحاب مواقف

---

(١) سورة الأنبياء – الآيات ٦٣/٥٨ . يقول صاحبا تفسير الجلالين: « فجعلهم بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم جذاذا – أى فتاتا – بفأس، إلا كبيرا لهم، علق الفأس في عنقه؛ "لعلهم إلى الكبير يرجعون، فيرون ما فعل بغيره. قالوا بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فيه. "قال بعضهم لبعض: "سمعنا فتى يذكرهم" ويعيبهم يقال له إبراهيم. "قالوا فأتوا به على أعين الناس" أي ظاهرا لعلهم يشهدون عليه أنه الفاعل. قالوا له بعد اتيانه أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال ساكتا عن فعله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم عن فاعله إن كانوا ينطقون فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها » [تفسير الجلالين ج١ ص٤٢٦]

(٢) تعرف العقيدة فى الاصطلاح بأنها هى ((الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا. وقبل كل شرع، إيمانا لا يرقي اليه شك، ولا تؤثر فيه شبهة))(الإمام الأكبر شيخ الإسلام / محمود شلتوت – الإسلام عقيدة وشريعة ص٩ – دار الشروق – الطبعة السادسة عشر ١٩٩٠م) . وتعرف أيضا بأنها هى ((مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والنظرة يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره، جازما بصحتها، قاطعا بوجودها وثبوتها. لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون، وذلك مثل اعتقاد الإنسان بوجود خالقه)) [الشيخ أبو بكر الجزائرى – عقيدة المؤمن ص٢٠ – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى ١٩٧٧م) . أو « هى ما يؤمن به الإنسان ويعرفه مهما بعدت به تلك المعرفة أو ذاك الإيمان عن الحقيقة والواقع »(الدكتور / محمد بيصار – العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ص١٤ – ط الثالثة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م) .وتعرف بأنها « هى التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة. فهى بمعنى الإيمان، يقال : أعتقد فى كذا أى أؤمن به وأصدقه، سواء أكان حقا أو باطلا »(الشيخ / سيد سابق – العقائد الإسلامية ص١٠ – الطبعة الثالثة – دار التراث العربى – الناشر دار الكتب الحديثة) . وتعرف أيضا: « هى رباط معنوى يربط المسلم بربه، وهو رباط لا تحله أزمة مادية، ولا اضطهاد بشرى »(الشيخ / محمد الغزالى – عقيدة المسلم ص٥ – دار الدعوة – الطبعة الثالثة ١٤١١هـ) . أو « هى هذا المبدأ الذى يتمسك به صاحبه ويؤمن بصوابه دون الاستناد إلى دليل »(الدكتور / على عبدالحليم محمود – مع العقيدة والحركة والمنهج، فى خير أمة أخرجت للناس ص٢٠ – دار الوفاء –ط الأولى ١٩٩٢م) . وتعرف بأنها « العقيدة هى الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له من التوحيد والطاعة »(الدكتور / ناصر عبدالكريم العقل – مجمل أصول أهل السنة فى العقيدة ص٥ ١٩٩٢م)، أو هى « الإيمان بحقيقة معينة إيمانا قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل، أو هى ما يؤمن به الإنسان ويراه عن اقتناع قلبى أكبر . والعقيدة الدينية هى ما يؤمن به معتقده من أفكار وأراء وتصورات معينة تتصل بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما تتصل بالحياة الدنيا والآخرة »(الدكتور / عبدالغنى عبود – العقيدة الإسلامية والأيدلوجيات المعاصرة ص١٢ – الطبعة الثانية) .

متميزة، مع أنهم ينكرون البدهيات، ويحاربون الفطرة التى خلقهم الله عليها[١]، وهى التوحيد الخالص لله رب العالمين لقوله تعالى: ﴿ " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ " ﴾[٢].

فلما وصل بهم الحال إلى إنكار ذلك كله، كان طريق خليل الرحمن معهم إعادتهم إلى البدهيات، بل فعله كبيرهم هذا، فسألوهم إن كانوا ينطقون، فلما وقفوا من أنفسهم على أنها لا تنطق، فقد كان الأحرى بالعقلاء الناطقين أن يتوجهوا بالعقيدة الصحيحة والعبادة لله رب العالمين. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣].

مما سلف اتضح أن التفكير الجاد المنتظم، والتزام المرونة العقلية مع سعة الصدر، والتأنى فى إصدار الأحكام تعتبر من سمات النظرة الفلسفية فى جانبها التأملى والنقدى معا.

---

(١) حيث إن الله تعالى قد أخذ عليهم العهد وأشهدهم على أنفسهم فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. [سورة الأعراف – الآية ١٧٢].

(٢) سورة الروم – الآية ٣٠ . يقول العلامة الطبرى: « يقول الله تعالى ذكره فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته وهي الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله التي فطر الناس عليها يقول صنعة الله التي خلق الناس عليها ، وقال ابن زيد في قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك وقرأ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال فهذا قول الله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين بعد. وقوله لا تبديل لخلق الله يقول لا تغيير لدين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل » [العلامة الطبري – جامع البيان ج٢١ ص٤٠/٤٢]

(٣) سورة يوسف – الآية ٦٣ .

الرابعة: الذاتية والتأقيت[1]

النظرة الفلسفية تتعلق بالمفكر نفسه؛ لأنها ترجمة عن ناتج موقف تعرض المفكر إليه، باعتبار أن كل فيلسوف يولى اهتمامه بتفكيره هو، لا بتفكير غيره، باعتبار أن الفكر مسألة شخصية ذاتية، تدور مع المفكر، وكل تفكير إنما يعكس الصورة الداخلية لصاحبه[2]، كما يعتبر الترجمة البارزة، والعلامة الناطقة بما يعتمل داخل فؤاده.

وكلما كان فكر الفيلسوف خاصا به؛ انعكس على سلوكه، بحيث يمكن القول بأن النظرة الفلسفية توسم بشخصية الفيلسوف وثقافته، فى الوقت الذى يباشر مهامه فيه، كما تكون معبرا عن ثقافته التى يتعامل بها، وظروفه التى يعايشها حتى تنشأ بين أحضانها فلسفته[3].

ولأن النظرة الفلسفية مقيدة بذات الفيلسوف، فهى شخصية ذاتية، لكنها لا تكون على تلك الحال طيلة العمر، وإنما يحدث لها من التبديل ما يحدث للفيلسوف نفسه، فإذا كان الفيلسوف هادئ الحياة، رغد العيش، مستقر الوجدان، منضبط العواطف؛ فإن فلسفته هى الأخرى تكون كذلك[4].

أما إذا كان قلقا مضطربا؛ فإن فلسفته هى الأخرى تكون كحالة تماماً، ومن الأمثلة على ما ندعيه فلسفة العبث أو اللامعقول، وهى الأفكار التى تبناها أشخاص

---

(١) ربما يقال على هذه السمة :إنها شخصية مؤقتة كبديل للفظى الذاتية والتأقيت والمعنى واحد، كما أن المفردات متقاربة فى البناء اللفظى.

(٢) راجع كتابنا: قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٩٨.

(٣) الأستاذة فاطمة محمد حندس — الفلسفة ومفاهيمها ص٤٧ طبعة دار الهدى ١٩٦١م.

(٤) باعتبار أن الفيلسوف إنسان له مشاعر وأحاسيس، وله ظروف خاصة به. وليس قطعة من الحجر، أو آلة تعمل من خلال الضغط عليها أو تحريك تروسها.

فيهم قلق لا يهدأ، وهواجس تبين عن نفسها، ورغبة الانفلات عن كل قيم، حتى لو كان الداعي إليها والمطالب بالتمسك بها هو الدين[١].

وكذلك فلسفة توماس هوبز[٢] ومن قبله فرنسيس بيكون[٣]، وجاسندى، وهيوم، وغيرهم من أصحاب الأسماء التي امتلأت بها ساحات الفكر في أوربا، والفلسفة العلمانية والوضعية المنطقية، بل والاجتماعية والطبيعية[٤] وأمثالها، فإنها جميعا جاءت معبرة عن اتجاهات القائلين بها. فكأنها الصورة المثلى الداخلية لما يعانيه كل واحد منهم، سواء عبر ذلك بلغة العبارة المنطوقة أو الكتابة المقروءة، أم عبر عنه بلغة الإشارة إليه[٥].

ولما كانت كل فلسفة تحمل ملامح فكر صاحبها، فقد نسبت إليه؛ لأنها المعبر عن شخصيته، بل إنها في الأغلب الأعم تقترن باسمه، فمنها فلسفة الكندي[٦]،

---

(١) الدكتور محمود عبدالمتولى يسرى — دراسات فلسفية ص٥٣ .

(٢) راجع للأستاذ يوسف كرم — تاريخ الفلسفة الحديثة. وللدكتور فوزى خالد — الفلسفة الحديثة ص١٥٣.

(٣) راجع كتابنا: خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة ص٢٢٩ وقصة الفلسفة الحديثة وغيرهما مما تعرض لتراجم الفلاسفة.

(٤) أقسام الوضعية وأنواعها متعددة. ولكل نوع منها المتعلقون بـه. الذين يعتبرون أنفسهم كوادر تدافع عنه، وتعمل على تثبيته.

(٥) الدكتور محمد محمود صبرة– الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص٧٥.

(٦) الكندى: « هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن محمد شعث بن قيس الكندى من قبيلة كنده العربية الأصيلة ؛ التى يمتد أمرها فى الجاهلية والإسلام ،إذ أن نسبه يمتد فى الماضى ، حتى يصل إلى يعرب بن قحطان من العرب القدامى . وكان أجداده ملوكاً لذات القبيلة . عرف بأنه فيلسوف العرب . وأول فلاسفة الإسلام . وكان متبحراً فى فنون الحكمة . وسائر العلوم ، وكثير من الصناعات والمعارف ؛ ولد فى ١٨٥هـ ، وتوفى ٢٥٧هـ ». [راجع الفهرست لابن النديم ص٢٥٥ ، وحكماء المشرق للدكتور سامى نصر ص٢٥ ، والكندى فيلسوف العرب للدكتور مصطفى عبدالرازق]

وفلسفة الفارابى[1]، وفلسفة ابن رشد[2]، وابن طفيل[3]، وغيرهم فى محيط العـــالم الإسلامى، وفلسفة بيرى، وبيرس، وكانت وديكارد وغيرهم فى محيط العالم الغربى.

و نظرا لكون الفيلسوف ابن بيئته، يتأثر بها ويتفاعل معها، فقد كانت نظرته الفلسفية كذلك وقتية، تتأثر بظروف الفيلسوف، والوقت الذى عاش فيـــه، كمـــا يغلب عليها مواصلة النظر فى الاتجاه العام السائد آنئذ، فإذا لم تتأثر بالظروف الـــتى

---

(١) الفارابى : « هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ . ونسب لفاراب إحدى الولايات الفارسية القريبة من الحدود التركية . وكان أبوه فارسيا . وأمه تركية . وقد ولد غالبا فى ٢٥٩هـ . شغل أبوه منصبا قياديا فى الجيش التركى . وحبب إليه السفر والترحال . وكان ابنه على شاكلته ؛ غير أنه تميز بقدرات عقلية أوسع . مكنته من التعرف على ثقافة عصره فى شتى جوانبها . وأمكنه أن يشارك فيها بكل قوة . ويترك آثارا متعددة فى كافة النواحى المعرفية . وبخاصة العقلية . بجانب الروحية . وعرف بالمعلم الثانى . توفى عام ٣٣٩هـ ؛ بعد أن ترك رصيدا ضخما من العلوم والمعارف » . [راجع فى ذلك وفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ . والتفكير الفلسفى فى الإسلام للدكتور عبدالحليم محمود . والفلسفة الإسلامية للدكتور إبراهيم مدكور . والجانب الإلهى للدكتور محمد البهي].

(٢) ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى . ولد سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م . فيلسوف من أهل قرطبة. صنف نحو خمسين كتابا منها : (التحصيل. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. تهافت التهافت. بداية المجتهد ونهاية المقتصد مناهج الأدلة) . كان دمث الأخلاق حسن الرأى. ويلقب بابن رشد الحفيد تمييزا له عن جده أبى الوليد محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٢٠هـ . توفى ابن رشد الحفيد سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م . [راجع الأعلام للزركلى ٣١٨/٥ . وراجع للدكتور محمد الغزالى أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص٨٧/٧١]

(٣) ابن طفيل : « هو أبو بكر محمد بن عبدالملك بن محمد بن طفيل القيسى . ولد فى غرناطة فى أوائل القرن السادس . وتمكن من العلوم العقلية والإسلامية . وكانت له اتجاهات عديدة قام بها خدمة لدين الإسلام . وللعلم والمباحث العقلية . وكانت له علاقة بابن باجه . وهو من أهم العلامات الفكرية المتميزة فى الفكر الإسلامى بالأندلس والمغرب » - [راجع المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى . وروضات الجنات للخوانسارى . ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للعلامة أحمد بن محمد المقرى] .

ظهرت فيها، وتؤثر فى المجتمع تأثيراً إيجابيا فعالاً، لم يكن من اليسير إطلاق اسم الفلسفة عليها[1].

من ثم فقد أخطأ الذين قالوا: إن الفلسفة تعيش فى برج عاجى، بعيداً عن الحياة المحيطة بالفيلسوف، وغير خاضعة لمعايير الوقت[2]، بل الصواب عكس ذلك؛ لأن الفلسفة الحقة تعايش المجتمع معايشة تامة، من كل ناحية، كما تعمل على إيجاد حلول لمشاكله التى يمكنها التعرض لها، وبذل أقصى مجهود فى تقديم الحلول المناسبة لذات المشاكل، ومن ثم فإن نتائجها تكون واقعية.

أضف إلى ما سبق أن النظرة الفلسفية لما كانت وقتية، فقد ساعد ذلك الكثير من الفلاسفة على مراجعة آرائهم والتخلى عن بعضها، لعدم مسايرتها روح العصر الذى يمكن قراءتها فيه، أو التخلى عن الآراء التى تم اعتناقها فى ميعة الشباب وشرخ الرجولة، واندفاع الإقبال على المباهج وذيوع الشهرة وبعد الصيت، فلما تقدمت بهم السنون، ونالت منهم التجارب، وانطبعت خبراتهم عن طريق الاحتكاك المتواصل، أضيف ذلك كله إلى أرصدتهم الطويلة وخبراتهم الثقافية، وقدراتهم العقلية، حتى أكسبهم ذلك قدرات جديدة وثقافة جديدة أيضا[3]، فتمكنوا بذلك كله من تعديل مواقفهم السالفة، والتخلى عن بعض الآراء التى سبق التمسك بها، وقد كانت فى الماضى القريب محل قبول وترديد.

دليل ذلك: أن كلا من الإلياذة والأوديسيا لكل من هوميروس وهيزيود فبالرغم من أنها مقطوعات شعرية، إلا أنها لم تكتب كلها فى وقت واحد، وإنما كتبت فى أوقات مختلفة، فكان من جراء ذلك أن تنازل كل منهما – هوميروس وهيزيود – فى قصائدهما عن بعض الآراء التى ألمح إليها فى صدر قصيدته[4].

---

(١) الأستاذ محمد محمود صبرة– الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص٩٣ .

(٢) الأستاذ صبحى حسن رزق – الفلسفة ومشكلات البحث ص٥٣ – ط دار فؤاد ١٩٥١م.

(٣) الدكتور طه محسن نبوى – فلاسفة اليونان ص١٥٩ ط١ دار الكرنك ١٩٦١م.

(٤) الدكتور لطفى السيد لطفى – أرسطو وفلسفته ص١٨٢ ط دار الحرية ١٩٥٥م.

كذلك أفلاطون فى جمهوريته أول أمره، كان يميل إلى القول بضرورة إعـدام الأطفال الزائدين عن الحاجة، وكذلك الضعفاء والمرضى، كأنه ليس لهؤلاء نفـــوس يجب احترامها، ثم عدل عن ذلك إلى القول بأن النفس أشرف من الجسم، فيجب أن يحسب لها حساب قبل النفع المادى والقوة البدنية(١).

ولا شك أن الاتجاه الأول كان سائدا فى فكر أفلاطون، لكنه عدل عنـه إلى غيره، بل إنه نادى بعكسه تماماً. أما لماذا؟ فلأنه فى أول أمره كان مندفعـــا بثـــورة الشباب، لكنه فى الثانى فقد كان ملتزما حكمة الشيوخ.

❁ **وفى تقديرى**: أن الفيلسوف لا يمكن أن يكون مندفعاً فى أفكاره علـــى طـــول الخط، لما سبق القول به من ضرورة التأنى فى إصدار الأحكام، كما لا يمكـــن أن يكون تابعاً لغيره، بحيث يكون ذلك الغير هو الموجه له، المسيطر على إمكانياتــه؛ لأن ذلك يفقده النظرة السليمة(٢).

كما أن رسول الله ﷺ قال:« لا تَكونوا إمَّعَةً(٣) تقُولونَ إنْ أحسَنَ النَّـــاسُ أحسناً وإنْ ظَلَموا ظَلَمنا ، ولكنْ وطِّنوا أنفُسكُم إنْ أحسَنَ النَّاسُ أن تُحسنُوا ، وإنْ أسَاءوا فلا تَظلِموا »(٤) .

كذلك نادى أرسطو بضرورة عزل القوى الإنسانية عن بعضها، وكان ذلك منه بمثابة المؤشر لبناء فلسفة تحليلية، غير أنه ما لبث أن تراجع عن ذلك كله، معلنـــا

---

(١) الدكتور عوض الله حجازى ، والدكتور محمد السيد نعيم – فى تاريخ الفلسفة اليونانية ص١٤٢ .

(٢) الأستاذ محمد محمود صبره – الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص٩٧ ط مكتب الأندلس ١٩٤٧م.

(٣) الإمَّعة بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رَأي له، فهو يُتابع كل أحد علـى رَأيـه، والهـاء فيـه للمبالغة. ويقال فيه إمّع أيضاً. ولا يقال للمرأة إمّعة، وهمزته أصلية؛ لأنــه لا يكـون أفْعَـل وصفـا. وقيل هو الذي يقول لكل أحد أنا معك.- [راجع النهاية فى علوم الحديث لابن الأثـير – المجلـد الأول – حرف الهمزة – باب الهمزة مع الميم]

(٤) سنن الترمذي (وشرح العلل)، للإمام الترمذي – بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِحْسَانِ والعفو – الحديث رقـم: ٢٠٧٥ ، وروايته « حَدَّثَنَا أبو هشامٍ الرِّفاعيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ فُضيـلٍ عـن الوليـدِ بـن عبـدِ اللهِ بـن جُميعٍ عن أبي الطُّفَيل عن حُذيفةَ قال: ... »

أن قوى الإنسان وبخاصة النفسية يصعب جداً فصل بعضها عن بعض فصلا حقيقيا؛ لأن الجواهر لا تنفصل عنها أعراضها فصلا تاما[١].

ولكنى أرى فى العبارة صورة من الصور التى يمكن أن تكون فيها العجلة؛ لأن قوى النفس غير القوى الإنسانية، وبالتالى فالحكم بالغيرية يؤدى حتما إلى القول بأن هناك تداخلات قد حدثت فى تصوير رأى أرسطو، أو النقل عنه.

أما أفلوطين فقد أعلن تمسكه باللوغوس أو العقل الكلى والروح السارية فى الكون كله أول أمره، ثم عدل عن ذلك إلى القول بأن لكل فكرة عقلا انطلقت منه، وروحا ساعدتها على الطيران بها مع التحليق وهكذا عدل عن موقفه السابق إلى موقفه اللاحق[٢].

وبالتالى فالنظرة الفلسفية تجرى فيها الذاتية، وتعبر عن الوقتية، ويبلغ التأقيت فيها أعلى الدرجات، أما التأبيد فهو نادر الوجود، باعتبار أن الأفكار البشرية لا عصمة فيها[٣]، كذلك الحال مع كل فيلسوف مبدع، فإنه متى اقتنع بفكره؛ دافع عنها، فإذا بان له فى وقت من الأوقات أن دفاعه عنها لم يكن صوابا، تخلى عن ذلك الذى أعلن عنه وتمسك به، و لم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما ربما تجاوزه إلى الطعن على ما سبق له إعلانه والدفاع عنه.

الخامسة: تراكم الخبرات وحركة الضمير

ما من شخص عاش فى مجتمع، إلا اكتسب منه بعض ثقافته، وكل مفكر إنما يأخذ من ذلك المجتمع الثقافات التى تموج بذات المجتمع. أما لماذا؟ فلأن المفكر

---

(١) الدكتور لطفى السيد لطفى – أرسطو وفلسفته ص٢٨٥ ط أولى دار الحرية ١٩٥٥\٢م.

(٢) الدكتور طه محسن نبوى – فلاسفة اليونان ص١٧٣ ط دار الكرنك ١٩٦١م.

(٣) وقد أنبأت أحوال الأمم والشعوب أنه ما من مفكر تمسك بفكره حينا من الزمان، إلا جاء فى المستقبل وقرر: لو أنه يملك التراجع عن بعض الآراء التى اعتقدها لفعل، بل أن الكثيرين منهم ربما مارسوا ذلك فى بعض الأوقات، ثم تراجعوا عن ذلك بمجرد إتاحة الفرصة لهم.

الحكيم الفيلسوف لا يولد مفكراً، إنما يولد خالى الذهن، خالى المعارف، لا خبرة له بشيء، ثم يكتسب ثقافته وخبراته وتجاربه عن طريق التعامل مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه[١].

وكل فرد تمثل الثقافات التى يكتسبها مجموعة من المعارف والخبرات التراكمية[٢].

وحين يحاول الدخول بأفكاره التى حصلها إلى ميدان التجربة – حتى يحتكم إليها ويتأكد من صدقها – فلابد له من معامل تجريبية يجرى فيها تجاربه، ولكنه فى الميتافيزيقا لا يتمكن من إدخالها ميدان التجربة، وإنما يكون بحاجة إلى الخبرات المتراكمة؛ لأنها تمثل الرصيد الأمن لثقافته، كما تحمل بعض المفاتيح التى بها يتمكن من عرض المشكلة المواجهة له من خلال عملية تقييم للأنشطة المختلفة على الناحية التأملية[٣].

من ثم؛ فإن كل ثقافة تعتبر هى المخزون السلعى للأفكار، أو بعبارة أخرى هى الرصيد الاستراتيجى لذات الأفكار التى ينادى بها المفكر، أو يدعو إليها، وبخاصة أن أغلب تجاربه حضرت لذاتها فى صدره مكاناً[٤]، وسبق عرضها على العقل كمشكلات فلسفية تبحث عن حلول صحيحة.

ومن المؤكد أن المفكر فى تاريخه الطويل كان دائما يقوم بعملية تنقيه لأفكار من يتعاملون معه، بحيث يستبقى الجيد ويترك الهابط، أو يتمسك بالذى تقوم عليه الأدلة، ويتخلى عن الذى لا دليل قويا من ورائه، وحينئذ تكون أفكاره الاحتياطية قد تنازل عن بعضها، وأمسك بالبعض الأخر.

---

(١) راجع لهنرى باغور – العقلية والفروق الفردية ص١٧٧ ط١٩٥٧/٢م ترجمة صبحى رياض.

(٢) الأستاذ: نور الدين محمد ضبع – الفلسفة الاجتماعية ص١٥٣ .

(٣) هناك فرق بين الميتافيزيقا التأملية التى تقوم على التزام الإيمان بالغيب، والميتافيزيقا النقدية التى تقوم على التجربة والتفكير فى المحسوسات.

(٤) الأستاذ نور الدين محمد ضبع –الفلسفة الاجتماعية ص١٥٧ .

وهذا الجانب الذى تم التنازل عنه، إنما اكتشف الحكيم عـدم الرغبـة فى التمسك به[1]، وبجانب أن الأفكار التى نادى بها ودعا إليها قد يتم التنـازل عـن بعضها لعدم صلاحيتها فى استمرار التمسك بها، فإنه يتمسك بـالذى اسـتمرت صلاحيته كرصيد فكرى أخر من الضرورى الاستناد إليه فى الحياة.

لكن التجارب السابقة هى الأخرى تمثل جانبا من جوانب الخبرة الثابتـة، والأرصدة الفكرية المتميزة، ومن ثم فهى تصلح لأن تكون ميزانا دقيقا تعرض عليـه وتوزن به الآراء وتعرض عليه المسائل المستجدة، فيميز بتجاربه وخبرته المعـروض عليه من مسائل ومشاكل جديدة، فربما كانت عنده الحلول السريعة لها، وقد تطـول فترة البحث عن حلول، وربما استبقى بعض نتائج تجاربه[2]، وذلك شأن الفيلسـوف وصاحب الحكمة الواعية.

وبناء عليه؛ فإن تراكم الخبرات وحركة الضمير، يدفعان العقل إلى ممارسـة دوره فى معالجة المسائل، وطرح مشكلات جديدة، باعتبار أن الخـبرة والتجربـة يحتاجان حركة الضمير الذى يستأنف عملية البحث والتنقيب عن الأفكار على وجه الدوام، وذلك مما يتميز به العقل الواعى والنفس الذكية، و الفؤاد المتطلـع لنيـل الدرجات العليا[3]، وفى نفس الوقت فإن ما يضاف إليه من أفكار وقضايا وحلـول للمشاكل يدخل دائرة الخبرة، بحيث تتسع له، ويصير جزء من طبيعـة الفيلسـوف نفسه.

على أن الموقف الفلسفى أو النظرية الفلسفية، إنما يتميزان بقابليتهما لتبـدل الآراء المطروحة على سبيل التنحية لها كلها، وهو التنازل أو الإلغاء، مـتى كـانت

(١) الدكتور خيرى عبدالسميع صبرى – دراسات فى الفلسفة العامة ص١٣٥ ط١٩٥٧/١م.

(٢) هنرى باغور – العقلية والفروق الفردية ص١٩٣.

(٣) هذه الامتيازات، إنما يقوم بها العقل الواعى الذى يمسـك بـه الفيلسـوف لا يبرحـه، لأن طبيعـة الفيلسوف الإقبال المتزايد على المعارف والإمساك بها.

الخبرة أو التجربة ترفضها[1]، أو على سبيل التعامل معها والتمسك بها، متى كانت الخبرة تقبلها وتمسك بها..

ولأن النظرة الفلسفية لدى المسلم لا تخضع للعاطفة والغريزة، وإنما تقوم على الاسترشاد بتعاليم الوحى، ونداء العقل السليم والخبرة الناضجة، والضمير الحى، فإن ما تتناوله يجيء على ناحية فيها الكثير من صدق النتائج، ودقة الملاحظات فى كل موضوع أو مسألة يقع عليها التناول.

ففكرة الخلاء[2] والملاء ميتافيزيقية فى تصوراتها، فيزيائية فى موضوعاتها، فلما تناولها أصحاب اتجاهات مختلفة جاءت إجاباتهم فى الأغلب الأعم، واقعة تحت تأثير الأفكار السابقة، أو المعلومات غير الموثقة[3]، فقدم كل إجابته على ناحية استعذبها أو استراح لها.

أما الحكيم المسلم فقد فحص المسألة برمتها تناولها موضوعاً، كما تعرض لها كجزئيات بحثية، مفرقا بين كل منهما فى الدراسة، حتى انتهى إلى أن كلا منهما يمثل

---

(١) الدكتور خيرى عبدالسميع صبرى – دراسات فى الفلسفة العامة ص١٥٧.

(٢) الخلاء: هو البعد المفطور عند أفلاطون والفضاء الموهوم عند المتكلمين أي الفضاء الذي يثبته الوهم ويدركه من الجسم المحيط بجسم آخر كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء في داخل الكوز فهذا الفراغ الموهوم هو الذي من شأنه أن يحصل فيه الجسم وأن يكون ظرفا له عندهم وبهذا الإعتبار يجعلونه حيزا للجسم وباعتبار فراغه عن شغل الجسم إياه يجعلونه خلاء فالخلاء عندهم هو هذا الفراغ مع قيد إلا يشغله شاغل من الأجسام فيكون لا شيئا محضا لأن الفراغ الموهوم ليس بموجود في الخارج بل هو أمر موهوم عندهم إذ لو وجد لكان بعدا مفطورا وهم لا يقولون به والحكماء ذاهبون إلى امتناع الخلاء والمتكلمون إلى إمكانه وما وراء المحدد ليس ببعد لا لانتهاء الأبعاد بالمحدد ولا قابل للزيادة والنقصان لأنه لا شيء محض فلا يكون خلاء بأحد المعنيين بل الخلاء إنما يلزم من وجود الحاوي مع عدم المحوي وذا غير ممكن. [الإمام الجرجاني – التعريفات ج١ ص١٣٥ رقم:٦٦٣] و الخلاء: هو المكان الذي لا ساتر فيه من بناء أو غيره، والخلوة محادثة السر مع الحق حيث لا أحد ولا ملك، والجلوة خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية. [العلامة المناوى – التعاريف ج١ ص٣٢١]

(٣) الدكتورة تهانى محمد علوى – محاضرات فى الفلسفة العامة ص٩٥ .

الفكرة على ناحية، كما يمثل واقعاً حقيقيا على ناحية ثانية، أو باعتبار أخر، فكانت حلوله للمسألة فيها الدقة مع سلامة الأحكام.

... قضية إثبات تناهى اللانهائى، كان الرياضيون ينظرون إليه على ... أن اللانهائى ماله أول، ولكن لا أخر له، وظلوا يدافعون عن هذه الفكرة، ... ن أن يقيموا عليها دليلاً عمليا؛ لأنهم ركزوا على اللانهائى، من حيث المفهوم فى الكم المنفصل وحده[١].

لكن لما استجابوا لنداءات الخبرات المتراكمة، وأصغوا لصوت الضمير المتمكن من الصدور، عدلوا فى أطراف الفكرة عندما تصوروا انطباق اللانهائى فى المفهوم الكمى المنفصل على الأرقام الحسابية والرموز الجبرية، وكلها أرقام وهمية اخترعها العقل على سبيل الفرض الذى يتم التعامل معه، بناء على ذات الفرضية.

لكن الفروض العلمية لم توافقهم على أن اللانهائى ماله أول، ولا أخر له، وإنما لابد من مراعاة علاقة ذلك فى الكم المتصل. فإذا فرضنا وجود أكثر من لانهائى أحدها رياضى عددى حسابى[٢]، والثانى طبيعى، والثالث هندسى، فإذا جعلنا نقطة البداية عند الجميع واحدة؛ فإن النتائج تكون غير صحيحة لاختلاف كل منها فى طبيعته، ولكن لابد من النظر إلى كل منها فى مجموعته.

فإذا افترضنا وجود لانهائيين حسابيين، ونقطة البداية فيها واحدة، وهى رقم (١) مثلا، ثم حذفنا من أحدهما على سبيل الخصم منه، وهو الطرح عددا كبيرا، وهو رقم ١٠٠٠ مثلا، فهل يكون الذى خصم منه متساويا مع الذى لم يقع عليه الخصم؟!

---

(١) الأستاذ نور الدين محمد ضبع – الفلسفة الاجتماعية ص١٥٩، وراجع للدكتور لطفى السيد لطفى: أرسطو وفلسفته ص١٨٨.

(٢) الأرقام الحسابية أعداد ذهنية، قامت فى الواقع على سبيل التجريب، ثم قام العقل بتجريدها، فصار وجودها الذهنى هو المعبر عنه، كما صارت هذا الوجود الذهنى لها هو المتعامل به معها.

كان جوابهم في الماضي: نعم يتساويان، باعتبار أن اللانهائي مهما قطع منه فهو أيضا لا نهائي، ولكن العقل المنطقي والفكر الفلسفي أرجعهم إلى الصواب، باعتبار أن هذا القول فيه مخالفه للواقع العلمي؛ لأن الناقص وهو الذى خصم منه لا يتساوى مع الزائد الذى لم يخصم منه، والعقول الصحيحة تدرك ذلك تماما، وتعلم البداهة أن الزائد لا يتساوى بالناقص.

مثال ذلك:

[أ]	لا نهائي	لم يقطع منه شيئا	.....	.....
[ب]	لا نهائي	قطع منه ١٠٠٠	مقطوع	١٠٠٠
[جـ]	لا نهائي	قطع منه ١٠٠٠٠٠٠	مقطوع	مليون

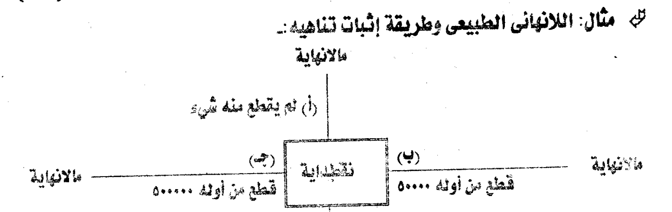
فالعقل مهما كان مستواه من التفكير متى نظر إليها؛ أدرك هلى سبيل الجزم بأن كلا منها لا يتساوى مع الأخر، بل لابد من القول بأن أحدها قد نقص من أعداده هذا الرقم، بينما هو موجود على سبيل الزيادة في الثاني، أما الثالث فكان النقص فيه أكثر من سابقيه، ولا يمكن القول بأن الثلاثة يقع بينها التساوى أبداً.

وكذلك إذا افترضنا وجود لا نهائيين طبيعيين[1] ممتدين في الوجود إلى مالا نهاية، فإذا قطعنا من أحدهما عددا من الكيلومترات، و لم نقطع من الثاني، فإن الذى قطع منه هذا الجزء صار ينقص عن الثاني بجملة ما قطع، فإذا نظرنا إلى الجزء المقطوع؛ أدركنا أنه صار متناهيا، له أول وأخر، باعتبار أن ما له أول وأخر يكون متناهيا، والقاعدة أنه إذا قطع من اللانهائي جزء متناه صار الكل متناهيا، وما يجرى من تناه للجزء؛ فإنه يجرى على الكل فرضا[2].

(١) الأستاذ رمزى حسن هلال – النسبية وفروضها ص١٧٣ ط١/١٩٥٧م.

(٢) هذا القطع على سبيل الفرض. وليس على سبيل الحقيقة؛ لأن هذه المساحات تم التعامل معها على سبيل الفرض أيضا من ناحية الإثبات. وبالتالي فمن ناحية الحذف أو الزيادة يكون الأمر قائما على الفرض أيضا.

مثال: اللانهائى الطبيعى وطريقة إثبات تناهيه:-



والملاحظ ان هذه النقط الأربع يطلق على كل واحد منها أنه لانهائى فى الطبيعة، لكن الأربعة مختلفة، من حيث الزيادة والنقصان، إذ أن اللانهائى (أ) لم يقطع منه شيء لا من أوله ولا من وسطه، بينهما اللانهائى (ب) قطع من أوله مساحة خمسون ألف كم من نقطة البداية، أما اللانهائى (جـ) فقد قطع منه مساحة ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة ألف كيلو متر من أوله، لكن اللانهائى (د) فقد قطع منه مساحة مليون كم، وكلها من منطقة البداية.

ولا شك أن الذى نقص منه مساحة أيا كانت لا يتساوى مع الذى لم ينقص منه شيء أبداً، فإذا قيل: إنهم مع النقصان والزيادة يتساوون كانت المسألة تحمل الخطأ من كل جانب، والمغالطة على كل ناحية؛ لأن فيها مساواة الناقص بالزائد الذى لم يقطع منه شيء، ولا يقول بذلك صاحب تفكير مستقيم.

أما إذا قيل: إنهم غير متساويين وأن المقطوع منه مساحة صار أنقص من الذى لم يقطع منه شيء بمقدار ما قطع منه، فقد دل الأمر على أن الذى قطع منه هو الذى تناهى، ولما كانت المتماثلات يجرى فيها ما يجرى على بعضها، فقد دل الأمر أيضا على أنهم جميعاً متناهون، ضرورة أن ما يجرى على الجزء يجرى على الكل[١] - من باب أولى -.

---

(١) راجع فى ذلك كتابنا: حبو الوليد فى علم التوحيد ص١٦٨ .

- كما ثبت ضرورة الاتفاق على سريان حكم الجزء على الكل من ناحيـــة، وأن المتماثلات في كل شيء تحكمها قاعدة ثابتة وأحكام واحدة، بحيث ينتهي القول أمرين:

☆ **الأول:** أن كل الكائنات تتناهى حقيقة أو حكما واقعا عمليا، أو فرضا ذهنيا.

☆ **الثاني:** أن الذى لا يتناهى واحد، هو الله الخالق العظيم جل علاه، يقر بذلـــك كل من الفطر السليمة، ويعلنه صوت العقل الصحيح بجانب وحـــي الوجـــدان وتناجى الضمير، وتقف الخبرة والتجربة الصحيحة مؤكدة عليه.

كذلك الحكم على خيرية الأفعال أو قبحها[(١)]، فإنه متى نظر الغُر إلى الأفعال الصادرة عنه؛ مهما كانت سلبية حكم على أنها خيره، فمن سرق لإطعام الفقـــراء، والإنفاق على المساكين، أو كفالة الأيتام، ربما ظن أن فعله حسن، فحكـــم عليـــه بالخيرية، وقد ينساق إلى توجيهات بعض ممن لديهم مزاعم فكرية.

لكن عند التأمل والمراجعة الدقيقة، يتضح أن هذه الأفعال ظاهرها الخـــير، بينما هى قائمة على الشر من كل ناحية، إذ السرقة عمل إجرامى يحـــد مرتكبـــه، والعائد منه حرام، وبالتالى فالإنفاق من عائده فى أوجه الخير لا يعتبر عمـــلاً خـــيراً أبدا[(٢)]؛ لأن العبرة بالأسس التى قامت عليها.

وفى الحديث الشريف: عن أبي هريرة ﷺ قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمـــر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل الســـفر

---

(١) انظر خيرية الأفعال وقبحها فى الفعل الإنسانى (رسالة دكتوراة) للزميل الفاضل مجدى محمد عطالله. وكذلك الفعل الإنسانى بين المتكلمين والفلاسفة والأخلاقيين للزميلة سنير عبدالرحمن عبده (رسالة ماجستير) بكلية البنات جامعة الأزهر بالقاهرة ٢٠٠٢م.

(٢) راجع للأستاذ نصر محمد طنطاوى – الفعل الإنسانى والفعل الإلهى ص١٥٧ ط١/١٩٥١م.

أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك »[1].

كما أن من أهمل رعاية بيته، وَراح يراعى بيوت غيره، تاركا واجبه الشرعي متعلقا بما فيه الشبه[2]، وما يجيء على ناحية التنفل وأعمال الخير التي لا تسبق عمل الواجب، وإنما تعقبه، فإنه متى نظر إلى ما قدمه أو يقوم به، فربما حكم على فعله بأنه صواب، لكنه إذا رجع إلى صوت الحق وغمزات الضمير الخي؛ فإنه سيدرك عاقبة ما فعل، وأنه لا ثواب له في القيام بعمل محرم، وتركه الواجب الشرعي.

ﷻ قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[3].

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج٢ ص٧٠٣ – الحديث: ١٠١٥ ، وأخرجه الترمذى – سنن الترمذي ج٥ ص٢٢٠ – رقم: ٢٩٨٩ ، والدارمى – سنن الدارمي ج٢ ص٣٨٩ – ٩ باب في أكل الطيب – رقم: ٢٧١٧ ، والبيهقى – سنن البيهقي الكبرى ج٣ ص٣٤٦ – ٩٨ باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله تعالى بالصدقة ونوافل الخير رجاء الإجابة – رقم: ٦١٨٧

(٢) وفى الحديث النعمان بن بشير قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقي المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » [الإمام البخارى – صحيح البخاري ج١ ص٢٨ – ٣٧ باب فضل من استبرأ لدينه – رقم: ٥٢، وأخرجه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج٣ ص١٢١٩ – ٢٠ باب أخذ الحلال وترك الشبهات – رقم: ١٥٩٩] وأخرج الطبرانى عن نافع عن بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الحلال بين والحرام بين فدع ما يريبك إلا ما لا يريبك » [الإمام الطبرانى – المعجم الصغير ج١ ص٤١ – رقم: ٣٢]

(٣) سورة فاطر – الآية ٨ .

أضف إلى ما سبق: أن البعض قد يهمل فى إصابة الحق، والسعى إلى ما شرع الله تعالى، ويترك لنفسه هواها تعتقد فيه وتتبعه دون التزام بشرع الله فينتهى الأمر معه إلى الكفر بدل الإيمان، وحينئذ يندفع فى دائرة الهلاك يحيط به الخسران.

ﷻ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾(١).

مما سبق اتضح أن تراكم الخبرات، وملاحظة خلجات النفس، وأنات الوجدان، وهمسات الضمير، كلها تأخذ بالعقل السليم والفكر الناضج إلى حيث تقع له النظرة الصحيحة، فتستقر فى أعماقه العقيدة السليمة والعبادة الحقة، والأخلاق السامية الرفيعة، وأن ذلك كله يمثل الرصيد الحقيقى، حتى ينتمى ذلك المفكر إلى

---

(١) سورة الكهف - الآيات ١٠٣/١٠٦ . وعن مصعب بن سعد قال: « سألت أبي فى قوله تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾ هم الحرورية. قال: لا هم اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ وأما النصارى كفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين » [الامام البخارى - صحيح البخاري ج٤ ص١٧٥٨ - (٢١٨) باب قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا- رقم:٤٤٥١]. وأخرج الحاكم فى المستدرك بلفظ عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: « قلت لأبي هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الحرورية هم قال لا ولكنهم أصحاب الصوامع والحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم » [المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٠١ - رقم:٣٤٠٠] وأخرجه بلفظ عن مصعب بن سعد قال: « كنت أقرأ على أبي حتى إذا بلغت هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا. قلت يا أبتاه أهم الخوارج قال لا يا بني اقرأ الآية التي بعدها أولئك الذين حبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال هم المجتهدون من النصارى كان كفرهم بآيات ربهم بمحمد ولقائه وقالوا ليس في الجنة طعام ولا شراب ولكن الخوارج هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون » [المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٠٢ - الحديث:٣٤٠١]

أصحاب النظرة الفلسفية، كما يجعل نفس المفكر يتنامى فى رحاب الموقف الفلسفى سواء بسواء.

السادسة: إعادة تقييم الأحكام والقواعد السابقة

من طبيعة النظرة الفلسفية عدم الانصياع إلى الحكام المسبقة، إلا إذا كانت برهانية كما لا تنظر إلى تلك الأحكام، إلا نظرة المودع لشيء لا يفكر فى الرجوع إليه، أو التفكير الجاد المنظم فيه[1]، أما لماذا ؟

فلأن النظرة الفلسفية تضع الأمور والأحكام السابقة غير البرهانية موضع الشك والريبة، أو موضع القلق والترقب، وتطرح الموضوعات أو المشكلة ذاتها فى أتون الظن والتردد، ومن ثم فإنها تلغى من حسبانها تلك الأحكام، وتسقط كل يقين زائف كان لها[2]، باعتبار أن الأحكام المسبقة متى اعتبرت صحيحة، فإن المشكلة المستجدة لا يكون لها من وجود.

وغرض الحكيم من ذلك أن يتجرد من العواطف وهيمنتها، والغرائز وسلطانها، والأحكام المسبقة وسيطرتها، حتى إذا صدر عنه حكم فى الحال أو الاستقبال كان حكما صحيحا، غير قائم على أى لون من ألوان الضغط الفكرى، الذى تقود إليه الأحكام المسبقة متى وقع الاعتقاد فيها، أو التزم باحث فكرة التمسك بها[3].

بيد أن بعض الأحكام المسبقة قد يتناقلها الناس على أنها حقائق، لمجرد أن بعض أصحاب الأسماء اللامعة قالوا بها، أو أعلنوها، وقد حذر الله تعالى من اتباع الهوى فى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ

---

(١) الشيخ عبدالمعطى قطب العقيلى — دراسات فى الفلسفة ص١٩٥ ط١٩٤٧/١م.

(٢) ذلك شأن الفيلسوف الحقيقى، أما ذلك الذى ينسب نفسه للفلسفة، فلا يمكن حسبانه فى عداد الفلاسفة.

(٣) راجع كتابنا: رياض الأشواك فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٣٦/٣٧ .

تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾[1].

❁ **يقول صاحب الكشاف**[2]: «شبه الله عز وجل من يتبعون أهواءهم بالأنعام، فإن قلت كيف جعلوا أضل من الأنعام؟ قال: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وتتجنب ما يضرها، وتهتدى لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان، الذى هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذى هو الشرع الهنى والعذب الروى»[3].

---

(١) سورة الفرقان – الآيتان ٤٣/٤٤ . وفى التفسير قال العلامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره : « ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ أي مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه. كما قال تعالى: ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن اللّه يضل من يشاء ﴾ الآية. ولهذا قال ههنا: ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾؟ قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول. ثم قال تعالى: ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ﴾؟ الآية. أي هم أسوأ حالاً من الأنعام السارحة. فإن تلك تفعل ما خلقت له. وهؤلاء خلقوا لعبادة اللّه وحده، وهم يعبدون غيره ويشركون به. مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم. » [راجع تفسير ابن كثير – ج٢ ص٣٢١ – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ]

(٢) الإمام الزمخشرى هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى الخوارزمى. العلامة النحوى اللغوى. المفسر شيخ شيوخ المعتلة المعتزلة. وصاحب التصانيف الكثيرة، وله فى تفسير القرآن الكريم مؤلفات من أشهرها (الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) ولد سنة ٤٦٧هـ. توفى سنة ٥٣٨هـ، [سير أعلام النبلاء جـ٢٠ ص١٥١. طبقات المفسرين للداودى جـ٢ ص٣١٤، وراجع مناهل العرفان فى علوم القرآن للعلامة الزرقانى ج٢ ص٧٠ – طبعة دار الفكر ١٤١٦هـ – بيروت لبنان وبهامش الكشاف الإنصاف للشيخ أحمد السكندرى، والكافى لابن حجر العسقلانى].

(٣) العلامة الزمخشرى – تفسير الكشاف – ج٣ ص٩٤

۞ **ويقول الإمام البيضاوى**(١) : « إن من يطيع هواه، ويبنى عليه دينه، لا يسمع ولا يبصر دليلا، فهل تكون عليهم حفيظا عن الشرك والمعاصى؟ هل تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون فتجرى لهم الآيات والحجج، فتهتم بشأنهم وتطمع فى إيمانهم، فهؤلاء كالأنعام فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات فى آذانهم، وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات، بل هم أضل سبيلا من الأنعام؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه سبحانه وتعالى »(٢).

۞ **ويقول أحد الباحثين** : « فى الآيات إعلام أن الناس فى جهل بالمنافع، وقلة نظر فى العواقب، فهم مثل البهائم، بل هم أشد من البهائم غفلة، من حيث لهم فهم، وقد تركوا استعماله فيما يخلصهم من عذاب الله والأنعام، لا سبيل لها إلى فهم المصالح »(٣).

۞ **وقال الطاهر بن عاشور**(٤): « ووجه كونهم أضل من الأنعام، أن الأنعام لا يبلغ بها ضلالها إلى إيقاعها فى مهاوى الشقاء الأبدى؛ لأن لها إلهاماً تتفصى به عن

---

(١) البيضاوي: الإمام القاضي أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي ثن البغدادي الحنفي أخو قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لأمه، سمع أبا جعفر بن المسلمة وأبا الغنائم بن المأمون وأبا محمد الصريفيني وطائفة، وعنه السمعاني وابن عساكر وابن الجوزي والكندي وآخرون. قال السمعاني شيخ صالح متواضع متحر في قضائه الخير متثبت توفي في نصف جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمس مئة [سير أعلام النبلاء ج: ٢٠ ص: ١٨٢رقم: ١١٧]

(٢) الإمام البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٣٩٣ .

(٣) راجع للعلامة الإمام تاج الدين الحنفى النحوى – الدر اللقيط من البحر المحيط ج٦ ص٤٩٨ دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٤) العلامة محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكين بتونس. من أشهر مؤلفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، وتفسير التحرير والتنوير. توفى سنة ١٣٩٣هـ .(الأعلام للزركلى جـ٦ ص١٦٤) .

المهالك، كالتردى فى الجبال، والسقوط من الهوّات، هذا إذا حمل التفضيل فى الضلال على التفضيل فى جنسه، وهو الأظهر، وإن حمل على التفضيل فى كيفية الضلال ومقارنته، كان وجهه أن الأنعام قد خلق إدراكها محدودا، لا يتجاوز ما خلقت لأجله، فنقصان انتفاعها بمشاعرها ليس عن تقصير منها، فلا تكون بمحل الملامة، وأما أهل الضلالة فإنهم حجزوا أنفسهم عن مداركاتهم بتقصير منهم، وإعراض عن النظر، واستدلال فهم أضل سبيلاً من الأنعام »[١].

وبين جل شأنه أن اتباع هؤلاء المشهورين والكبراء، فيما لا دليل عليه يمثل جناية على التابعين لهم والمتبوعين معاً. قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٢].

❁ **يقول الطبرى :** « وأما دلالة الآية فيمن عنى بقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا فإنها إنما تدل على أن الأنداد الذين اتخذهم من دون الله من وصف تعالى ذكره صفته بقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا هم الذين يتبرءون من أتباعهم وإذا كانت الآية على ذلك دالة صح التأويل الذي تأوله السدي[٣] في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا أن الأنداد في هذا الموضع إنما أريد بها الأنداد من الرجال الذين يطيعونهم فيما أمروهم به من أمر ويعصون الله في طاعتهم إياهم كما يطيع الله المؤمنون ويعصون غيره.

---

(١) العلامة الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ابن عاشور – جـ٩ ص١٨٤ .

(٢) سورة البقرة – الآيتان ١٦٦/١٦٧.

(٣) السدى: هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبى كريمة الحجازى السدى، أحد موالى قريش، وهو إمام فى التفسير . توفى سنة ١٢٧هـ [راجع سير أعلام النبلاء جـ٥ ص٢٦٤ ، والتهذيب جـ١ ص٢٧٣، وميزان الاعتدال جـ١ ص٢٣٦] .

وفسد تأويل قول من قال إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا إنهم الشياطين تبرءوا من أوليائهم من الإنس لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن متخذي الأنداد، وقوله تعالى وتقطعت بهم الأسباب. أن يقال إن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ظلموا أنفسهم من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار يتبرأ عند معاينتهم عذاب الله المتبوع من التابع وتتقطع بهم الأسباب.

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بعضهم يلعن بعضا وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل وأخبر تعالى ذكره أن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضا فقال تعالى ذكره "وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون" وأن الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه وإن كان نسيبه لله وليا.

فقال تعالى ذكره في ذلك وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وأخبر تعالى ذكره أن أعمالهم تصير عليهم حسرات، وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه فهي منقطعة بأهلها فلا خلال بعضهم بعضا ينفعهم عند ورودهم على ربهم ولا عبادتهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم ولا دافعت عنهم أرحام فنصرتهم من انتقام الله منهم ولا أغنت عنهم أعمالهم بل صارت عليهم حسرات«[1].

كذلك أخبر عز شأنه أن: طاعة السادة والكبراء في الاعتقادات الفاسدة، ينقلب عليهم، فيكون معهم حسرة، وعليهم ندامة. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2]، « فهم بذلك قد لقنوهم الكفر، إذا أطاعوهم - الكبراء

---

(١) الإمام الطبري – جامع البيان ج٢ ص٧٠/٧٢ .

(٢) سورة الأحزاب – الآيتان ٦٧/٦٨ . يقول العلامة الحافظ ابن كثير : « أى ربنا؛ إننا أطعنا الأمراء والكبراء، وخالفنا الرسل، واعتقدنا أن عندهم شيئا. وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء، ربنا آتهم ضعفين من العذاب أى بكفرهم وإغوائهم إيانا والعنهم لعنا كبيرا » [ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٣ ج٦ ص٣٠١]

والسادة – طاعة عمياء، دون نظر وتفكير فيما يقولونه لهم، فهم مستحقون العذاب مرتين؛ لأنهم ضلوا أولاً، ثم ضلوا ثانيا »[١].

إذن الأحكام المسبقة لها خطورتها على الفكرة المعروضة، والمسائل التي يقع لها التناول والموضوعات التي تجيء من خلال البحث المتواصل، والنظرة الفلسفية لا تقبل ذلك كله، بل إن صاحب الموقف الفلسفي يعتبر نفسه مسئولا عن كل تصرفات تفرض عليه، للإدلاء فيها برأى، أو القطع فيها بحكم.

◈ **ربما يقال**: إن النظرة الفلسفية إذا تنازلت عن الأحكام المسبقة، فإنها تهدم جملة من الأحكام لا يمكن الاستغناء عنها، بل إن الفيلسوف متى ألغاها من قاعدة أحكامه فلن يقيم بناء فلسفيا أبداً؛ لأنه كلما عثر على قاعدة قائمة هدمها، وإذا عثر على حكم طوح به، وذلك من سمات الهدم والتدمير، لا من خصائص الإنشاء والتعمير[٢].

☜ **والجواب**: أن الأحكام التي تتنازل عنها النظرة الفلسفية، إنما هى الأحكام التي اعتقدها البعض من غير إقامة الإدلة الصحيحة عليها، كما أن الأحكام الملغاة بالنسبة للحكيم الفيلسوف، إنما هى التي لها تعلق بالموضوع المطروح وحده، وبالتالى فليست الأحكام الملغاة قاعدة فيها التعميم؛ لأنها ليست كلها على ناحية العموم تجيء.

أضف إلى ما سبق: أن مفهوم إلغاء الأحكام المسبقة لا يقصد به تدميرها، إنما المراد إعادة النظر فى نتائجها، فما كان صوابا قبل، وما كان بحاجة إلى نوع من الإصلاح أقيم له، أما إذا كان الخطأ يجيء معها على كل ناحية فيكون الإلغاء

---

(١) راجع فى هذا الشأن للعلامة أبى السعود – تفسير أبو السعود ج٤ ص٣٣٤ – طبعة دار العصور للطبع والنشر ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

(٢) ذلك من طبيعة العقل الفلسفى القائم على أسس صحيحة، كما أنها من أخص خصوصيات الفكر الذى يبحث عن الحقيقة بتجرد كامل، وحيدة تامة، مستعملا أقصى درجات الانضباط فى القيم والمعارف والأخلاق.

ضرورة قصد بها التنحية لهذه الأحكام، بحيث لا يكون لها تأثير عند دراسة المسألة المطروحة، كما لا يكون لها أى تأثير عند إصدار الحكم أو النتيجة.

باعتبار أن كل مسألة توضع على بساط البحث، تجيء معها عدة جوانب:

☆ **الأول:** جانب التناول للمشكلة.

☆ **الثانى:** جانب الموضوع الخاص بها.

☆ **الثالث:** جانب النظر فى المقدمات.

☆ **الرابع:** جانب إصدار الأحكام[1].

ومتى أمكن تنحية الأحكام المسبقة الغير برهانية من ميدان النظرة الفلسفية، وإبعادها عن مجال الموقف الفلسفى، فإن السلامة فى الأحكام تكون هى الغالبة، كما أن الحيدة التامة تكون عنوانها، كذلك تكون علامة بارزة على الحكم الذى أعقب الدراسة، كما تكون سمة مميزة للنتاج العلمى المدروس.

كما أن الفيلسوف المتكامل غالبا ما يقف على الحقائق التى تعرف عليها، تأملاً فيها وإمساكا بها، بعيدا عن كافة الأحكام التى تصدرها بعض السلطات أيا كان نوعها، كما أن نظرته لأية مشكلة، إنما تقوم على التحرر من كل الأحكام السابقة متى كانت فاسدة[2].

من ثم يمكن القول بأن النظرة الفلسفية من خصائصها أنها نظرة متحررة عن القيوم التى يلتزم بها أصحاب النظرات الأخرى، سواء أكانت هذه القيود من مفروضات المجتمع، وتعرف بأنها قيود اجتماعية، أم كانت من قبيل أحكام السياسة وظروفها، أم كانت من أحكام الدين الذى بناه الأباء اللاهوتيون، أم كانت قيودا

---

(١) هذه الجوانب من الضرورى الفصل بينها جميعاً؛ لأن دراسة كل واحد منها على حدة يفيد فى إثبات النظرة الفلسفية المتجردة.

(٢) الشيخ عبدالمعطى قطب العقيلى – دراسات فى الفلسفة ص١٩٨ .

صنعها العرف، أو دفع إليها الوضع، أم كانت قيوداً تلتزم بها الجماعة التى يكـــون ذلك الفيلسوف واحدا من أعضائها وفرداً من أفرادها[١].

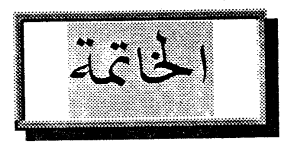
وكلما أمعن الحكيم فى موضوع بحثه. وأجاد التعرف علـــى المشـكلات المطروحة، فإنه لا محالة يقدم نتاجا فكريا عاليا، كما يعين على دراسة العديد مـــن الموضوعات المستجدة الداخلة فى نطاق أعمال الفكر والالتزام بالمنهج العلمى.

ولا يغربن عن ذى بال أنى ذكرت أبرز خصائص وسمات النظرة الفلســفية على وجه الإجمال، إذ ليس من المعقول القول بأنى حصرتها على وجه اليقـــين؛ لأن كل باحث يمكنه تقديم ما يظنه خصائص وسمات التفلسف، أو يغلب عليـــه أنهـــا كذلك، أما لماذا فلأن النظرة الفلسفية لها عمقها وأصالتها، وهى تجرى فى كل العلوم التى تختلف موضوعاتها باختلاف طبيعة الدراسة، التى تسعى كـــل منـــها إلى تبـــنى البحث عن طريق موصل إلى الفلسفة فى مفهومها الأعم، وإطلاقها الأكثر دقة.

---

(١) الدكتور توفيق الطويل — أسس الفلسفة ص٢١٩/٢١٥ وقد ذكـر أنـها خصـائص الموقـف الفلسـفى، وذكر منها موقف باهم BAHM الذى اعتبرها تسع خصـائص، وقـد اسـتفدت بعضـها، لكننى أختلف معه فى التسميات والمضامين، وإن اتفقت معه فى بعض المصطلحات.


الخاتمة



الخاتمة

من المقرر فى الدراسات النظرية؛ أن المقدمة لأى بحث علمى تمثل نوعا من التلخيص لأهم مباحثه،بحيث إذا أراد القارئ التعرف على جزئيات ذلك البحث؛ أمكنه الوصول إليها فى سهولة ويسر من حلال المقدمة التى تفصح عن ذلك كله أيما إفصاح، أو تبين عنه كل الإبانة.

كما استقر لدى الدارسين أيضا، أن كل بحث لابد له من خاتمة تمثل رصدا لأبرز نتائج المباحث التى تناولها؛ لأنها تكون بمثابة الدليل الكاشف أو القرار الأخير لكل المباحث، التى جرى الحديث عنها فى جنبات ذات البحث.

وجريا على هذا المستقر فى الأعراف، فإنى أرى ضرورة تقديم بيان موجز عن بعض النتائج، التى أمكننى الوقوف عليها، ويسر الله تعالى لى أسبابها، وهى كما يلى:

(١) أن التفلسف عملية عقلية خالصة، لا مجال فيها للدراسة الفكرية، كما لا يصح فيها التوجهات الخلفية، وإلا كانت العملية العقلية ذاتها قد سلك بها أصحابها مسالك غير صحيحة على لغة العلم.

(٢) أن التفلسف يفرض على المرء المفكر من داخل نفسه، وبالتالى فهو عملية ذاتية، بمعنى أن الظروف المحيطة بالإنسان المفكر لها فيه دخل كبير، لكن ليس هى الأصل، وإنما لابد من قدرات عقلية متميزة.

(٣) أن التفلسف يهدف إلى التعرف على حقائق الأشياء، وهذه الحقائق قد تكون سهلة بارزة فى مظاهرها، وقد تكون صعبة غامضة، فتحتاج نوعا من الصبر لمعالجتها، والتعرف عليها، واستخراج نتائجها، ولا يقوم بذلك إلا المفكر النابه الفيلسوف.

(٤) أن التفلسف فى حد ذاته تقود إليه بواعث، بعضها داخلى يدفع المرء إليه رغماً عنه، وبعضها خارجى يقصد به الإعلان عن قدرات ذلك المفكر ودوره بالنسبة للمجتمع الذى يعيش فيه.

(٥) أن للتفلسف دوافع قد تختلف عن البواعث فى أشياء كثيرة، وقد تتلاقى معها، لكن العبرة بما يؤول إليه الأمر فى البحث الفلسفى.

(٦) أن التفلسف ليس قطعة واحدة، إنه أقرب شبها بالعملة ذات الوجهين، بأحدهما يدرك الظاهر، وبالتالى يستخلص النتائج، أو بعبارة أخرى: إن المفكر لا يجعل تفكيره كله فى جهة واحدة، وإنما يقوم بتوجيه جزء منه ناحية المشكلة لدراستها على الأوجه الممكنة، ثم يدخر جزءا أخر يرصد به النتائج، ويقدم الأكثر أهمية على غيرها؛ لأن ذلك طبيعة التفكير العقلى المنتظم.

(٧) أن المفكر الفيلسوف يسعى دائما لتحصين قدراته العقلية، كما يسعى لاكتساب طرائق جديدة فى ميدان البحث العلمى، وهو فى ذلك كله إنما يسلك مسالك، تمثل بالنسبة له بعض الخصائص الفنية، والسمات الفلسفية، بل إن ذلك كله لهو من أبرز خصائصها الفنية.

(٨) أن النظرة الفلسفية الحقيقية تكون وليدة مشكلة، والمشكلة تكون فى الغالب الأعم موجودة فى الكون بشكل أو بأخر، وبالتالى فصاحب النظرة الفلسفية غواص يبحث فى بحار الأفكار، عله يجد الأصداف واللآلئ، أو يعثر على فيروز الشطآن، ومثله ليس من السهل إغفال دوره فى تنمية المجتمع. وترسيخ القواعد الصحيحة، مع الالتزام بما تفرضه.

(٩) أن التفلسف إذا لم يقم على قواعد عقلية متجهة به نحو النقل المترل التزاما بأحكامه، فإنه غالبا ما يخفق فى الوصول إلى نتائج تنال شيئا من الثقة أو لونا من التقدير والاحترام.

ذلك ما يمكن القول به كنتائج برزت إلى سطح الأفكار، وأمكننى الوقوف عليها، أو التعرف على مواطنها، والتقاطها من بطون المباحث التى تناولتها، أو

اقتنصتها من شوارد المفرزات،التى جاءت عرضا فى بعض الأحيـــان، أو غرضـــا فى البعض الآخر، فإن يتمكن غيرى من اصطياد سواها، فذلك فضل الله علينا وعلـــى الناس، وإن تكن الأخرى فما عليه من شيء.

وبعد فمازلت أسالك أخى الفاضل الكريم جبر زلاتى، وإقالتى من عـــثراتى، وستر هفواتى، فما انا إلا عبد يخطئ ويصيب، فإن أصبت فمن توفيـــق الله تعـــالى وأفضاله، وإن أخطأت فمن تقصير نفسى وعجزى، وأسأل الله السلامة فى الديـــن، والنجاة فى الآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير.


المصادر

المصادر

✲ راعيت ترتيب هذه المصادر طبقا للطريقة العلمية الحديثة، وهى ذكر اسم الشهرة للمؤلف أولا بعد تجريده من حرف أل إن كان فيه ، ثم ذكر اللقب، ثم الاسم وسنة الميلاد والوفاة متى أمكنني الوقوف على ذلك، وبخاصة إذا كان ممن انتقلوا للدار الآخرة، ثم اسم الكتاب والمطبعة والسنة إن وجدت، مبتدئا بالقرآن الكريم وعلومه ، ثم السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها، ثم المعاجم العربية والتراجم، وأخيرا المصادر العامة، وهى التى اتبعت فيها الترتيب العلمى طبقا للطريقة الحديثة.

أولا : القرآن الكريم وعلومه

(١) القرآن الكريم .

(٢) أحكام القرآن – الإمام محمد بن إدريس الشافعى أبو عبدالله (ت: ٢٠٤هـ) – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٠هـ – تحقيق عبدالغنى عبدالخالق.

(٣) الإتقان فى علوم القرآن – العلامة جلال الدين السيوطى (المتوفى ٩١١هـ) – طبعة المطابع الأزهرية

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل – الإمام الشيخ / القاضى ناصر الدين الشيرازى البيضاوى (المتوفى ٧٩١هـ) – ط دار المعارف بمصر ١٣١٦هـ .

(٥) البحر المحيط – العلامة أثير الدين أبو عبدالملك محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى– دار إحياء التراث العربى بيروت ط٢/١٤١١هـ/١٩٩٠م .

(٦) التحرير والتنوير – العلامة محمد الطاهر بن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧م.

(٧) تفسير الجلالين – جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطى – دار الحديث بالقاهرة الطبعة الأولى.

(٨) تفسير القرآن الحكيم، المسمى تفسير المنار – الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا – دار المعرفة بيروت، دار المنار بالقاهرة – ط٢/١٣٥٠هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

(٩) تفسير القرآن العظيم - الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي (٧٧٤هـ) - مكتبة الإرشاد ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، دار الغد العربي ١٩٨٩م. وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.

(١٠) التفسير القرآني للقرآن - للأستاذ عبدالكريم الخطيب - طبعة دار الفكر العربي.

(١١) جامع البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبري - العلامة الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/٣١٠هـ) - دار الجيل - الطبعة الثالثة - طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م وطبعة دار الغد العربي بالقاهرة ١٩٩٥م .

(١٢) الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي - الإمام / أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الأنصاري القرطبي (ت : ٦٧١هـ) - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وطبعة دار الغد العربي ١٩٨٨م، وطبعة دار الشعب بالقاهرة (الطبعة الثانية) ١٣٧٢هـ- تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني

(١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الإمام / أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ .

(١٤) في ظلال القرآن الكريم - الأستاذ الشيخ سيد قطب - ط٦- دار الشروق ١٩٧٨م.

(١٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - الإمام / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٢٨) - تحقيق مصطفى حسين - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٦م. وطبعة دار المعرفة - بيروت / لبنان.

(١٦) لباب التأويل في معاني التنزيل - العلامة علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت: ٧٢٥هـ) - دار الفكر - بيروت .

(١٧) لطائف الإشارات - الإمام القشيري - تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .

(١٨) مختصر تفسير ابن كثير - الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - اختصار وتحقيق الأستاذ / محمد علي الصابوني دار التراث العربي - القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وطبعة دار الصابوني للطباعة والنشر ١٩٨٨م.

(١٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى - مكتبة دار الحديث - الطبعة الأولى - طبعة الشعب ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٢٠) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى) - العلامة الإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمي البكرى الرازى المعروف بفخر الدين الرازى(ت:٦٠٦هـ) - المطبعة البهية المصرية - الطبعة الأولى ١٩٩١م، وطبعة دار إحياء التراث العربى، طبعة دار الغد العربى ١٩٩٣م.

(٢١) المفردات فى غريب القرآن - العلامة أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهانى - دار المعرفة بيروت - لبنان.

ثانيا : السنة النبوية المطهرة وعلومها

(٢٢) البحر الزخار - العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المولود ٢١٥هـ المتوفى ٢٩٢هـ - مؤسسة علوم القرآن , مكتبة العلوم والحكم - بيروت , المدينة ١٤٠٩هـ - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ١٠ - تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله.

(٢٣) الترغيب والترهيب - الإمام زكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى (ت: ٦٥٦هـ) - دار الحديث - القاهرة .

(٢٤) حلية الأولياء - أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهانى (ت: ٤٣٠هـ) - طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٥هـ - الطبعة الرابعة .

(٢٥) الجامع الصغير للسيوطى - العلامة عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى - (٨٤٩/٩١١)هـ - تحقيق محمد بن عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن على زين العابدين المناوى - طبعة دار العلم بجدة - بدون .

(٢٦) الجامع لمعمر بن راشد - العلامة معمر بن راشد الأزدى - (ت: ١٥١هـ) - طبعة المكتبة الإسلامى ببيروت ١٤٠٣هـ - الطبعة الثانية - تحقيق حبيب الأعظمى (منشور كملحق) بكتاب المصنف للصنعانى ج١٠ .

(٢٧) سنن أبي داود - الإمام الحافظ / أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٢٨) سنن ابن ماجه – للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه – طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٢٩) سنن البيهقى الكبرى – أحمد بن حسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى – (٣٨٤/٤٥٨)هـ – مكتبة دار البار بمكة المكرمة – ١٤١٤/١٩٩٤م – تحقيق محمد عبدالقادر عطا.

(٣٠) سنن الترمذى – الإمام / محمد الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة (٢٠٩/٢٧٩هـ) – مطبعة مصطفى الحلبى .

(٣١) سنن الدار قطنى – العلامة على بن عمر أبو الحسن الدار قطنى البغدادى (٣٠٦/٣٨٥)هـ – طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م – تحقيق السيد عبدالله هاشم يمانى المدنى.

(٣٢) سنن الدارمى ، الإمام الكبير أبو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى (ت: ٢٥٥هـ) – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، وطبعة دار إحياء السنة النبوية.

(٣٣) سنن النسائى – الإمام الحافظ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى(ت:٣٠٢هـ) دار الحديث ١٩٨٧م .

(٣٤) سنن سعيد بن منصور – العلامة سعيد بن منصور المتوفى ٢٢٧هـ – دار العصيمي – الرياض ١٤١٤هـ – الطبعة الأولى – عدد الأجزاء ٥ – تحقيق د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد.

(٣٥) صحيح الإمام البخارى – الإمام / محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى (ت ٢٥٦هـ) – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٤/١٩٩٨م.

(٣٦) صحيح الإمام مسلم – الإمام / أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت٢٦١هـ) – طبعة الحلبى .

(٣٧) صحيح ابن حبان – العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى – (ت:٣٥٤هـ) – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م الثانية – تحقيق شعيب الأرنؤط .

(٣٨) صحيح مسلم بشرح النووى - الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- الطبعة الأولى - تعليق الأستاذ محمد محمد تامر - دار الفجر للتراث ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، وطبعة المطبعة المصرية ومكتبتها.

(٣٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى - للعلامة ابن حجر العسقلانى - تحقيق محب الدين الخطيب وقصى الدين الخطيب - طبعة دار الريان للتراث . ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م

(٤٠) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - الشيخ إسماعيل محمد العجلونى (ت: ١١٦٢هـ) مكتبة الغزالى – دمشق .

(٤١) كنز العمال – للعلامة علاء الدين المتقي الهندي – طبعة عام ١٩٨٩م مؤسسة الرسالة - دمشق.

(٤٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر - طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ، الموافق ١٩٩٢م .

(٤٣) المستدرك على الصحيحين - الإمام الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابورى (٣٢١/٤٠٥)هـ - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١/١٩٩٠م الأولى - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.

(٤٤) مسند الإمام أحمد – الإمام /أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) - المكتب الإسلامى للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأول - دار كتب الفقه .

(٤٥) مسند أبي عوانة - العلامة أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني المولود فى ٣١٦هـ – دار المعرفة - بيروت ١٩٩٨م – الطبعة الأولى – عدد الأجزاء ٥.

(٤٦) مسند أبى يعلى – العلامة أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلى التميمى (٢١٠/٣٠٧)هـ - طبعة دار المأمون للتراث بدمشق (ط١) - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م – تحقيق حسين سليم أسد.

(٤٧) مصنف بن أبي شيبة - العلامة أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (١٥٩/٢٣٥)هـ- طبعة مكتبة الرشد بالرياض ١٤٠٩هـ الأولى - تحقيق كمال يوسف الحوت.

(٤٨) المعجم الأوسط – العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠/٣٦٠)هـ – طبعة دار الحرمين بالقاهرة – طبعة ١٤١٥هـ – تحقيق طارق بن عوض الله الحسيني.

(٤٩) المعجم الكبير – العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠/٣٦٠)هـ – مكتبة العلوم والحكم – الموصل –ط٢ – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م تحقيق حمدى بن عبدالمجيد السلفى .

(٥٠) الموطأ للإمام مالك، برواية الإمام محمد بن الحسن – طبعة دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩١م .

ثالثا : المعاجم العربية والتراجم وكتب الرجال

(٥١) أساس البلاغة – العلامة محمود بن عمر الزمخشرى (ت: ٥٣٨هـ) طبعة دار الشعب ١٩٦٠م، طبعة دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

(٥٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب – يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت: ٤٦٣) ط١ – تحقيق على محمد البجاوى – طبعة دار الجبل ببيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٥٣) الأعلام للزركلى – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين – تأليف خير الدين الزركلى – الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ.

(٥٤) الإصابة فى تمييز الصحابة – العلامة أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (٨٥٢/٧٧٣)هـ – ط١ – تحقيق على محمد البجاوى – طبعة دار الجبل ببيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٥٥) أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد – ط ١٨٩٣م مطبعة مرسلى اليسوعية بيروت

(٥٦) تاج العروس من جواهر القاموس – العلامة محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى ١٢٠٥هـ – ١٣٠٧هـ .

(٥٧) التاريخ الكبير– العلامة محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي المولود ١٩٤هـ – المتوفى ٢٥٦هـ – دار الفكر – عدد الأجزاء ٨ – تحقيق: السيد هاشم الندوي.

(٥٨) التعريفات - السيد الشريف على بن محمد بن على السيد زين أبي الحسن والحسين الجرجاني (٧٤٠/٨١٣هـ) مطبعة ماصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م . وطبعة دار الريان للتراث ١٤٠٣هـ , تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري، وتحقيق الدكتور عبدالمنعم الحنفي - طبعة دار الرشاد ١٩٩١م

(٥٩) تقريب التهذيب - العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - المولود ٧٧٣هـ - المتوفى ٨٥٢هـ - دار الرشيد - سوريا ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ١ - تحقيق محمد عوامة.

(٦٠) تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المولود ٧٧٣هـ والمتوفى ٨٥٢هـ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ١٤ .

(٦١) التوقيف على مهمات التعاريف - العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المولود ٩٥٢هـ ، والمتوفى ١٠٣١هـ -دار الفكر المعاصر , دار الفكر - بيروت - دمشق ١٤١٠هـ الطبعة الأولى -تحقيق د. محمد رضوان الداية

(٦٢) الثقات - العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى ٣٥٤هـ - دار الفكر ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ٩ - تحقيق: السيد شرف الدين أحمد

(٦٣) الجرح والتعديل - العلامة عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي المتوفى ٣٢٧هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ٩.

(٦٤) رجال صحيح مسلم - العلامة أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر - المولود ٣٤٧هـ المتوفى ٤٢٨هـ - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٧هـ - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ٢ - تحقيق عبد الله الليثي .

(٦٥) روضات الجنات للخوانساري .

(٦٦) سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله (٦٧٣/٧٤٨)هـ - طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ التاسعة - تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي.

(٦٧) الفهرست لابن النديم
(٦٨) قاموس الكتاب المقدس.
(٦٩) القاموس المحيط - الإمام مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي - طبعة دار الجيل بيروت، وطبعة المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(٧٠) قطر المحيط - المعلم بطرس البستاني ط دار لبنان ١٩٦٩م .
(٧١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - العلامة حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي المولود ٦٧٣هـ، المتوفى ٧٤٨هـ - دار القبلة للثقافة الإسلامية , مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣هـ/١٩٩٢م - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ٢ - تحقيق محمد عوامة
(٧٢) لسان العرب - العلامة / أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ) - تحقيق عبدالله على الكبير وآخرون - الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٥م - دار المعارف .
(٧٣) محيط المحيط - المعلم بطرس البستانى - طبعة بيروت ١٨٧٠م .
(٧٤) مختار القاموس — الطاهر أحمد الزاوى (طبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٦٤م).
(٧٥) مشاهير علماء الأمصار - العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى ٣٥٤هـ — دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٥٩م — تحقيق م. فلايشهمر
(٧٦) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير - العلامة أحمد بن محمد بن على المقريزى الفيومى(ت :٧٧٠هـ) الطبعة الأولى - حققه الأستاذ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية، وطبعة المطبعة الخيرية١٣٠٥هـ.
(٧٧) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى .
(٧٨) المعجم الفلسفى - الدكتور يوسف كرم وآخرين - القاهرة ١٩٦٦م .
(٧٩) المعجم الفلسفى - دكتور جميل صليبا - دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢م .
(٨٠) معجم المؤلفين - العلامة عمر رضا كحالة - طبعة بيروت .
(٨١) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٩٩٢م .
(٨٢) المعجم الوسيط - الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون - القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(٨٣) معرفة الثقات – العلامة أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي المولـــود ١٨٢هـــ،المتوفى ٢٦١هـــ – مكتبة الدار – المدينة المنـــورة – ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م الطبعة الأولى – عدد الأجزاء ٢ – تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي

(٨٤) المنجد فى اللغة والآداب والعلـــوم – الأب لويـــس معلـــوف العيســـوى – المطبعـــة الكاثوليكية – بيروت ١٩١٣م.

(٨٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للعلامة أحمد بن محمد المقرى

(٨٦) وفيات الأعيان للعلامة ابن خلكان. .

رابعا المصادر العامة

حرف الألف

❊ **السيد – الأستاذ مرسى .**

(٨٧) الأسطورة والخرافة .

❊ **ابن رشد – قاضى القضاة أبو الوليد .**

(٨٨) تلخيص كتاب النفس – تحقيق د: أحمد فؤاد الأهوانى – مكتبة النهضة بالقاهرة.

❊ **الأحمر – الدكتورة: وفاء عبدالمعز .**

(٨٩) موقف ابن باجة الأندلسى من الغاية الإنسانية – ط الدار البيضاء ١٩٧٩م.

❊ **أ. أ طيلر .**

(٩٠) المعلـــم الأول أرســـطو – ترجمـــة محمـــد زكـــى حســـن – مكتبـــة الخـــانجى ١٣٧١هـــ/١٩٥٤م.

❊ **ابن باجة – العلامة أبو بكر .**

(٩١) رسائل ابن باجة الإلهية – تحقيق ماجد فخرى .

(٩٢) تدبير المتوحد – تحقيق اسين بلاسيوس.

❊ **اليوسف – الدكتورة هناء محمود .**

(٩٣) الفلسفة العامة – طبعة دار المعرفة بتونس ١٩٧١م.

❊ **الإنطاكى – الشيخ أمين محمد .**

(٩٤) نظرات فى الفلسفة – طبعة دارالأنصار ١٩٣١م.

* **اشتانيبك – هنرى .**

(٩٥) القدرات العقلية والفروق الفردية – ترجمة صبحى إسكندر ١٩٥٧م.

* **الأبيارى – الإمام الشيخ عبدالهادى نجا**

(٩٦) كتاب باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح – المطبعة الخيرية ١٣٠٤هـ.

* **أبو طايل – الدكتور عبدالجواد**

(٩٧) الظواهر الاجتماعية فى منظور علمى تحليلى – طبعة دار المختار ١٩٦٧م.

* **أبو سلطان – الشيخ هلال**

(٩٨) الفلسفة والميتافيزيقيا – طبعة دار الهدى ١٩٣٧م.

* **أبو سعدة – الدكتور توفيق محمد**

(٩٩) محاضرات فى الفلسفة ط١ / ١٩٦٧م.

* **أدم – الدكتور فضل الله محمد**

(١٠٠) جنايات التقدم العلمى ط١ دار أبو اليزيد ١٩٨٧م.

* **السيد ـ الأستاذ نور الدين**

(١٠١) دراسات فى الأدب العربى – ط دار مراد ١٩٤٧م .

* **أنتونى ـ دى كرسبى وكنيث مينوج –**

(١٠٢) أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة ترجمة د: نصار عبدالله – الهيئة المصرية ١٩٨٨.

* **ابن سينا – الشيخ الرئيس**

(١٠٣) الإشارات والتنبيهات – تحقيق د: سليمان دنيا .

* **أبو زيد الأعصم ـ**

(١٠٤) ثوليك وفلسفته المادية ط٢ دار الجيل ١٩٥٧م.

* **الإنباوى – الشيخ محمد على سليمان**

(١٠٥) التفكير الإنسانى ط١ / ١٣١٨هـ.

* **الأبيض – الدكتور عبدالله محمد .**

(١٠٦) دراسات فى الفلسفة – ط٣ – مطبعة الوطن العربى ١٩٧٣م.

حرف الباء

* بروس – سنبسر تشارلز
(١٠٧) التعصب وأخطاره – ترجمة فؤاد رمسيس – نشرة المعهد العلمى ١٩٨٣م.
* بدوى – الدكتورة هناء محمد
(١٠٨) محاضرات فى الفلسفة العامة – طبعة الدار العربية ١٩٤٣م
* باغور – هنرى .
(١٠٩) العقلية والفروق الفردية – ترجمة صبحى رياض.
* برهان الدين – الشيخ محمود
(١١٠) الـ... العقلية الإسلامية ط١/١٣٣٥هـ.
* بدوى – الأستاذ توفيق محمد
(١١١) الفلسفة ميادين وموضوعات ط١/١٩٣٥م.
* بينز - ويليام
(١١٢) الهندسة الوراثية للجميع – ترجمة الدكتور أحمد مستجير – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م.
* بيومى – الدكتور عبدالمعطى محمد
(١١٣) جذور الفكر المادى – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٤م.
* البرشومى – الأستاذ سعيد محمد
(١١٤) فى الفلسفة الاجتماعية – ط١/١٩٦٥م .
* بنتالى – الدكتور : ماغوم
(١١٥) حاسة السمع وقياساتها ص٤٣ – ترجمة وفاء صبرى ١٩٥١م.
* بديوى – الدكتور عدلى السيد
(١١٦) الفلسفة والفلاسفة ط دار المختار ١٩٦٧م.

حرف التاء

* تاتيهوم – أ.ب
(١١٧) معالم الفلسفة – ترجمة ناهد فؤاد ط٢ / ١٩٥٧م.
* توباك – توماس هنرى

(١١٨) علماء الحياة – ترجمة هانى رزق إسكندر ١٩٨٧م.
❊ **توبى – أ. هاف**
(١١٩) فجر العلم الحديث
❊ **تومسان – أ. ب.**
(١٢٠) القدرات العقلية والمجتمع – ترجمة صباح نصرى – بيروت ١٩٧١م.
❊ **توفيق – الأستاذ محمود حسن**
(١٢١) دراسات فلسفية – ط١/ ١٩٥٧م.
❊ **توناباك – أ سيرجى**
(١٢٢) علم النفس والغرائز – ترجمة حسان ميخائيل ط دار حسان ١٩٣١م.

حرف الثاء

❊ **ثروت – الشيخ بدوى محمد**
(١٢٣) التفكير فريضة – ط دار مراد ١٩٤٥م.

حرف الجيم

❊ **جميل – الدكتور منصور محمد**
(١٢٤) المعرفة الإنسانية (أصولها وأنواعها) طبعة دار فؤاد ١٩٦٢م.
❊ **جميل – فوزى محمد**
(١٢٥) علم النفس والتفكير – ط١/١٩٧١م.
❊ **الجندى – الأستاذ أنور**
(١٢٦) الإسلام على مشارق القرن العشرين – الطبعة الأولى.
❊ **جيمس جينز**
(١٢٧) الفيزياء والفلسفة ترجمة جعفر رجب – دار المعارف.

حرف الحاء

❊ **حندس – الأستاذة فاطمة محمد**
(١٢٨) الفلسفة ومفاهيمها – ط دار الهدى ١٩٦١م.
❊ **حجازى – الدكتور عوض الله جاد وآخر**
(١٢٩) فى تاريخ الفلسفة اليونانية.

❊ **الخضرى — الدكتورة نجية**
(١٣٠) علم النفس والأخصائى النفسى ط١ — مكتبة عين شمس ١٩٧٢م.
❊ **حسان — الشيخ محسن محمد**
(١٣١) نظرية المعرفة — ط الدار الجديدة ١٩٧١م.

حرف الخاء

❊ **خليل الأستاذ جمعة عبدالباقى**
(١٣٢) العالم والإنسان — طبعة الدار المنيرة ١٩٤٣م.
❊ **الخواص — الأستاذ التهامى محمد**
(١٣٣) العقل وغروره ط١ دار برهان ١٩٥٣م.

حرف الدال

❊ **دوكنز — ريتشارد**
(١٣٤) الجديد فى الانتخاب الطبيعى — بيولوجيا — ترجمة د: مصطفى فهمى —الهيئة المصرية ٢٠٠٢م.
❊ **دهشان — الدكتور عبدالعظيم محمد**
(١٣٥) الكشوف العلمية — ط٣ — دار فتحى ١٩٦٧م .
❊ **الدويقى — الدكتور منير عبدالله**
(١٣٦) دراسات فى الفلسفة — طبعة دار حسنين ١٩٧١م.

حرف الراء

❊ **راجح — الدكتور أحمد عزت**
(١٣٧) أصول علم النفس ط٧/١٩٦٨م دار الكتاب العربى
❊ **رابو بورت — الفيلسوف**
(١٣٨) مبادئ الفلسفة— ترجمة الأستاذ أحمد أمين.
❊ **رشيناج — المستشرق هانز**
(١٣٩) نشأة الفلسفة العلمية — ترجمة الدكتور فؤاد زكريا — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت ١٩٧٩.

❊ رضوان – الدكتور على محمد

(١٤٠) طرائق المعرفة – طبعة دار التوحيد ١٩٥٧م.

❊ رمضان – الأستاذ فوزى محمد

(١٤١) الطبيعة ومشكلاتها ط٢/١٩٣٥م.

❊ روزنتنال – فردريك

(١٤٢) التراث القديم فى الحضارة الإسلامية– تقديم وتعليق الدكتور عبدالله حسن المسلمى – ط سعيد رأفت ١٩٩٣م.

حرف الزاى

❊ زافيلسكى و.س

(١٤٣) الزمن وقياسه– ترجمة د: مهندس إبراهيم محمد شوشة– سلسلة الألف كتاب رقم ٦٣ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

❊ زكى – الدكتور عبدالعظيم توفيق

(١٤٤) الفلسفة ومشكلاتها – الطبعة الأولى ١٩٥١م.

❊ زكى ـ الشيخ محمد أبو العينين

(١٤٥) دور العقيدة فى بناء الأمة – طبعة دار الاستقامة ١٣٢٥هـ.

❊ زيدان – الدكتور عبدالكريم

(١٤٦) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية .

❊ زقزوق – الدكتور محمد حمدى

(١٤٧) دور الإسلام فى نظر الفكر الفلسفى

حرف السين

❊ سبع – الأستاذ توفيق محمد

(١٤٨) قيم حضارية فى القرآن الكريم – عالم ما قبل القرآن – طبعة دار المنار بالقاهرة.

❊ السروى ـ الدكتور عبدالباقى محمد

(١٤٩) الفروق الفردية وعلم النفس العام ص٧٥ ط٢/١٩٧١م.

❊ سميث – الدكتورة كاينيت

(١٥٠) عالم الكائنات الحية الدقيقة - ترجمة منى شوقى .

❊ **السملاوى — الشيخ عبدالمعطى .**

(١٥١) البهجة السنية لشرح القصيدة الزينية ط١ المطبعة المحمودية بمصر المحمية ١٣١٨هـ لصاحبها الشيخ محمود موسى شريف.

❊ **السنطاوى —الأستاذ على محمد عبدالحميد**

(١٥٢) الفلسفة والتقدم العلمى ط دار الهدى ١٩٥٣م.

❊ **السيد — الأستاذ مرسى**

(١٥٣) الأسطورة والخرافة — ط٣/١٩٤٦م.

حرف الشين

❊ **الشارونى — الدكتور محسن محمد**

(١٥٤) خصائص الشريعة الإسلامية — طبعة العراق ١٩٦٨م .

❊ **شعلان — الدكتور عبدالمحسن السيد**

(١٥٥) الظواهر بين اللغة والمفاهيم — ط١/١٩٥٣م .

❊ **شفيق — الدكتور إسكندر**

(١٥٦) الزلازل وقياساتها الأولية ط١/١٩٩١م.

❊ **الشهرستانى — العلامة عبدالكريم**

(١٥٧) الملل والنحل — تحقيق الأستاذ محمد سيد كيلانى .

حرف الصاد

❊ **صابر — الدكتور لطفى حسن**

(١٥٨) الفلسفة الإسلامية قواعد ونظريات — ط٢/١٩٨٩م.

❊ **صالح — الدكتور عبدالعظيم محمد**

(١٥٩) الفلسفة ومدارسها — مكتبة دار محسن ١٩٥٧م.

❊ **صالح — الدكتور محسن محمد**

(١٦٠) الظواهر الجوية — ط الدار الجديدة ١٩٦٥م.

❊ **صالح — الدكتور محمد**

(١٦١) الظاهرة تعريفها ودلالاتها — طبعة دار المشرق ١٩٧٧م

❊ **صبحي — الدكتور رمزي**

(١٦٢) علم النفس دارسة تطبيقية — ط١/١٩٥٧م.

❊ **صبري — الدكتور خيري عبدالسميع**

(١٦٣) دراسات في الفلسفة العامة.

❊ **صبري — الدكتور محمد محمود**

(١٦٤) الفلسفة الحديثة المعاصرة

❊ **صبري — الدكتورة نهاد محمد**

(١٦٥) الكوارث الطبيعة وكيفية مواجهتها — طبعة دار فواز ١٩٧٧م.

❊ **الصعيدي — الدكتورة نوال محسن**

(١٦٦) الحضارة والتقدم العلمي — ط١ دار كركوك ١٩٥١م.

حرف الضاد

❊ **ضبع — الأستاذ نور الدين محمد**

(١٦٧) الفلسفة الاجتماعية — طبعة مكتبة النصر ١٩٥١م.

حرف الطاء

❊ **الطناحي — الدكتور عبدالمنعم أنور**

(١٦٨) الفلسفة والقيم ط١/١٩٥٧م

❊ **طنطاوي — الأستاذ نصر محمد**

(١٦٩) الفعل الإنساني والعقل الإلهي — ط١/١٩٥١م.

❊ **طه — الدكتور فرج عبدالقادر**

(١٧٠) أصول علم النفس الحديث — ط١/١٩٨٩م — دار المعارف .

❊ **طه — الدكتورة هناء محمد**

(١٧١) الغرائز والحياة الاجتماعية — مطبعة سعد ١٩٥٧م.

❊ **الطويل — الدكتور توفيق**

(١٧٢) أسس الفلسفة — ط دار النهضة العربية .

(١٧٣) مدخل إلى الفلسفة — ط٣/١٩٥١م.

❊ **الطويل — الأستاذ صبحى حسن**

(١٧٤) محاكم التفتيش — طبعة دار الجيل ١٩٤٥م.

❊ **الطويل — الدكتور مصطفى حسن**

(١٧٥) النحو العربى ومدارسه قديما وحديثا — طبعة دار وفاء ١٩٧٥م.

حرف الظاء

❊ **ظاظا — الأستاذ عبدالكريم محمد**

(١٧٦) حكايات قديمة — ط دار مروان ١٩٥٧م.

حرف العين

❊ **عبدالحليم — الدكتور أحمد**

(١٧٧) القيم فى الواقعية الجديدة — طبعة دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٩م.

❊ **عبدالعظيم — الدكتورة وفاء حسن**

(١٧٨) علم الظواهر — ط١ دار المختار ١٩٩٧م.

❊ **عز الدين — الدكتور فوزى السيد**

(١٧٩) الفلسفة رؤية موضوعية — طبعة دار منار ١٩٦٥م.

❊ **العقباوى — الشيخ مصطفى بن احمد**

(١٨٠) حاشية العقباوى على شرحه لعقيدة الدرديرى — المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦هـ، وتم طبعها على نفقة الشيخ محمد على المليجى الكتبى.

❊ **العقيلى — الشيخ عبدالمعطى قطب .**

(١٨١) دراسات فى الفلسفة — ط١/ ١٩٤٧م.

❊ **علوى — الدكتورة تهانى محمد**

(١٨٢) محاضرات فى الفلسفة العامة — طبعة الدار الجديدة ١٩٦٧م.

❊ **عمارة — الدكتور محمد**

(١٨٣) الإسلام والعروبة — الهيئة المصرية العامة ١٩٩٦م.

حرف الغين

❊ **الغزالى — الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد المولود٤٥٠هـ/١٠٥٨م والمتوفى ٥٠٥هـ**

(**١٨٤**) إحياء علوم الدين.

(**١٨٥**) منهاج العابدين

❊ **الغزالى — الدكتور محمد حسينى موسى محمد**

(**١٨٦**) الحثيث فى المنطق الحديث — ط آل بسيونى ٢٠٠١م .

(**١٨٧**) رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق.

(**١٨٨**) قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة .

❊ **غلايينى — الأستاذ مصطفى**

(**١٨٩**) جامع الدروس العربية - مراجعة الدكتور عبدالمنعم خفاجه

حرف الفاء

❊ **فرانكفورت وآخرون**

(**١٩٠**) ما قبل الفلسفة — ترجمة: جبر إبراهيم جبر — منشورات مكتبة الحياة— بغداد.

❊ **فرج — الدكتور عثمان لبيب**

❊الشخصية والصحة العقلية — ط١ / ١٩٧٠م — مكتبة النهضة .

❊ **فهمى — الدكتور مصطفى**

(**١٩١**) الدوافع النفسية — ط٥ دار مصر للطباعة ١٩٦٠م.

❊ **الفونسى — الدكتور ريكارد**

(**١٩٢**) الظواهر (دراسة علمية) طبعة دارالنجاة — ترجمة هناء خيرى.

حرف القاف

❊ **قاسم — الدكتور محمود**

(**١٩٣**) المنطق الحديث ومناهج البحث — الأنجلو المصرية .

❊ **قنديل — سامى محسن**

(**١٩٤**) الدوافع الفطرية والمكتسبة — ط الدار القومية ١٩٦١م.

❊ **قنديل — الدكتورة ناهد صبحى**

(**١٩٥**) الفلسفة وعلم النفس — ط١/١٩٦٧م.

❊ **القوصى — الدكتور عبدالعزيز**

(**١٩٦**) أسس علم النفس — الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

حرف الكاف

❊ **كانت — الفيلسوف عمانويل**

(**١٩٧**) مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة — ترجمة د: نازلى إسماعيل.

❊ **كراوترج — ج.**

(**١٩٨**) قصة العلم —ترجمة وتعليق د: يمنى طريف الخولى ، ودكتور بدوى عبدالفتاح — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

❊ **الكردى — الدكتورة هناء عبدالسلام**

(**١٩٩**) نظرات فى الميتافيزيقا — ط٢/١٩٨١م.

❊ **كول — هنرى**

(**٢٠٠**) علماء تحت المنظار — ترجمة رزق زكى .

حرف اللام

❊ **لطفى — الدكتور لطفى السيد**

(**٢٠١**) أرسطو وفلسفته — ط دار الحرية ١٩٥٥م.

حرف الميم

❊ **محمود — الدكتور عباس**

(**٢٠٢**) علم النفس العام — دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩م.

❊ **محمود — الدكتور عبدالحليم**

(**٢٠٣**) الفكر الفلسفى فى الإسلام — ج١ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥م.

❊ **مدكور — الدكتور عبدالحميد**

(**٢٠٤**) محاضرات فى الفلسفة — مكتبة الزهراء ١٩٨٣م.

❊ **مرسى — الدكتور سعيد عبدالحميد**

(٢٠٥) النفس المطمئنة — (ط الأولى) ١٤٠٣هـ—١٩٨٣م — دار التوفيقية النموذجية للطباعة والجمع الآلى.

❊ **المتولى ـ الدكتورة حنان محمد**

(٢٠٦) الهندسة الوراثية خطوة نحو الأمام ط١/١٩٩٥م.

❊ **موراى ـ أدوارد د.ج**

(٢٠٧) الدافعية والانفعال (الطبعة الأولى - دار الشروق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .

حرف النون

❊ **ناصر — الأستاذ محسن محمد**

(٢٠٨) البحث العلمى وغاياته — المطبعة الهلالية ١٩٤١م.

❊ **النبهانى — الشيخ عبدالقوى عبدالغنى**

(٢٠٩) لا تسعروا فالله المسعر — دار الهداية بتركيا ١٣١٥هـ.

❊ **نبوى — الدكتور طه محسن**

(٢١٠) فلاسفة اليونان ط دار الكرنك ١٩٦١م.

❊ **نجاتى — الدكتور محمد عثمان**

(٢١١) القرآن وعلم النفس - (ط الأولى) ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢ — دار الشروق.

❊ **نجيب — الأستاذ فؤاد محمد**

(٢١٢) عوامل ظهور الحضارات واختفائها — ط الدار القومية ١٩٥٧م.

حرف الهاء

❊ **الهاشمى — الدكتور محمد على**

(٢١٣) دراسات فى نحو العربية — ط الدار الجديدة ١٩٦١م.

❊ **هايف — الدكتور مانيس تونى**

(٢١٤) التفلسف حقيقة علمية — ترجمة هناء صبحى .

❊ **هلال — الأستاذ رمزى حسن**

(٢١٥) النسبية وفروضها ط١/١٩٥٧م.

* هلال - الشيخ هلال محمد

(٢١٦) آدم وحواء – ط دار الوعد ١٣١٧هـ.

* هيلر فرانكر

(٢١٧) الأدب الأوربى فى القرن العشرين – ترجمة هناء مرسى ١٩٧٧م.

حرف الواو

* الوشيحى – الدكتورة تهانى فريد

(٢١٨) الفيلسوف والفلسفة عملة واحدة – مراكش ١٩٨٥م.

حرف الياء

* يسرى – الدكتورة ثناء مرسى

(٢١٩) الدوافع والغرائز ط٢/١٩٧٧م.

* يسرى – الدكتور محمود عبدالمتولى

(٢٢٠) دراسات فلسفية – طبعة دار المختار ١٩٥٧م.

* يسرى – الشيخ محمد النادى

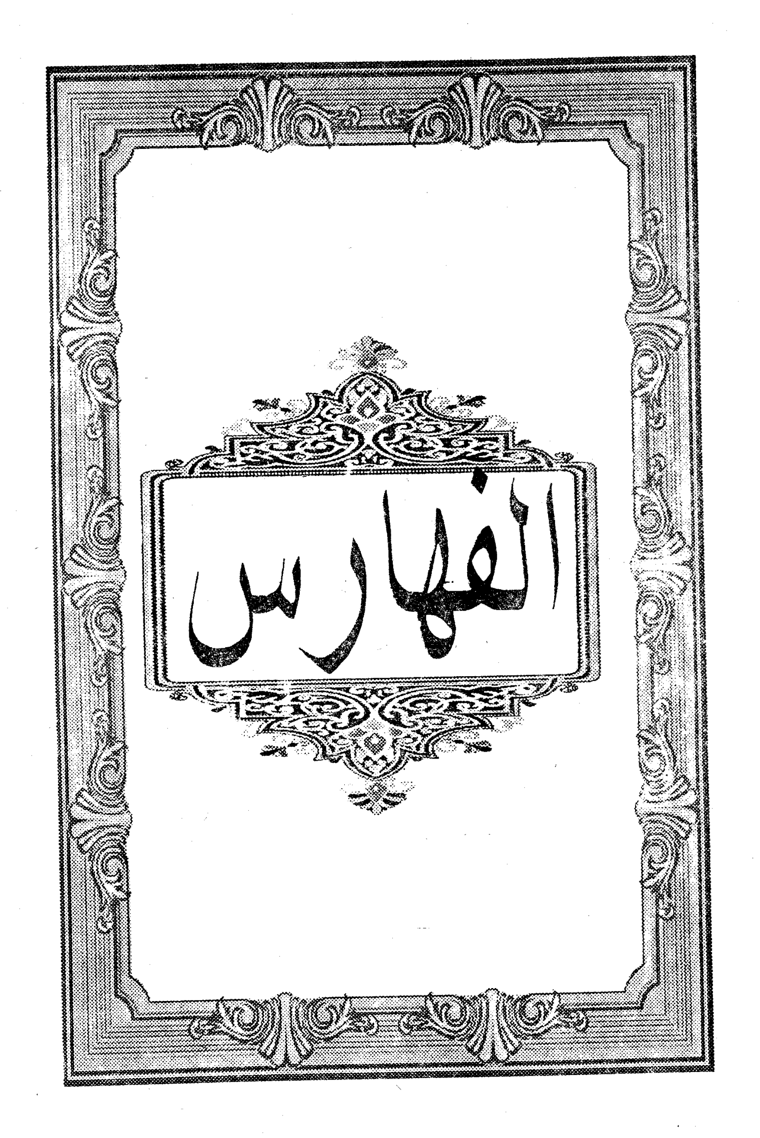
(٢٢١) أخطاء العلم الأرسطى ط٢/١٩٣٣م.

* يعقوب – الدكتور حسن رمزى

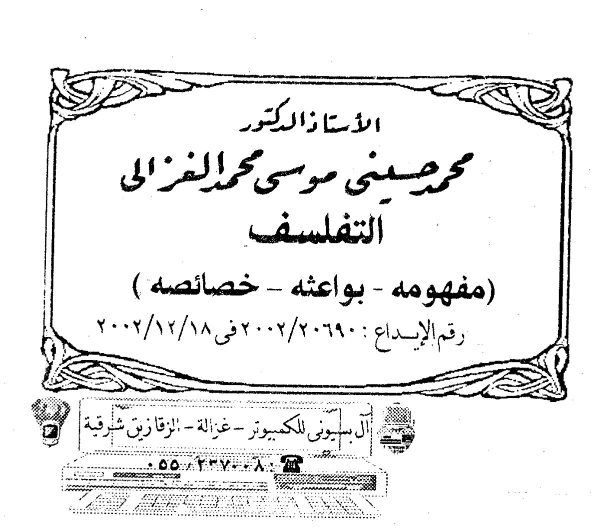
(٢٢٢) صراع العصور الوسطى بين الكنيسة والمفكرين (دراسة وثائقية) ط أم درمان ١٩٧٥م

* يونس – الأستاذ محمد عبدالحكيم

(٢٢٣) آدم عليه السلام فى الجنة – ط١/١٣٠٩هـ .


الفهارس

فهرست الموضوعات


الأستاذ الدكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
التفلسف
(مفهومه - بواعثه - خصائصه)
رقم الإيداع : ٢٠٦٩٠/٢٠٠٢ فى ١٨/١٢/٢٠٠٢
آل بسيونى للكمبيوتر - غزالة - الزقازيق شرقية
☎ ٠٥٥/٢٣٧٠٠٨٠